حسين الرحيلي

مستقبل التنمية بالحوض المنجمي بعد أو بدون فسفاط

ROSA
LUXEMBURG
STIFTUNG

مكتب شـــمال إفريقيا
North Africa Office

مستقبل التنمية بالحوض المنجمي بعد أو بدون فسفاط

حسين الرحيلي

•مؤسسة روزا لكسمبورغ مكتب شمال إفريقيا

أكتوبر 2021

ROSA
LUXEMBURG
STIFTUNG

مكتب شـــمال إفريقيا
North Africa Office

منشور ليس للبيع

•مؤسسة روزا لكسمبورغ
جميع الحقوق محفوظة. لايسمح بطبع أي جزء من هذا المنشور أو إعادة
إنتاج أو إستخدامه بأي وسيلة دون الحصول على إذن كتابي مسبق
من الناشرين.

الآراء الواردة في هذا المنشور هي صادرة فقط عن المؤلفين الأصليين.
هي لا تمثل بالضرورة آراء مؤسسة روزا لكسمبورغ

Imprimerie
EBH
Entreprise Ben Hamida
طبع بمطبعة :

العنوان : 40 نهج الكويت لافيات ،1002 تونس
الهاتف : 050 654 29 - 718 200 23
البريد الالكتروني : print.ebh@gmail.com

مستقبل التنمية بالحوض المنجمي بعد أو بدون فسفاط

حسين الرحيلي

تنويه

نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل، وخاصة السيد خالد طبابي

الذي أنجز باقتدار المحور المتعلق بالمقاربة السوسيولوجية لمعوقات

التنمية بمدن الحوض المنجمي

الفهرس

مقدمة 9

الإطار العام للدراسة 11

القسم الاول: تشخيص الواقع الحالي للحوض المنجمي وتقييم آثار إستغلال الفسفاط 16

مقدمة 17

المحور الاول: تقديم عام لولاية قفصة 18

1- الموقع 19

2- المعطيات الديموغرافية والسكانية بولاية قفصة 20

3- مؤشرات التنمية البشرية بجهة قفصة 22

4- مؤشرات التنمية الاقتصادية بالجهة 22

المحور الثاني: المسار التاريخي لنشأة مدن الحوض المنجمي 30

1- مقدمة 31

2- الإطار العام لنشأة مدن الحوض المنجمي 31

3- نشأة وتطور مدن الحوض المنجمي 32

4- الخلاصة 43

المحور الثالث: تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي 44

1- تمهيد 45

2- تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي 45

3- الخلاصة 59

المحور الرابع: تقييم نشاط وآثار إستغلال الفسفاط على مدن الحوض المنجمي 60

1- تمهيد 61

2- الفسفاط على المستوى الدولي 61

3- تاريخ الفسفاط في تونس: قصة وطن 63

4- شركة فسفاط قفصة: التاريخ والمهام 64

5- أدوار الشركة: أدوار الدولة الغائبة 69

6- آثار نشاط شركة فسفاط قفصة على مكونات المحيط والبيئة بمدن الحوض المنجمي 70

القسم الثاني: الإمكانات الطبيعية والبشرية للتنمية بمدن الحوض المنجمي 87

مقدمة 88

المحور الاول: مدخل عام حول مفهوم التنمية ومؤشراتها 89

–1 مفهوم التنمية 90

–2 مؤشرات التنمية الاقتصادية 91

المحور الثاني: الإمكانات التنموية المتاحة بمدن الحوض المنجمي 95

–1 مقدمة 96

–2 الإمكانات التنموية بمنطقة الحوض المنجمي 96

2-1- الموارد الطبيعية 97

2-2- الإمكانات الإيكولوجية والجيولوجية 112

2-3-المواد القابلة لإعادة الإستعمال والرسكلة 116

المحور الثالث: مقاربة سوسيولوجية للمعوقات التنموية بمدن الحوض المنجمي 119

–1 تقديم 120

–2 الإستراتيجيات التنموية في تونس وتنامي الأزمة المنجمية: من الدولة الوليدة إلى الإصلاحات الهيكلية 135

–3 الفاعلون المحليون: بين النضالية وثنائية العروشية والزبونية 142

المحور الرابع: إزالة التلوث بمنطقة الحوض المنجمي 145

–1 مقدمة 146

–2 برنامج تفصيلي لإزالة التلوث 146

2-1- إزالة التلوث المائي 147

2-2- النفايات القابلة للرسكلة والتثمين 148

2-3- الشوائب ومواقع المقاطع السطحية 150

2-4- تهيئة المناجم الباطنية 151

القسم الثالث: معالجة وتحليل الإستبيان وإقتراح مشاريع تنموية 153

مقدمة 154

المحور الاول: معالجة وتحليل الاستبيان الميداني 155

1- مقدمة 156
2- تحديد عينة البحث 156
3- الإطار المنهجي والعلمي للاستبيان الميداني 157
4- تقنية الاستبيان 157
5- برنامج التحليل الإحصائي SPSS 158
6- تشخيص عام للعينة المستجوبة 158
7- معالجة تحليل الاستبيان 162
8- الاستنتاجات العامة حول الاستبيان الميداني 197

المحور الثاني: اقتراح مشاريع تنموية بمدن الحوض المنجمي 199

1- مقدمة 200
2- اقتراح جذاذات مشاريع تنموية 200
3- الخلاصة 212

الخاتمة 213

المصاحب 216

المراجع 219

مقدمة

يقع الحوض المنجمي بالجنوب الغربي للبلاد التونسية وينتمي اداريا لولاية قفصة. ومنذ اكتشاف الفسفاط على يد المستعمر سنة 1883 والمنطقة تقدم الثروة الفسفاطية وبشكل مجحف، ورغم ان طرق الإستغلال ومنظومة المعالجة وتقنيات التحويل تطورت بتطور العلم والتقنية، مما جعل الانتاج يصل سنة 2010 الى حدود 12 مليون طن من الفسفاط الخام و 8.5 مليون طنا من الفسفاط التجاري، وهو ما يعني موارد مالية تتجاوز سنويا 4 مليار دينار، الا ان حالة مناطق الحوض النجمي لم تتغير بل يمكن القول انه خلال العشرين سنة الاخيرة قد فقدت ابسط مقومات الحياة من خدمات عامة والحد الادنى من البنى التحتية.

إن لم نقل إن الحوض المنجمي تراجع على ما كان عليه خلال الستينات والسبعينات عندما كانت شركة فسفاط قفصة هي المتكفلة الحقيقية بالمنطقة وليست الدولة.

انطلاقا من سنة 1985 تاريخ الشروع الفعلي في تطبيق مشروع الاصلاح الهيكلي المفروض من طرف صندوق النقد الدولي، تعرضت شركة فسفاط قفصة الى عملية تطهير واسعة تخلت بموجبها عن أكثر من 5000 عون في أقل من 5 سنوات وأغلق تبعا لذلك باب الانتداب بها وهي المشغل الاساسي والوحيد بمنطقة الحوض المنجمي. فانتشرت البطالة في كل المستويات، وتراجع حضور الدولة والشركة، فأصبحت المنطقة في عزلة تامة عن الدورة الاقتصادية رغم انها تساهم بأكثر من 30 بالمائة من موارد الدولة وخاصة من العملة الصعبة.

فتراجعت تبعا لذلك كل المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والبشرية لتتحول منطقة الحوض المنجمي إلى بؤرة للبطالة والتهريب والجريمة المنظمة والتهميش، وتبعا لتراكم هذه الضغوطات الاجتماعية والبشرية انفجرت المنطقة في سنة 2008 وهو ما بات يعرف بأحداث الحوض المنجمي التي التحم خلالها كل متساكني المنطقة ضد سياسة الإستغلال والتهميش والبطالة و«الحقرة»، ولقد دامت هذه التحركات أكثر من 6 أشهر وكانت الضريبة 5 شهداء والسجن والتشريد والقمع للعديد من مناضلي الجهة. لكن بعد 14 جانفي، وامام تواصل نفس سياسة التهميش والإستغلال للمنطقة، وفي ظل سياسة تخريب ممنهجة لشركة فسفاط قفصة، فانه بات من الضروري دراسة معمقة للمنطقة وتقديم اقتراحات في إطار برنامج تنموي متكامل بدون فسفاط، يستغل خصوصيات الجهة وثرواتها الطبيعية والبشرية.

في هذا الإطار، ومساهمة منها في تقديم المقترحات الكفيلة بزحزحة التنمية في المنطقة وبطريقة تشاركية مع أهاليها، تنجز منظمة «روزا لكسمبورغ» هذه الدراسة «مستقبل التنمية بالحوض المنجمي بعد او بدون فسفاط» ووفق التمشي المنهجي التالي:

- تشخيص دقيق للوضع الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والبشري والثقافي لمنطقة الحوض المنجمي بالتواصل والتعاون مع اهالي المنطقة في إطار مقاربة تشاركية
- تقييم هذا الوضع وربطه بالخيارات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المتبعة من طرف السلطة، وابراز نتائجه على المنطقة ككل مع الاعتماد على الاستمارات والمعاينات الميدانية
- تشخيص دقيق كمي ونوعي لكل الثروات المتاحة بالمنطقة وكل الإمكانات التنموية المتوفرة على المستوى الطبيعي والبشري والثقافي بما في ذلك ما يمكن ان توفره بشكل مباشر او غير المباشر شركة فسفاط قفصة كل ذلك بتشريك اهالي المنطقة في كل المسارات
- اعداد بطاقات فنية دقيقة لكل المشاريع الممكن انجازها بالمنطقة مع تحديد مواقعها وكلفتها التقديرية والاطراف الممكن ان تتدخل في انجازها مع التركيز على البعد الاقتصادي والاجتماعي التضامني خاصة بالنسبة للمشاريع الصغرى كل ذلك في إطار عملية تشاركية مع سكان الحوض المنجمي المعنيين بالتنمية

انطلاقا من هذه المنهجية، فان الدراسة ستكون وفق ثلاثة اقسام:

1- **القسم الاول:**

تشخيص الواقع الحالي للحوض المنجمي وتقييم آثار إستغلال الفسفاط على كل المستويات

2- **القسم الثاني:**

تشخيص كمي ونوعي لكل مصادر الثروة القابلة للإستغلال بالمنطقة والإمكانات المتاحة من طرف نشاط شركة فسفاط قفصة، وتبويبها حسب الأهمية والمردودية وملاءمة إستغلالها مع متطلبات الجهة

3- **القسم الثالث:**

معالجة وتحليل نتائج الإستبيان الميداني، واقتراح مشاريع تنموية محددة ودقيقة، في شكل جذاذات مشاريع

الإطار العام للدراسة:

«حتى لا يكون الفسفاط نقمة على الحوض المنجمي»

مقدمة

الفسفاط، الثروة، الحوض المنجمي، حراك الحوض المنجمي 2008، كلها عناوين تؤدي إلى نفس السؤال: لماذا تتواصل مأساة الحوض المنجمي؟ ولماذا يتواصل نفس أسلوب التعامل معه من طرف الجميع؟ مثلما تعامل معه نظام بن علي، ولماذا لا يطرح موضوع التنمية بالحوض المنجمي إلا عندما تتعطل ماكينة الإنتاج ومصدر ثروة الفسفاط؟

لقد اتفق الجميع أي كل الحكومات التي تعاقبت على السلطة في تونس منذ 1956 إلى الآن، على اعتبار الحوض المنجمي البقرة الحلوب المُطالبة بإعطاء الثروة وعدم المطالبة بجزء منها، وكل مطالبة بتحقيق التنمية تدرج في خانة تعطيل الإنتاج والإضرار بالإقتصاد وبغيرها من النعوت والشعارات.

لمحة تاريخية عن الفسفاط

الفسفاط في تونس: تاريخ بأكمله، حيث تم اكتشافه لأول مرة سنة 1883 بمنطقة الثالجة بالمتلوي. ثم تواصلت الأبحاث والاستكشافات من طرف المستعمر ليقع اكتشاف الفسفاط القابل للاستخراج بمناطق الحوض المنجمي سنة 1885، فتأسست تبعا لذلك شركة متخصصة في استخراجه ونقله إلى الموانئ للتصدير سنة 1897 سميت « شركة صفاقس-قفصة ».

منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، والحوض المنجمي يضخ آلاف الأطنان من الفسفاط ولمدة تتجاوز130 سنة، مما يجعلنا نؤكد على أن الفسفاط لم يكن مجرد ثروة فقط، بل صانعا لتاريخ هذا البلد لأكثر من قرن من الزمن، وهو ما يجعل من شركة فسفاط قفصة إرثا وطنيا جامعا لكل البلاد، حيث أن آثار الفسفاط التنموية والاقتصادية والاجتماعية التي لم تشمل مناطق الإستغلال، قد شملت باقي مدن تونس التي تستغل الفسفاط ومشتقاته في مجالات الفلاحة والصناعة والخدمات والتصدير والتحويل.

خلال سنة 1963، تقرر فصل الإستغلال عن النقل لمادة الفسفاط، فتكونت شركة فسفاط قفصة والشركة الوطنية للسكك الحديدية، تتكفل الأولى باستخراج الفسفاط ومعالجته، وتختص الثانية في النقل الحديدي للبضائع والأشخاص بشكل عام ونقل الفسفاط بشكل خاص.

بمرور الزمن، تطور استخراج الفسفاط وتطورت معه شركة فسفاط قفصة ليصل رأس مالها إلى مستوى 228 مليون دينار، مما يمثل الأهمية المحورية لنشاط استخراج الفسفاط ومردوديته العالية على الاقتصاد الوطني بشكل مباشر من خلال العملة الصعبة من ناحية، وبشكل غير مباشر من خلال تنشيطه لعدد من القطاعات مثل قطاع النقل والفلاحة (الأسمدة) والموانئ وغيرها...

شركة فسفاط قفصة: الشركة - الدولة

منـذ تأسـيس شركـة فسـفاط قفصـة بتسـمياتها المتعـددة، كانـت المشـغل الوحيـد بمنطقـة الحـوض المنجمـي، إن لـم نقـل أنهـا كانـت تؤمّـن الشـغل لمئـات مـن العمـال مـن مناطـق متعـددة مـن البـلاد وخاصـة بـنزرت والشـمال الغـربي والجنـوب الـشرقي، إضافـة إلى الأشـقاء مـن الجزائـر والمغـرب وليبيـا، حـتى أن أحيـاء «الطرابلسـية» و«السـوافة» و«المـروك» لازالـت شـاهدة عـلى هـذا التنـوع إلى الآن بمناطـق الحـوض المنجمـي.

إن هـذا البعـد الوطـني والـذي وصـل إلى حـد البعـد المغـاربي لشركـة فسـفاط قفصـة يعـبر بشـكل واضـح عـلى أهميـة هـذه الشركـة ومحوريـة دورهـا لا عـلى المسـتوى الوطـني فحسـب، بـل عـلى المسـتوى المغـاربي ممـا خلـق واقعـا متعـددا ومتنوعـا ومتداخـلا بمناطـق الحـوض المنجمـي، وجعـل أهـالي المنطقـة ينظـرون إلى الـثروة الفسـفاطية كـثروة وطنيـة لهـا أبعـاد إقليميـة، سـهلت التواصـل وعلاقـات المصاهـرة بـين شـعبنا العـربي في كل مـن ليبيـا والجزائـر والمغـرب.

كمـا كانـت شركـة فسـفاط قفصـة، إضافـة إلى دورهـا الاقتصـادي كمشـغل وحيـد، تلعـب دورا اجتماعيـا محوريـا، حيـث كانـت توفـر وإلى حـدود بدايـة الثمانينـات الخدمـات العامـة مـن مـاء صالـح للـشراب وكهربـاء وأطبـاء الصحـة وفضـاءات للبيـع توفـر احتياجـات العمـال بكامـل مناطـق الحـوض المنجمـي، إضافـة إلى تأمـين النقـل المجـاني إلى حـدود مدينـة صفاقـس، دون أن ننـسى مسـاهمتها الفعليـة في رعايـة الجمعيـات وخاصـة الرياضيـة ورعايـة فـرق المصائـف والجـولات والكشـافة، والأنشـطة الشـبابية والثقافيـة بشـكل عـام مـن خـلال دعمهـا ورعايتهـا لقاعـات السـينما والعـروض المسرحيـة.

كمـا كانـت ترعـى المؤسسـات التربويـة وتسـاهم في معاليـم الدراسـة والإقامـة لتلاميـذ العمـال بهـدف حثهـم عـلى تحصيـل العلـم والمعرفـة في إطـار تصـور شـامل للـدور الاجتماعـي لهـذه الشركـة -الدولـة الـتي لعبـت فعـلا دور الدولـة بمناطـق الحـوض المنجمـي طيلـة العقـود الماضيـة. ممـا عمـم شـعورا لـدى كل متسـاكني الحـوض المنجمـي أن « الكبانيـة » هـي الدولـة والدولـة هـي « الكبانيـة».

بنـاء عـلى مـا تقـدم ذكـره، يتبـين بشـكل جـلي أن شركـة فسـفاط قفصـة بالحـوض المنجمـي ليسـت مجـرد شركـة، بـل تحولـت إلى دولـة داخـل الدولـة سـواء مـن خـلال دورهـا الاقتصـادي الرئيـسي كمشـغل وحيـد، أو مـن خـلال حلولهـا مـكان الدولـة بـكل المجـالات الخدماتيـة.

تخلي الشركة عن دورها ... الفراغ والتهميش

في إطـار برنامـج الإصـلاح الهيـكلي الـذي فرضتـه الدوائـر الامبرياليـة عـلى النظـام البورقيـبي المتهـاوي آنـذاك، فرضـت السـلطة ومنـذ 1986 برنامـج هيكلـة شركـة فسـفاط قفصـة مـن خـلال إحـداث برنامـج التقاعـد المبكـر والـذي افـرز تسـريح حـوالي 5000 عامـل مـن الشركـة في فـترة خمـس سـنوات، وأغلـق بـاب الانتـداب رسـميا وتخلـت الشركـة نهائيـا عـن دورهـا التشـغيلي في حـوض قائـم عـلى اسـتخراج الفسـفاط لأكـثر مـن قـرن مـن الزمـن.

كما أدخلت تغييرات هيكلية وجذرية على طرق الإستغلال التي تحولت من استخراج الفسفاط من المناجم الجوفية التي كانت تتطلب أعداد كبيرة من العمال وبأقل مكننة نظرا للظروف الخاصة للإستغلال الجوفي أو الباطني، إلى طريقة استخراج سطحية في مقاطع مكشوفة وباستعمال تقنيات وتجهيزات متطورة وضخمة، مما قلص فعليا الحاجة لليد العاملة التقليدية وحصرها في يد عاملة متخصصة وقليلة العدد. كما كان لهذا البرنامج الهيكلي تداعيات كبيرة على الجانب الاجتماعي والتنموي بشكل عام على مناطق الحوض المنجمي المهمشة أصلا من خلال غياب شبه كلي للدولة. فتخلت طبقا لتوصيات برنامج الإصلاح الهيكلي شركة فسفاط قفصة عن كل الأدوار والمهام وخاصة في مجال التشغيل والخدمات العامة والدعم والرعاية الصحية والاجتماعية حتى لعمالها أو متقاعديها الذين أفنوا العمر في العمل في الداموس.

إنجرّ عن هذا الانسحاب الكلي لشركة فسفاط قفصة من كل أدوارها الاجتماعية والتنموية، إفراز فراغ رهيب بالمنطقة زاده غياب الدولة وتدني الخدمات العامة وتدهور شبه كامل للبنى التحتية وتفشي البطالة في صفوف كل الشرائح والمستويات وخاصة لدى الشباب سوءا وبؤسا، وتحولت مناطق الحوض المنجمي بداية سنوات التسعينات إلى مواقع للمتقاعدين المسرحين من المناجم و كتل من المعطلين يعيشون عالة على أوليائهم يتقاسمون معهم أجورا ضعيفة أو جرايات تقاعد لا تكفي للعلاج لمتقاعدين أنهكتهم الامراض المهنية و التلوث والماء الغير صالح للشراب وانسداد الأفق. فتحولت تبعا لذلك المنطقة ككل إلى مجرد حوض لإستغلال الفسفاط ومعالجته وإخراجه مع عائداته لمناطق أخرى، مع تركيز منظومة فاسدة حول هذه الشركة لتتحول إلى بقرة حلوب.

تحولت الثروة إلى نقمة من خلال إستغلال مفرط للماء لغسل الفسفاط والذي يصل إلى حوالي 25 مليون متر مكعب سنويا، أي حوالي أربع مرات الكمية المخصصة للماء الصالح للشراب لكامل سكان ولاية قفصة، هذا دون أن ننسى ما تفرزه مغاسل الفسفاط من مياه ملوثة تقدر سنويا بحوالي 11 مليون متر مكعب تصرف في المحيط الطبيعي وتلوث المياه والتربة.

كما يتسبب استخراج الفسفاط ومعالجته في تلوث للهواء وتراكم أكوام من النفايات الفسفاطية بالمناطق السكنية والأحياء مما جعلها مصدرا متواصلا للتلوث، وتدهور للمناظر الجمالية العامة، وتحويل مناطق بأكملها إلى أكوام من الحجارة والحصى والأتربة، مما عمق مظاهر التصحر والانجراف وتحولت مجاري المياه عن مواقعها الأصلية مما تسبب في الفيضانات الكبيرة بالمناطق السكنية، ولعل آخرها فيضانات الرديف سنة 2009 الذي خلفت أضرارا بشرية ومادية لازالت إلى الآن ظاهرة للعيان.

لكن ورغم كل هذه التأثيرات السلبية وأمام تطور عائدات الفسفاط المباشرة والتي وصلت سنة 2010 إلى حدود 2100 مليار، فان منظومة بن علي لم تفكر حتى في معالجة التلوث أو تحسين ابسط خدمات الصحة والتعليم أو تعبيد طريق بالمناطق العمرانية بالحوض المنجمي، إلى درجة أن الذي يزور هذه المناطق لا يتصور أنها تضخ 3 مليون دينار يوميا.

جانفي 2008 ... الانفجار

لقد مثلت أحداث الحوض المنجمي بالرديف سنة 2008، والتي سرعان ما إنتشرت في باقي مدن الحوض كردة فعل طبيعية على تراكم التهميش والفقر والبطالة وغياب الدولة المتواصل والذي افرز تدني شامل للخدمات العامة وللبنى التحتية ومرافق الحياة الضرورية، ولئن كان التزوير والفساد والرشاوي التي شابت مناظرة لانتداب عمال بشركة فسفاط قفصة السبب المباشر لهذه الإحداث، فإنها سرعان ما عبرت بعمق أن أسبابها اقتصادية واجتماعية وتنموية، وأن الشعارات التي رفعت في مسيرات ضخمة ومتواصلة اختزلت مأساة الحوض المنجمي برمته، ولخصت مطالبه الملحة في الشغل والحرية والكرامة الوطنية.

لكن وانطلاقا من الطابع الاستبدادي للسلطة، فإنها تعاملت مع هذا الحراك الاجتماعي بمنطق متطابق مع طبيعتها السلطوية من خلال القمع والأسلوب الأمني الهمجي والاعتقالات والمحاكمات اللاشرعية، فكان أن زاد هذا الأسلوب القمعي من تأجيج الحراك وامتداده من الحوض المنجمي إلى مناطق أخرى، وكأن أهالي الحوض المنجمي قد حرروا آنذاك شعبا بأكمله.

كيف لا، والأحداث مثلت تشكيل كتلة تاريخية من الناس اتحدوا حول مطالب تهمهم جميعا في الشغل والكرامة والحرية وحقهم المشروع في الاستفادة من الثروة التي تسافر أمام أعينهم كل يوم ولا يبقى لهم منها سوى المياه الملوثة والهواء المشحون بالغبار والأجسام المنهكة بالأمراض. كما اتخذ نظام بن علي آنذاك بعض الإجراءات الفلكلورية منها شركات البيئة الوهمية التي تتكفل بإعطاء أجور لعمال لا يعملون أصلا وبناء مقرات لمصانع بقيت فارغة إلى الآن وقرارات ووعود ذهبت أدراج الرياح.

بعد 14 جانفي 2011 ... الحلم الذي لم يتحقق

بعد 14 جانفي، اعتقد أهالي الحوض المنجمي الذين اعتبروا أنفسهم أول من وضع مسمارا في نعش بن علي ونظامه، أن ينصفهم التاريخ، وأن يتمتعوا بجزء ولو ضئيل من الثروة التي ينتجونها. ولكن سرعان ما تبخرت الأحلام واصطدم الوعي الجماعي للأهالي بالواقع الذي مثلته كل الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد من حكومة الباجي 2011 مرورا بحكومتي الترويكا وصولا إلى حكومة المشيشي، ذلك أن أسلوب التهميش وسياسات الإقصاء وانعدام التنمية وتدني الخدمات العامة تواصل ويمكن بأكثر حدة وبشاعة كما، تواصلت السمسرة والاساليب الفاسدة في نتائج المناظرات التي اصبحت أكثر من شكلية، وبدأ الجميع يقتنع ان منظومة بن علي لم تتغير وان نظامه وطرق تعامله مع الحوض المنجمي بقيت وكأن شيئا لم يتغير. ووجد شباب الحوض المنجمي نفسه يعيد نفس اساليب نضاله من اجل الشغل والكرامة والمطالبة بالتنمية.

تواصل اسلوب التعامل القمعي والبوليسي في التعامل مع الاحتجاجات، الى ان وصلت خلال الفترة الأخيرة الى حد المداهمات والاعتقالات العشوائية والمحاكمات، مما افرز وضعا متأزما، وانقطعت لغة

الحـوار وانعدمـت الثقـة امـام تواتـر الحلـول العرجـاء وتواصـل اتخـاذ القـرارات الفوقيـة الـتي ليـس لهـا اي علاقـة بالطلبـات الحقيقيـة للمنطقـة.

لعـل وصـول الحالـة الى التوقـف الـكلي للإنتـاج والنقـل للفسـفاط في كامـل الحـوض المنجمـي ومـا ترتـب عنـه مـن توقـف لوحـدات الانتـاج بالمجمـع الكيميـائي التونـسي بـكل مـن قابـس والصخـيرة وصفاقـس والمظيلـة، قـد أحـدث صدمـة كـبرى وحـول المنطقـة الى مـسرح للمـوت البطـيء، وادخـل البـلاد بشـكل عـام في سـؤال محـير وبعـد؟
كمـا تمـيز اداء الحكومـات المتعاقبـة منـذ 2011 بالسـلبية، إلى درجـة أن انعكـس هـذا الأسـلوب عـلى المحتجـين بالإحبـاط والتعنـت.

كل هـذه اللامبـالاة الـتي مـيزت سـلوك الساسـة في تونـس تجـاه مـا يحصـل بالحـوض المنجمـي، كانـت نتائجـه كارثيـة عـلى شركـة فسـفاط قفصـة. اذ اصبحـت عاجـزة عـن خـلاص اجـور عمالهـا. كمـا فقـدت تصنيفهـا العالمـي كخامـس منتـج للفسـفاط عالميـا لتخـرج مـن التصنيـف اصـلا، اضافـة الى خسـارة البـلاد لأهـم أسـواقها التقليديـة.

فحـتى يتحـول الفسـفاط مـن نقمـة حاليـا، الى محـدد للتنميـة ودافعـا لهـا بمنطقـة الحـوض المنجمـي، وحـتى تبقـى شركـة فسـفاط قفصـة ارثـا وطنيـا قـادرا عـلى الانتـاج لصالـح كل التونسـيين مـن الشـمال الى الجنـوب، فانـه بـات مـن الـضروري ان تتحـرر المنطقـة مـن سـطوة الفسـفاط وان تبحـث لهـا عـن امكانـات ومـوارد تنمويـة موازيـة لـه، وبذلـك تصبـح التنميـة بالحـوض متوازنـة ومتطابقـة مـع كل امكاناتهـا بمـا فيهـا الفسـفاط وليـس الفسـفاط لوحـده.

01

القسم الاول :

تشخيص الواقع الحالي للحوض المنجمي وتقييم آثار إستغلال الفسفاط

مقدمة

التنمية ليس مجرد عمليات فوقية لإنتاج الثروة في مكان ما بل هي محصلة لتفاعل الإمكانات الطبيعية والبشرية في واقع محدد ومشخص بشكل جيد، حتى يقع انتاج الثروة وفق حاجياته المباشرة.
لذلك فإننا سنحاول في المرحلة الاولى من الدراسة المتعلقة بمستقبل التنمية في الحوض المنجمي بدون او بعد الفسفاط، تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي بشكل معمق، اضافة الى تقييم تأثير إستغلال الفسفاط على مناطقه على كل المستويات وخاصة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

كما سنحاول اعادة بناء المسار التاريخي لنشأة وتطور مدن الحوض المنجمي والتي كانت نتيجة حتمية لاكتشاف الفسفاط وإستغلاله. ولعل هذا التحليل التاريخي لمدن الحوض المنجمي سيمكننا من التعرف على التركيبات الاجتماعية والثقافية والتاريخية لسكان الحوض المنجمي وتطورها عبر الزمن، ومدى الثراء التي احدثته في مسار تطور الابعاد الاجتماعية والثقافية بالمنطقة.

هذه المقاربة التاريخية ستمكننا من التعرف على التأثير الاستعماري بالمنطقة طيلة إستغلال الفسفاط فيها على المستوى العمراني والثقافي والاجتماعي.
لكن قبل الشروع في كل هذه المحاور العامة من المرحلة الاولى من الدراسة، ونظرا لوجود منطقة الحوض المنجمي بولاية قفصة، فانه من الضروري تقديم الجهة بشكل عام على المستوى الجغرافي والبشري والتنموي.

المحور الاول

تقديم عام لولاية قفصة

تقديم عام لولاية قفصة

1- الموقع:

تقع ولاية قفصة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية، وتحيط بها خمس ولايات في شكل هلال يصل شعاعه إلى 100 كلم. ويتميز مناخها بالقاري الجاف والحار بمناطق قفصة الجنوبية والقاري شبه جاف بمناطق قفصة الشمالية. وتتميز جهات الشمال من الولاية بالطابع الفلاحي، أما المناطق الجنوبية فإنها غنية بالفسفاط الذي اكتشف منذ 1883.

تتوزع المساحة الجملية للولاية وفق الاستعمالات كما يلي: الأراضي المبنية حوالي **1.5 %**، الأراضي الفلاحية حوالي **32 %**، المراعي والغابات حوالي **43.6 %**، المسطحات المائية والمناطق الرطبة حوالي **9.6 %**، والأراضي الطبيعية الأخرى حوالي **13.3 %.**

2- المعطيات الديموغرافية و السكانية بولاية قفصة:

سنحاول في هذه الدراسة تحيين الاحصائيات الرسمية للوضع الديموغرافي للجهة بالاعتماد على نسب الزيادة السكانية خلال السنوات الخمس الفارطة اي من سنة 2014 الى سنة 2020.

وفق إحصائيات سنة 2014 الصادرة بالتقرير الأولي للمعهد الوطني للإحصاء خلال شهر مارس 2016، فان جهة قفصة تعد 337.3 ألف ساكن موزعين على 13 بلدية، وعلى مساحة تقدر بحوالي 7807 كلم^2. مما يعطي كثافة سكانية بحوالي 43 ساكن / كلم^2. وهي كثافة سكانية ضعيفة بالمقارنة مع الإمكانات الترابية والطبيعية للجهة.

ويمكن القول ان نسبة الزيادة السكانية بالولاية منذ سنة 2004 الى سنة 2014 قد تجاوزت **3 %**، اذ كانت 327900 ساكن سنة 2004، لتصل سنة 2014 الى حوالي 337300 ساكن. وهو ما يجعل من ولاية قفصة بشكل عام جهة جاذبة للسكان. ولقد تأكد هذا الانطباع من خلال وصول عدد سكان الولاية الى حدود غرة جانفي 2020 الى 352 ألف ساكن، مما يعطي نسبة زيادة سكانية بحوالي **4.7 %** ما بين 2014 و 2020، وهي نسبة تتجاوز المعدل الوطني الذي لا يتجاوز **2.9 %**.

يمكن تلخيص التطور السكاني بجهة قفصة (حسب المحافظات) ما بين 2004 الى حدود 2020 في الجدول المحين التالي:

	عدد السكان		
المعتمدية	2004	2014	2020
بلخير	15159	14784	14941
القطار	19942	20137	20695
القصر	32186	36482	39397
قفصة الشمالية	9407	10022	10567
قفصة الجنوبية	90742	101142	108871
المظيلة	14841	15306	15855
المتلوي	38938	38634	39154
ام العرائس	31733	27012	21562
الرديف	27940	26976	26542
سيدي يعيش	8297	10048	11550
السند	34524	36746	22589
سيدي بوبكر	-	-	4229
زنوش	-	-	16129
الجملة	327900	337300	352481

من خلال هذا الجدول، يتبين ان ارتفاع عدد سكان الولاية خلال 15 سنة الاخيرة تجاوز 25 ألف ساكن، الا ان ذلك لا يعني ان الزيادة السكانية قد شملت كل المعتمديات، ذلك ان المدن المنجمية لم يشملها هذا الارتفاع في عدد السكان، بل ان مدينة ام العرائس مثلا قد تراجع عدد سكانها بحوالي 9700 ساكن خلال هذه الفترة (اي حوالي **30 %** من عدد سكانها لسنة 2004)، وهو ما يجعل من هذه المدينة المنجمية طاردة للسكان ارتباطا بتراجع المؤشرات التنموية بها على غرار بقية المدن المنجمية.

اما بالنسبة للمؤشرات الديمغرافية العامة بالجهة، وطبقا لإحصائيات 2014، بلغ عدد العائلات بجهة قفصة وفق إحصائيات 77964 عائلة، وهو ما يعطي متوسط معدل العائلة بالجهة بحوالي 4.35 فرد بالعائلة وهو ما يعد أكبر من المعدل الوطني الذي يساوي 4.05 فرد للعائلة.

أما عدد المساكن بالجهة فيقدر بحوالي 89946 مسكنا، مما يعني نظريا أن معدل امتلاك المسكن بالجهة يساوي 1.15 مسكن للعائلة. ولكن الحقيقة الميدانية عكس ذلك تماما، ذلك أن نسبة العائلات التي تملك مسكنا تقدر بحوالي **86 %** فقط، أي أن **14 %** من العائلات بالجهة لا تملك مسكنا. وفي المقابل هنالك عائلات تملك أكثر من مسكن. وهو ما يمثل عائقا اجتماعيا في مجال تحقيق العدالة الاجتماعية والتي يمثل المسكن والحق فيه احدى ركائزها الأساسية.

كما تعتبر جهة قفصة شابة بامتياز، وذلك من خلال التركيبة العمرية لسكانها وفق ما يبينه الجدول التالي:

الفئة العمرية	إناث	ذكور	الجملة	النسبة المئوية من عدد السكان
4-14 سنة	25000	26250	51250	15.2
15-34 سنة	60300	57113	117500	34
25-50 سنة	78500	63350	141850	41

من خلال هذا الجدول، يتبين أن التركيبة السكانية لجهة قفصة تركيبة شابة حيث يمثل الشباب حوالي **34%**من عدد السكان، كما أن الأطفال (ما بين 4 و 14 عاما) حوالي **15.2 %**، مما يعني أن حوالي **50 %** من سكان جهة قفصة من الشباب. وهو ما يطرح إشكالات مستقبلية كبيرة من خلال توفير الإمكانات التعليمية والصحية والنقل والإقامة، إضافة إلى ما تطرحه هذه التركيبة السكانية من تحديات كبرى على مستوى طلبات الشغل والسكن وغيرها من المسائل المرتبطة بالبعد الاقتصادي والاجتماعي لهذه الشرائح العمرية الهشة.

كما يبين الجدول أن نسبة السكان ما بين 25 و 50 سنة تقدر بحوالي **41 %**. وهي الفئة العمرية النشطة والتي تطالب حتما بالشغل والسكن والاستقرار الاجتماعي وبالماء الصالح للشراب، وبكل ما تستوجبه العدالة الاجتماعية بكل أبعادها.

3- مؤشرات التنمية البشرية بجهة قفصة:

الثراء الطبيعي لجهة قفصة، وتنوع ثرواتها من ناحية، والتركيبة السكانية الشابة والنشطة للجهة من ناحية أخرى، لا يعكس تدهور مؤشرات التنمية البشرية بها. حيث أن نسبة الفقر تقدر بحوالي **18 %**، وهي نسبة مرتفعة بالمقارنة مع المعدل الوطني الذي لا يتجاوز **16 %** وفق الأرقام الرسمية. كما أن نسبة الفقر المدقع تتجاوز **4.8 %** مقابل **3.5 %** على المستوى الوطني.
وهو ما يعني أن نسبة الفقر العامة بالجهة تتجاوز **26.8 %**، مما يعني تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بجهة غنية بالثروات الطبيعية وخاصة من مادة الفسفاط.

لقد كان لهذه المؤشرات انعكاس مباشر على نسبة البطالة بالجهة، حيث تتجاوز 25.5 % وفق معطيات سنة 2019، أي مرة ونصف المعدل الوطني. مع العلم أن نسبة البطالة في صفوف حاملي الشهائد الجامعية تتجاوز **40 %** كنسبة عامة بالجهة ككل.

أما نسبة الأمية فتتجاوز21.5 بالمائة كنسبة عامة، مع اختلاف كبير لهذه النسب بين المناطق، حيث تتجاوز نسبة الأمية بمناطق قفصة الشمالية ذات الطابع الفلاحي والريفي **35 %**، في حين تتراجع هذه النسب بمناطق قفصة الجنوبية إلى حدود **14 %** بالمتلوي.

كما أن نسبة التمدرس بالجهة تتجاوز **92 %** بمناطق قفصة الشمالية، في حين تصل هذه النسبة إلى حدود **97 %** بمدن الحوض المنجمي.

إن تدني مؤشرات التنمية البشرية بجهة قفصة، وخاصة المتعلقة بالبطالة والأمية، يعكس بالضرورة واقعا اجتماعيا واقتصاديا متدهورا. كما انه ينبئ باحتقان اجتماعي وانتشار الاحتجاجات كنتيجة حتمية للتناقض الصارخ بين عدالة الطبيعة والجغرافيا وظلم التاريخ بهذه المنطقة.

4- مؤشرات التنمية الاقتصادية بالجهة:

بقيت التنمية في جهة قفصة وخاصة بمناطق الحوض المنجمي مرتبطة ارتباطا عضويا بنشاط استخراج الفسفاط سواء بشكل مباشر او بشكل غير مباشر.

ويرجع هذا التمشي التنموي منذ اكتشاف الفسفاط من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1883. اذ انحصر النشاط بالجهة حول إستغلال الفسفاط. مما جعل شركة فسفاط قفصة تتحول تدريجيا الى دولة داخل الدولة باعتبارها الحاضنة الحقيقية للحياة الاقتصادية والاجتماعية للجهة بشكل كامل وذلك الى حدود سنة 1985.

ان هذا التوجه التنموي الذي حاول حصر الانشطة في الجهة حول الفسفاط فقط، قد غيب الإمكانات الطبيعية التي تزخر بها الجهة وخاصة الفلاحة والإمكانات السياحية.

مقومات النشاط الفلاحي وواقعه بجهة قفصة

تمسح ولاية قفصة 7807.7 كلم مربع اي 780700 هك. منها حوالي 269700 هك اراضي قابلة للإستغلال الفلاحي خاصة بمناطق الولاية الشمالية وهو ما يمثل **34.5 %** من المساحة الجملية للولاية. وتقدر المساحة الجملية للأراضي الفلاحية المستغلة حاليا حوالي 230600 هك اي **85.5 %** من المساحة الجملية للأراضي القابلة للإستغلال الفلاحي.

تمثل الاراضي الغير قابلة للإستغلال الفلاحي حوالي 511070 هك اي **65.5 %** من المساحة الجملية للولاية، وتتكون خاصة من المراعي والجبال المنتشرة خاصة بمناطق الحوض المنجمي، اضافة الى الاراضي المالحة وبعض السباخ.ورغم اهمية مساحة الاراضي القابلة للإستغلال الفلاحي في الجهة، الا ان الوضعية العقارية لهذه الاراضي لازالت ولأكثر من 70 عاما تمثل عائقا هيكليا امام إستغلالها بشكل جيد ومثمر.اذ تمثل الاراضي الاشتراكية حوالي **58.6 %** من جملة المساحة الجملية للجهة. في حين لا تملك الدولة سوى **35.4 %**، وأغلبها في شكل جبال الفسفاط بمناطق الحوض المنجمي. اما الخواص فلا يملكون الا **6 %** من الاراضي بالجهة وتتمركز اغلب هذه الملكيات الخاصة بمناطق قفصة الشمالية.

هذا على مستوى مقومات الفلاحة المرتبطة بالأراضي الزراعية. اما بالنسبة للموارد المائية بالجهة. فانه يمكن القول ان الإمكانات المائية الجوفية تقدر بحوالي 128 مليون متر مكعب في السنة، اضافة الى سد سيدي يعيش الذي تصل طاقة استيعابه 80.5 مليون متر مكعب، وسد وادي الكبير الذي دخل طور الإستغلال سنة 2018 وتقدر طاقة استيعابه بحوالي 20 مليون متر مكعب.لقد مكنت هذه الإمكانات المائية من احداث مساحات سقوية بالجهة تقدر بحوالي 31000 هك (13.4 % من المساحة الجملية للأراضي الفلاحية المستغلة فعليا)، موزعة على جل مناطق الولاية وخاصة بشمالها مثل مناطق سيدي يعيش ووادي الكبير وام القصاب والعقيلة والسقدود 1 والسقدود 2 وتبديت والدوارة ...

وتمتد المسالك الفلاحية على طول 3407 كلم، **31 %** منها فقط معبدة. مما يعكس تدني البنى التحتية للنشاط الفلاحي بالجهة ككل. وهي نتيجة حتمية للخيارات التنموية التي اهملت القطاع الفلاحي وامكاناته الطبيعية المتوفرة. ولا يعاني القطاع الفلاحي بالجهة فقط من الاشكالات العقارية وتدني البنى التحتية وخاصة المسالك التي تمثل العمود الفقري لتنقل الفلاحين وانتاجهم بالجهة.

بل ان القطاع يعاني من اشكالات أعمق تتمحور حول:

- تشتت الملكيات وصغر المساحات بالنسبة للفلاح
- عدم توفر الماء وسيطرة الدخلاء عن القطاع واستنزافهم للثروة المائية لصالح انتاجات معدة مباشرة للتصدير وبتشجيع وتواطئ من الادارة التي ترى في هذه الاستثمارات جدوى اقتصادية، في حين انها تخدم المستثمر الفلاحي فقط وليس للشعب.

يمكن تلخيص المستغلات الفلاحية حسب المساحات في الجدول التالي:

حجم المستغلة	عدد المستغلين	النسبة	المساحة	النسبة
من غير ارض	441	2,3	-	-
من 0 الى 5 هكتار	5841	31,1	16800	6,2
من 5 الى 10 هكتار	4778	25,4	35400	13,1
من 10 الى 50 هكتار	6766	36	137200	50,9
من 50 فأكثر	973	5,2	80300	29,8
المجموع	18799	100	269700	100

تبين الخريط المصاحبة توزيع المستغلات الفلاحية حسب المناطق والمساحات (أطلس قفصة سنة 2010)

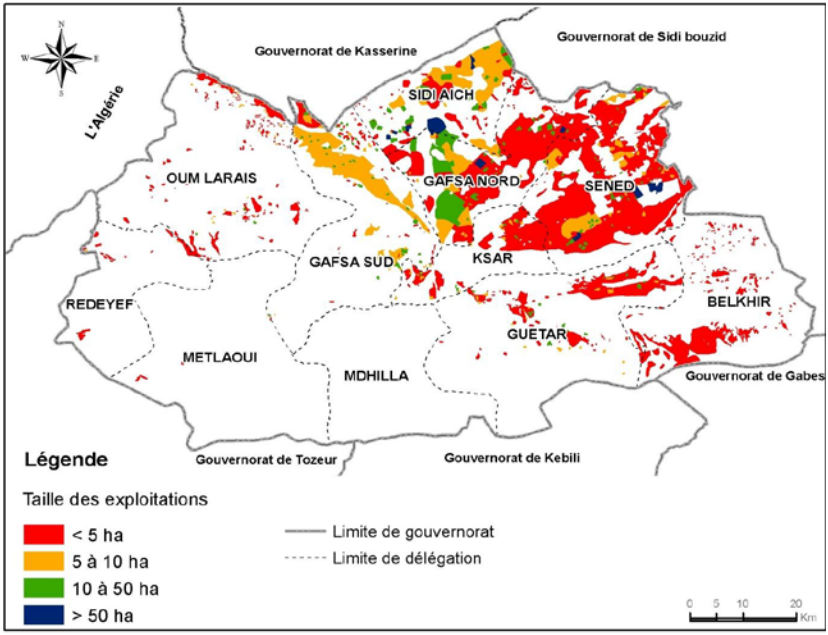

يتبين من خلال الجدول والخريطة ان **5 %** فقط من المالكين يستحوذون على حوالي **30 %** من الاراضي الفلاحية الصالحة للزراعة بالجهة من خلال ملكيتهم لأراضي تفوق 50 هك للمستغلة الواحدة. في حين **56.5 %** من الفلاحين لا تتجاوز ملكيتهم 5 هك.

رغم كل هذه الاشكالات التي يعاني متها القطاع الفلاحي بجهة قفصة والبلاد بشكل عام، فانه يمكن القول ان القطاع قد شهد بعض التطور منذ 2008 الى الآن. اذ تطورت المساحات السقوية من 16750 هك سنة 2008 لتصل الى حدود 31000 هك سنة 2019. مما مكن من تنويع الانتاج وتطوره كميا ونوعيا. ذلك ان غراسة الزياتين شهدت تطورا سريعا وفي كل المناطق بالولاية مما رفع في عدد معاصر الزيتون الى 57 معصرة سنة 2019 بعدما كان عددها 27 سنة 2010.

كما تطور انتاج التمور والفستق والتين واللوز بشكل واضح ولكنها ليست بالتطور الذي شهده قطاع الزيتون. ويمكن القول ان تراجع الدور الاقتصادي لشركة فسفاط قفصة في الجهة منذ بداية التسعينات قد دفع الجميع للبحث عن حول ذاتية بديلة عن الفسفاط فكانت الفلاحة الحل البديل المثالي للجهة رغم غياب السلطة في مجال الدعم والمساندة وتوفير الماء لصغار الفلاحين خاصة.

ويمكن تلخيص توزيع المساحات المستغلة فلاحيا(هك) حسب نوعية الغراسات كما يلي:

المعتمدية	حبوب سقوية	حبوب بعلية	بقوليات	خضروات	علف سقوي	علف بعلي	التشجير	المجموع
قفصة الشمالية	995	2550	-	1650	600	-	29000	35601
قفصة الجنوبية	245	1950	30	1050	525	3000	22630	29887
القصر	300	3225	-	775	327	-	13500	18093
سيدي عيش	327	4500	-	150	260	450	16450	23034
السند	720	15	-	1650	210	-	42900	45217
بالخير	40	-	120	75	40	150	12600	12741
الرديف	-	750	-	1200	22.5	-	3780	5782
المتلوي	15	525	-	105	22.5	-	1900	2529
ام العرائس	525	2750	30	1050	102	450	5460	10423
القطار	75	3750	105	75	150	150	12260	16506
المظيلة	-	-	-	-	-	-	-	-
المجموع	3255	19850	420	7615	2250	4200	162000	230600

لـئن شـهد الانتـاج الفلاحـي تطـور كبـير خاصـة في بعـض الغراسـات مثـل الزيتـون والفسـتق واللـوز، فـان تربيـة الماشـية بالجهـة لـم تشـهد تطـورا كبـير بالمقارنـة مـع سـنوات 2008 و2010، ويمكـن ارجـاع ذلـك لارتفـاع اسـعار الاعـلاف وسـيطرة الاحتـكارات في مجـال توزيعهـا.

لذلـك فـان اعـداد الـثروة الحيوانيـة بالجهـة بقيـت شـبه مسـتقرة عـلى مسـتوى الاعـداد وعـدد المربـين. بـل يمكـن القـول ان تربيـة الابقـار والجمـال خاصـة شـهد تراجعـا حـاد بعـد 14 جانفـي لانعـدام الامـن مـن ناحيـة والارتفـاع المهـول في كلفـة الاعـلاف.

ويمكن تلخيص الثروة الحيوانية بالجهة وفق احصائيات 2018 كما يلي:

المعتمدية	الابقار	الأغنام	الماعز	الجمال	النحل	الدجاج البياض	الدجاج اللاحم	الارانب
قفصة الشمالية	1113	27000	3800	350	1750	40000	10700	500
قفصة الجنوبية	1229	31000	2700	220	750	-	5400	1200
القصر	450	15000	2000	-	360	-	-	600
سيدي عيش	1838	30000	5100	-	160	-	-	200
السند	377	26000	2500	230	1050	-	25400	900
بالخير	37	20000	5000	60	300	-	-	700
الرديف	42	12000	3000	450	250	-	5200	400
المتلوي	96	15000	3200	580	80	-	27000	800
ام العرائس	451	22000	2900	290	250	-	26300	850
القطار	197	13000	4500	120	270	-	-	650
المظيلة	46	20000	3300	1200	280	-	-	200
المجموع	5876	231000	38000	3500	5500	40000	100000	7000

رغـم اهميـة النشـاط الفلاحـي بالجهـة وتنوعـه، الا انـه لا يسـاهم الا بحـوالي **13.4 %** في التشـغيل وفـق احصائيـات 2018، وهـو مـا يؤكـد ضعـف دعـم الفلاحـة مـن طـرف الدولـة مـن ناحيـة، وعـزوف الشـباب خاصـة عـن العمـل الفلاحـي الـذي بقـي تقليديـا في اغلـب المسـتغلات الفلاحيـة بالجهـة.

واقع النشاط الصناعي بجهة قفصة

امام هيمنة استخراج الفسفاط لأكثر من 130 عاما بجهة قفصة، وارتباطا بالخيارات التنموية المتبعة بالبلاد منذ 70 عاما، والتي تمحورت ولازالت حول الاستثمار على الشريط الساحلي فقط وتهميش باقي الجهات، فان النشاط الصناعي بالجهة لم يستطع ان ينمو او يحقق اقلاعا كبيرا ارتباطا بأهمية الجهة اقتصاديا وعمرانيا وتاريخيا.

بل يمكن القول انه تم التعامل مع ولاية قفصة من طرف كل الحكومات المتعاقبة على الدولة التونسية لأكثر من 60 عاما بمنطق البقرة الحلوب، يقع إستغلال الفسفاط منها وتركها واهلها لمصيرهم.

كما انه ضعف القطاع الفلاحي، وتدني انتاجه وانتاجيته للأسباب التي تم ذكرها سابقا لم تمكن من احداث نسيج صناعي تحويلي خاصة بالنسبة للصناعات الغذائية.

كما ان البنية التحتية الصناعية وخاصة المتعلقة بالفضاءات الصناعية والطرقات ووسائل النقل السريعة تعتبر غير قادرة على جلب الاستثمارات حيث تمتد الطرقات المرقمة بالجهة على طول 578 كلم فقط، اضافة الى وجود سكك حديدية بطول 388 كلم.

كما ان البنى اللوجستية مثل الاتصالات والتكنولوجيا الصناعية لم تتطور قط بسبب اهمال الدولة للجهة من الناحية الصناعية. فباستثناء الاستثمار في استخراج الفسفاط ومعالجته بمناطق الحوض النجمي لا يوجد نسيج صناعي متطور بالجهة.

باستثناء فضاءات الانتاج والتحويل للفسفاط، تقتصر المناطق الصناعية بالجهة على المنطقة الصناعية بالعقيلة بقفصة والمنطقة الصناعية بالمتلوي وهي مناطق تتوفر على الحد الأدنى من البنى التحتية الضرورية لممارسة النشاط الصناعي. اما بقية المناطق فحتى وان وجدت وحدات صناعية فهي منتصبة في مناطق غير مهيأة للنشاط الصناعي.

كل هذه المعطيات جعلت من القطاع الصناعي لا يساهم الا بحوالي **15 %** فقط في مجال التشغيل بما فيه التشغيل بالحوض المنجمي. وهو ما يفسر ارتفاع نسبة البطالة في الجهة والتي تتجاوز **25.5 %**.

بلغة الارقام، يلخص الجدول التالي واقع النشاط الصناعي وتشغيليته بالجهة وفق احصائيات وكالة النهوض بالصناعة لسنة 2016:

المعتمدية	صناعات غذائية	صناعة مواد البناء	صناعة النسيج و الملابس	صناعة الميكانيك	صناعة الكهرباء	كيمياء	خشب	متنوع	المجموع
قفصة الشمالية	70	-	-	-	-	-	-	-	70
قفصة الجنوبية	120	170	650	55	750	185	125	100	2155
القصر	185	22	-	-	-	-	-	-	207
السند	65	-	-	-	-	-	-	-	65
بالخير	-	-	18	-	-			-	18
المتلوي	-	-	142	-	-	32	-	-	174
ام العرائس	27	-	-	-	-	70	-	-	97
القطار	55	32	-	-	-	165	-	-	252
المظيلة	-	-	350	95	-	1120	-	-	1565
المجموع	522	224	1160	150	750	1572	125	100	4603

ويمكن القول ان القدرة التشغيلية للنسيج الصناعي بالجهة يتمركز في قطاعين اثنين فقط وهما الصناعات الكيميائية المرتبطة بتحويل الفسفاط التجاري بمنطقة المظيلة والذي يشغل حوالي **34.5 %** من مجموع اليد العاملة الصناعية بالجهة، وقطاع النسيج والملابس الجاهزة الذي يشغل حوالي **26 %**. وهو ما يؤكد ضعف النسيج الصناعي وتهميشه بالجهة.

لن نقدم النشاط الاستخراجي للفسفاط في هذا المحور المتعلق بالجهة، بل سنتناوله بإطناب عند تقييم آثار نشاط شركة فسفاط قفصة على مناطق الحوض المنجمي في محور مستقل بهذا التقرير. اما بالنسبة للأنشطة الصناعية الاخرى والخدمات، فانه يمكن القول انها في نفس الوضعية للقطاعات السالفة الذكر.

اذ بقيت الصناعات التقليدية في إطار العمل الحرفي البسيط والمتخصص في انتاج المرقوم والزربية القفصية في إطار محافظ وغير ممكن ومتطور نظرا لانعدام مراكز التكوين والتأهيل المتطورة تقنيا وتكنولوجيا، اضافة الى ضعف التسويق لهذه المهن الحرفية والتي ترتبط حتما بالنشاط السياحي الداخلي والخارجي.

السياحة بالجهة بقيت سياحة عبور نحو قبلي وتوزر، رغم ما تزخر به الجهة من مقومات السياحية الجبلية والعلمية والايكولوجية. وهو ما يفسر قلة النزل السياحية بالجهة واقتصارها على نزلين فقط بمدينة قفصة. وهو ما يجعل من هذا القطاع هشا وهامشيا على مستوى التشغيل والاستثمارات والمردودية.

امام تواضع اداء القطاعات المنتجة للثروة بالجهة كقطاع الفلاحة والصناعة والصناعات التقليدية والسياحة، فان ذلك سيؤثر على المبادلات التجارية وحركة البيع والشراء بالجهة. فوفق احصائيات الادارة الجهوية للتجارة بقفصة لسنة 2016، فان عدد المحلات التجارية بكل انواعها بكامل الولاية لا تتجاوز 4500 محلا تجاريا. مما يعكس ضعف قطاع التجارة بالجملة او بالتفصيل.

- مؤشرات التنمية الاقتصادية بجهة قفصة

بعد استعراضنا لاهم القطاعات الاقتصادية بالجهة وواقعها ومساهمتها التشغيلية، وانطلاقا من الدراسة التي انجزها المعهد العربي لرؤساء المؤسسات سنة 2018، يمكننا ان نلخص المؤشرات التنمية التنموية والاقتصادية لولاية قفصة فيما يلي:

- مؤشر التنمية لسنة 2018 لم يتجاوز 0.453، بل تراجع قليلا عما كان عليه سنة 2015 والمقدر بحوالي 0.467، وهو ما يعطي لجهة قفصة المرتبة 17/24 في مؤشر التنمية على المستوى الوطني. مما يعني ان الجهة في حالة تراجع تنموي حتى بعد 14 جانفي 2011، وذلك باعتبار محافظة حكام تونس الجدد على نفس الخيارات التي سبق و ان تم اتباعها تجاه الجهة من قبل.

- مؤشر الجاذبية الترابية لجهة قفصة لسنة 2016 يساوي 1.92 ويجعلها تحتل المرتبة 14 على المستوى الوطني. وهذا المؤشر هو اقل من المعدل الوطني الذي يساوي 2.12

- اما بالنسبة لمؤشر مناخ الاعمال، فان جهة قفصة تحتل المرتبة 22 خلال سنة 2018 بمؤشر يساوي 2.12، مع العلم ان الجهة قد تأخرت 4 مراكز بالمقارنة مع سنة 2017 حيث كانت في المرتبة 18 وبمؤشر يساوي 2.35

- هذه المؤشرات السلبية والمراتب المتأخرة في مجال التنمية والجاذبية الترابية ومناخ الاعمال تعكس مؤشرات تنموية واجتماعية أكثر قتامة، اذ تمثل البطالة حوالي **25.5%**، ونسبة الفقر حوالي **8 %**، ونسبة الفقر المدقع حوالي **3.6 %**. كما ان نسبة الامية تعد جد مرتفعة بالجهة من خلال وصولها الى مستوى **21.5 %**

وتعكس هذه المؤشرات التنموية والاقتصادية والاجتماعية ضعف انجاز الاستثمارات المبرمجة، اذ تؤكد التقارير الرسمية ان جهة قفصة قد رصدت لها خلال الفترة 2016-2019 حوالي 1.026 مليار دينار، لم تنجز منها سوى **49 %** فقط اي اقل من نصف المشاريع والاستثمارات المبرمجة.

المحور الثاني

المسار التاريخي لنشأة مدن الحوض المنجمي

المسار التاريخي لنشأة مدن الحوض المنجمي

1- مقدمة:

مـدن الحـوض المنجمـي: الرديـف وام العرائـس والمتلـوي والمظيلـة ليسـت مدنـا تاريخيـة مرتبطـة بحضـارات قديمـة. بـل هـي مـدن حديثـة النشـأة، ارتبـط وجودهـا باكتشـاف الفسـفاط والـشروع في اسـتخراجه. اي ان هـذه المـدن اوجدهـا الفسـفاط وارتبطـت بـه سـلبا كمـا ايجابـا. ذلـك انهـا لـم تكـن موجـودة قبـل 1881، فسـكانها الحاليـين كانـوا او اسـلافهم بـدوا رحـلا في شـكل قبائـل تتحـرك جنوبـا – شـمالا وفـق الفصـول. كمـا تتحـرك بـين القطريـن التونـسي والجزائـري باعتبـار انهـا لا تعـرف الحـدود اصـلا.

وإذا كان ميـلاد هـذه المـدن المنجميـة مرتبـط بالفسـفاط ابـان الاسـتعمار المبـاشر، فإنهـا بقيـت كذلـك بعـد 1956، حيـث واصـل الفسـفاط بنـاء هـذه المـدن واسـتيعاب يدهـا العاملـة والقيـام بـدور الدولـة الغائبـة تمامـا عليهـا منـذ نشـأتها.

فمـا هـو المسـار التاريخـي لنشـأة المـدن المنجميـة وكيـف تطـورت تباعـا وفـق حضـور الفسـفاط وتخليـه عنهـا.

2- الإطار العام لنشأة مدن الحوض المنجمي:

يمكـن تلخيـص نشـأة مـدن الحـوض المنجمـي بقفصـة في ثـلاث مراحـل ترتبـط ارتباطًـا وثيقًـا بإسـتغلال الفسـفاط و بشركـة صفاقـس- قفصـة والـتي اصبحـت سـنة 1974 شركـة فسـفاط قفصـة CPG.

وترتبـط المرحلـة الأولى المصنفـة عـلى أنهـا الأكـثر حسـماً «بالعـصر الذهـبي» للفسـفاط. فهـي فـترة الاسـتثمارات الضخمـة، وإنشـاء البـنى التحتيـة للاسـتخراج الـتي اسـتمرت حـتى عـام 1930. اذ تميـزت الثلاثينيـات بتضخـم المـدن الحديثـة النشـأة المرتبطـة بتوسـع إسـتغلال الفسـفاط.

لكـن ابـان الازمـة الماليـة العالميـة لسـنة 1929 والـتي كانـت لهـا تداعيـات اجتماعيـة كبـيرة عـلى مـدن الحـوض المنجمـي الى سـنة 1956، في علاقـة بتراجـع الاسـتثمارات الفسـفاطية مقابـل ارتفـاع منسـوب الهجـرة لهـذه المـدن الجديـدة، والـتي فرضـت توسـعها بشـكل دائـري محـاذ للمثـال الهنـدسي الاوروبي الـذي تأسسـت ببدايـة الاسـتثمارات الكـبرى لإسـتغلال الفسـفاط قبـل اسـنة 1930

ونتيجـة لذلـك، فـإن الزحـف العمـراني لمـدن الإسـتغلال، مـع وجـود تشـابه لا جـدال فيـه، يتأثـر بمجموعـة مـن العوامـل اهمهـا رحيـل المديريـن التنفيذيـين الفرنسـيين العاملـين في الشركـة والإيطاليـين الذيـن عاشـوا في المـدن المجـاورة للمـدن الأوروبيـة حيـث تـم اسـتبدال هـؤلاء مـن قبـل المديريـن التنفيذيـين للشركـة الذيـن هـم أساسـا مـن المهاجريـن مـن السـاحل ومـن تجمـع قفصـة والقصـر. امـا العامـل الثـاني حـتى عـام 1960، قامـت الشركـة ببنـاء 1118 وحـدة سـكنية. بلـغ إجمـالي عـدد المسـاكن 2249 وفي سـنة 1983 غـادر

موظفي الشركة بعد تقاعدهم والذين تخلوا عن منازلهم لموظفي الإستغلال الجدد (التونسيون: المديرون المتوسطون والعمال المهرة).
ليتم استخدام المساكن الشاغرة لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الوافدين (التونسيين والعمال الأجانب). وبالتالي، أدى معدل الشغور في المساكن التابعة للشركة وتوفرها تحت تصرف الوافدين الجدد إلى انخفاض ملحوظ في التوسع في المساكن في مدن الإستغلال.

فشركة الفسفاط لم تكن مجرد شركة توفر مواطن الشغل لعدد من العمال بل تحولت الى مؤسسة لمدن وحاضنة لها على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية والرياضية والصحية. بل يمكن القول انها والى حدود السبعينات كانت توفر جل الخدمات العامة لجل سكان مدن الحوض المنجمي. اي انها كانت تقوم مقام الدولة بشكل كامل ولفترات زمنية كبيرة.

3- نشأة وتطور مدن الحوض المنجمي:

3-1 نشأة وتطور مدينة المتلوي

المتلوي هي الأولى والاكبر من بين مدن الحوض المنجمي الأربعة على جميع الاصعدة. تاريخيا، تأسست مدينة المتلوي في عام 1898، وتم الإعلان عن المدينة رسميًا بتاريخ 11 سبتمبر 1908. وتم توسيع محيطها البلدي بمرسوم بتاريخ 25 ماي 1978.

تقع مدينة المتلوي على بعد 40 كم جنوب غرب مدينة قفصة، وهي قلب الحوض المنجمي. تتميز المدينة بموقعها في أسفل سلسلة جبال المتلوي والرديف. التضاريس جبلية، تتشكل من طرف كشرب، وتمتد إلى الشمال من خلال منطقة جبلية أيضًا، المقابلة لمقاطع الإستغلال (رواسب الفسفاط)، وتمتد منطقة أخرى من نفس النوع باتجاه الجنوب، مع منطقة مختلفة بمصطبة جيولوجية.

إن الموقع الجغرافي للمدينة يمنحها دورًا مزدوجًا، أحدهما مرتبط بأنشطة الإستغلال، والآخر مرتبط بالأنشطة الزراعية.

مدينة المتلوي هي مدينة الفسفاط بامتياز من خلال كونها مكان اكتشافه لأول مرة سنة 1883 بمنطقة الثالجة. كما ارتباطاً تطورها بتطوير مناجم الفسفاط، ذلك انها احتضنت اول المناجم الاستخراجية الجوفية سنة 1885.

وهو ما فرض تركيز البنية التحتية الصناعية لإستغلال الفسفاط بداية من سنة 1887. فتم إنشاء خط سكة حديدي بين المتلوي وصفاقس على طول 243 كلم.

محطة القطارات بالمتلوي

لقد مكنت السكك الحديدية من نقل مادة الفسفاط الخام إلى ميناء صفاقس للتصدير. وللتاريخ، تم نقل أول شحنة من الفسفاط من المتلوي إلى صفاقس عبر خط السكك الحديد نهاية عام 1889 لقد تطورت مدينة المتلوي باعتبارها مركز لاستخراج الفسفاط من الناحية الصناعية والناحية العمرانية وفق مجددين اثنين:

- المحدد الصناعي: مواقع الانتاج الجوفية والسطحية وفضاءات معالجة وتثمين الفسفاط
- المحدد البشري: صعوبة استكمال خط سكة حديد المتلوي - قفصة - قابس حيث تم ربط خط سكة حديد توزر المتلوي بعد ذلك بقليل.

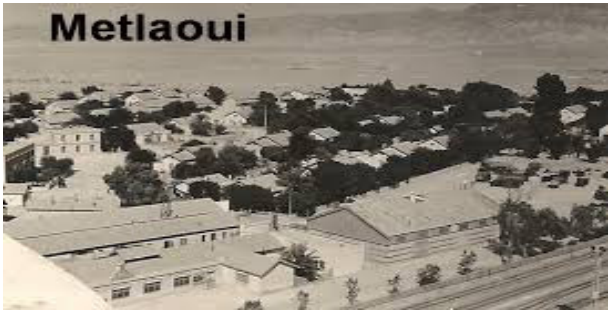

وبتطـور البعـد الاسـتخراجي والتثميـني لمـادة الفسـفاط، شـهدت المدينـة منـذ نشـأتها تطـور عمـراني متقطـع ومتأثـر بعوامـل اقتصاديـة واجتماعيـة وسياسـية، فتراوحـت في الفـترة الاولى لنشـأتها بـين تطـور سريـع يتميـز بعـدم الاسـتقرار في قـرى المهاجريـن المحليـين والمسـتوطنين الأوروبيـين حيـث سـاهم بنـاء المدينـة الأوروبيـة زيـادة نسـبة عائـدات المسـتعمر الفرنـسي مـن عمليـات إسـتغلال الفسـفاط. الا انـه بـين عامي 1940 و1970 تـم رصـد انتشـار المسـاكن الفوضويـة والفصـل الحـضري وذلـك عـلى إثـر إنشـاء سلسـلتين جديدتـين في عـام 1966 و1968 في منطقـة التجفيـف القديمـة.

خـلال سـبعينيات القـرن المـاضي شـهدت المدينـة زحفـا عمرانيـا كبـيرا، ادى إلى تطويـر المدينـة إلى وضعهـا الحـالي. فاسـتقرت الامتـدادات العمرانيـة الوافـدة نحـو جنـوب المدينـة بدعـم وتوجيـه مـن قبـل المؤسسـات العموميـة السـكنية SNIT و SPROLS خـلال عـام 1980. امـا الجـزء الجنـوبي الـشرقي والشـمالي الغـربي للمدينـة فـكان مسرحـا للمسـاكن العفويـة والفوضويـة غـير المؤطـرة مـن طـرف مؤسسـات الدولـة المهتمـة بالإسـكان.

صورة لمحطة القطارات خلال السبعينات
(صورة للذكرى بعدما تم هدم البناية بعد 14 جانفي 2011)

ومع بداية العام 1980 شهدت المدينة امتداد حضري نحو جنوب المدينة على إثر سلسلة اعمال موجهة تتمثل في بناء وحدات سكنية اجتماعية جديدة مما ساهم في نشأة مساكن غير مبرمج لها في الجزء الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي. نتيجة لذلك، شهدت المدينة تحولين جذريين مع ظاهرة مزدوجة: الاختناق المحيطي وتطوير «موقع المتلوي الجديد».

بشكل عام، تم بناء الكثير من المساكن في مدينة المتلوي بدون ترخيص. هذا هو التحضر غير القانوني في مناطق الارتفاق، وخاصة تلك المرتبطة بمناطق الإستغلال السطحي. مما حول المدينة الى فضاء كبير للتوسع العمراني الفوضوي. واعتبارا لكل ما تم ذكره، أصبح الفضاء العمراني بالمدينة سنة 2016، يغطي ما يقارب 1380 هكتارًا، منها 170 هكتارًا تابعة للمناطق الصناعية المستغلة من طرف شركة فسفاط قفصة.

3-2- نشأة وتطور مدينة الرديف

تعتبر مدينة الرديف ثاني أكبر مدن الحوض المنجمي بعد المتلوي. حيث أعطى الرديف اسم مدينة الإستغلال المنجمي، التي تأسست عام 1906. قبل اكتشاف الفسفاط، كانت منطقة الرديف او ما يعرف ببئر الخنفوس منطقة تجمع أكثر من كونها منطقة رعي، وكانت في السابق خالية من السكان إلى حد كبير. لدى نشأته وصف الرديف بأنه ليس مدينة أو قرية إنها مجموعة، معسكر إداري، ضاحية بلا مدينة ... لا شيء سوى الآلات والأسلاك الكهربائية والعربات والجبل.

تقع الرديف على بعد حوالي 75 كلم شمال غربي مدينة قفصة. موقعها الجغرافي في أسفل الجبل وفي بداية المنخفضات يمنحها دورًا مزدوجًا: الأول يرتبط بأنشطة الإستغلال المنجمي، والثاني مرتبط بالأنشطة الزراعية، لا سيما التشجير والرعي.

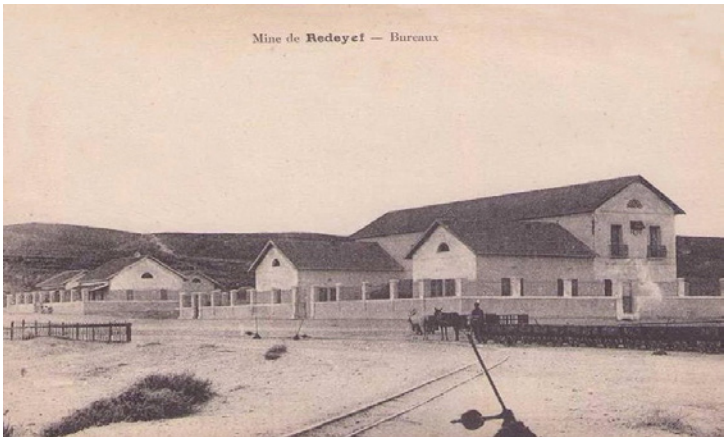

ارتبـط تطـور بلـدة الرديـف ارتباطًـا وثيقًـا بتطويـر رواسـب الفسـفاط. تـم اتخـاذ القـرار بفتـح العمليـة في عـام 1904. وبعـد ذلـك بعامـين، بـدأت المنشـآت الصناعيـة والعمرانيـة بالإضافـة إلى إنشـاء خـط سـكة حديـد بطـول 42 كيلومـترًا يربـط المتلـوي بالرديف.وهـو مـا مكـن مـن تطويـر وازدهـار المدينـة الحديثـة النشـأة خاصـة خـلال الفـترة المتراوحـة مـا بـين 1906 إلى 1920.

تطـورت الاسـتثمارات وتطـور الإسـكان التلقـائي بشـكل كبـير خـلال هـذه الفـترة. يحتفـظ هيـكل المدينـة بفئاتـه الاجتماعيـة مـن السـكان الذيـن ينقسـمون، مثـل مدينـة المتلـوي، إلى ثلاثـة طوابـق وفقًـا للمعادلـة التاليـة: هنـاك ثلاثـة شـوارع، وثـلاث فئـات، وثـلاث طبقـات اجتماعيـة، كمـا تميـز عـام 1909 بافتتـاح خـط السـكة الحديـد الـتي سـاعدت في تطويـر نسـق انتـاج الفسـفاط.

بـين عامـي 1920 و1940: تمـيزت هـذه الفـترة بتطـور إنتـاج الفسـفاط بالتـوازي مـع توسـع المدينـة في شـكل مـن أشـكال الفصـل بـين المسـاكن المخطـط لهـا الـتي قامـت بهـا الشركـة والمسـاكن الفوضويـة الـتي قـام بهـا السـكان الأصليـون او الوافـدون الجـدد مـن العديـد مـن المناطـق وخاصـة مـن ليبيـا والجزائـر والمغـرب.

صور تاريخية للمغازة العامة بالرديف سنة 1913

حالة المغازة العامة بالرديف اليوم

يمكن اعتبار الفترة ما بين 1940 و 1960، الاكثر جذبا للسكان من خارج دائرة السكان الاصليين. حيث تميز عام 1940 بظهور نواة منطقة مركزية متعددة الوظائف تسمى «سوق الرديف» يسكنها أجانب (الصوافة والطرابلسية والمغاربة) استقروا في جميع أنحاء وسط مدينة رديف.

تم إنشاء منطقة تخزين بالقرب من المغسلة الحالية. لكن الأزمة الاقتصادية العالمية أدت إلى انخفاض حاد في إنتاج الفسفات. شهد عام 1950 تشغيل مصنع التخصيب مرة أخرى، مما ساعد على إنعاش نشاط المنجم. بعد عشر سنوات، تم بناء حي المحطة، حيث بدأت المجموعات الأفقية الوافدة الأولى في احتلال المدينة الذي أصبح أكثر وضوحًا.

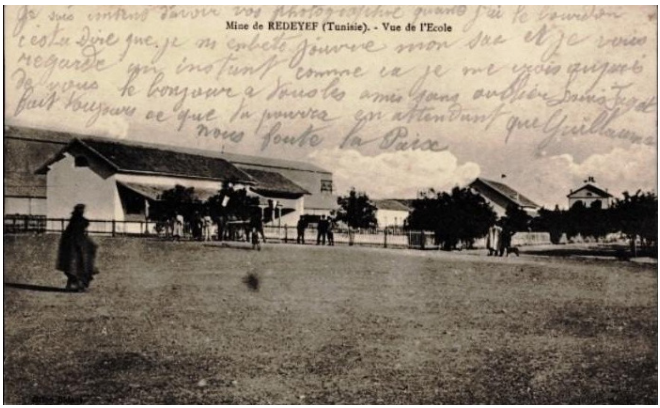

بين عامي 1960 و2000: تميزت الفترة التي عقبت الاستقلال بسنوات قليلة التوسع العمراني الافقي، مما أدى إلى تهجير الاستخراج إلى الجنوب، فأخذت الانشطة بعيدا عن المركز الصناعي.
وبالتالي تحولت الامتدادات العمرانية نحو الشرق، اي نحو الاراضي الواقعة فوق مواقع الإستغلال تحت الأرض القديم، مما يتسبب في خطر انهيار الأرض مما اضطر عدد من المديرين التنفيذيين الأوروبيين من مغادرة منازلهم التي تطورت في ما بعد بجميع أشكالها، مما يقود المدينة إلى وضعها الحالي.

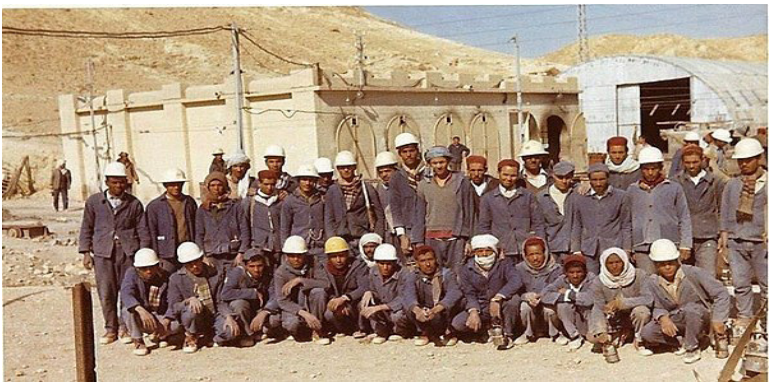

بين سنتي 1965 و2000: بمساعدة بلدية الرديف، استأنف المجمع السكني في عام 1967 برنامج إسكان يقوم على إنشاء مائة سكن شعبي في وسط وشرق المدينة وأضيفت إليها توسعة 10 فيلات. كما تم بناء مجموعة متكونة من 250 سكنًا للعمال تمدد المدينة باتجاه الشرق، الأمر الذي يميل إلى تغيير ثقل التكتل أكثر فأكثر في هذا الاتجاه. في عام 1965، تم إنشاء المستشفى الجديد والمنطقة الصغرة متعددة الوظائف التي تحيط به.

بين عامي 2000 و 2016: شهدت المدينة امتدادًا إلى الشمال الشرقي على طول الطريق المؤدي إلى قفصة وامتدادًا طفيفًا إلى الجنوب الغربي، وبالتالي الابتعاد عن المغسلة ومناطق التخزين الخاصة بها. اقترح مثال التهيئة العمرانية بالرديف سنة 2009 توسعة تكون حضرية على المنحدر الذي يحد المدينة على الجانب الجنوبي والشمالي؛ يمكن أن تكون حضرية ولكن بتكلفة إعادة تأهيل عالية إلى حد ما.

تقع المناطق السكنية والمنطقة الصناعية في موقع سيئ بشكل خاص بالنسبة لبعضهما البعض، اعتمادًا على الرياح السائدة. المركز متعدد الوظائف مجهز بشكل معتدل وذو موقع جيد بالنسبة للمدينة بأكملها. الاحياء، في معظمها فوضوية، خالية حقًا من جميع المرافق، الرديف مدينة مترامية الأطراف، حيث يندر البناء الرأسي، إن لم يكن غير موجود ومن هنا يمكننا القول أن الهيكل العمراني للرديف أفضل نسبيًا من مدينة المتلوي.

3-3- نشأة وتطور مدينة ام العرائس

تقع مدينة ام العرائس على بعد 50 كم غرب مدينة قفصة، تأسست المدينة على الجانب الجنوبي من جبل سطح (صخور شديدة الصلابة) الذي يربط مدينة قفصة بأم العرائس عبر وصلات جبل بن يونس سنة 1908.

ام العرائس لديها مرافق صناعية تم إنشاؤها بعد الحرب العالمية الأولى على الرغم من الحصول على الودائع في عام 1906. أدت الأهداف التجارية للسلطات الاستعمارية إلى تأخير الإستغلال.
كانت المدينة تعتمد على الرديف، منذ إنشائها وحتى الخمسينيات من القرن الماضي لقرب المسافة وللتطور العمراني والمؤسساتي للرديف آن ذاك، تم تأسيسها كبلدية عام 1956.

تبرز مدينة ام العرائس، من خلال البناء المتزامن للمدينة الأوروبية ومدن عمال المناجم، ولكنها منفصلة عن بعضها البعض حيث أخذت الشركة قضية عدم الاستقرار العمالي على محمل الجد. قبل عام 1930 تميز استيطان المدينة بمرحلتين رئيسيتين هما: الاستحواذ على الاراضي الغنية بالفسفاط (1902-1908)، يليه تركيب نواة حضرية (1918-1930).

انشات المنطقة الصناعية المتولدة عن التركيب شبكات أساسية مختلفة؛ دوائر الفسفاط من المناجم إلى المقرات في القلب الحضري للمدينة، ثم إلى المتلوي. تبدأ التركيبات الصناعية بمنطقة التجفيف أولاً ثم، خزان التخزين، الذي كان يخزن في عشرينيات القرن الماضي 17000 طن من الفوسفاط التجاري.

بالرغـم مـن أن ام العرائـس هـي أول مدينـة إسـتغلال حيـث تـم إنشـاء قريـة العمـال في نفـس الوقـت كقريـة الأوروبيـين، إلا أن الاهتمـام بالفصـل العنـصري واضـح. المنطقـة المخصصـة للقريـة للمديريـن التنفيذيـين الأوروبيـين (130 وحـدة سـكنية) هـي منطقـة حـرة خاضعـة لـلإشراف حيـث يكـون تعامـد الإطـارات وترتيـب الوحـدات السـكنية صارمًـا كمـا يظهـر نحـو 20 إلى 30 مسـكنا، عـلى الجانـب الآخـر مـن خـط السـكة الحديـد إلى الشـمال. إنهـا قريـة العمـال، وهـي منفصلـة تمامًـا عـن القريـة الأوروبيـة.

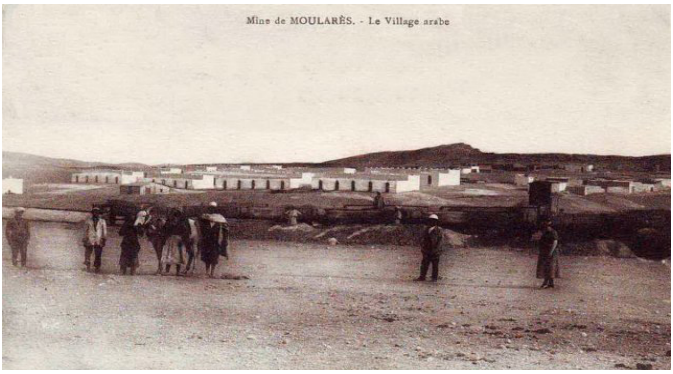

بـين عامـي 1930 و1956 وقـع الاهتمـام بالفصـل العنـصري شـهدت ام العرائـس القليـل مـن التحـول مـن وجهـة نظـر صناعيـة وحضريـة فـكان تحـضر فوضـوي مـن نـوع عفـوي وشـبه تقليـدي ذو طابـع عـرقي يشـغله بشـكل رئيـسي العمـال غـير المهـرة مـن الشركـة. تزامـن مـع شـحن الخـام عـبر ميناء صفاقـس منـذ عـام 1941 بـدلاً مـن ميناء سوسـة، حيـث أزعـج التنظيـم الأولي للمـدن مقارنـة بمعـدات التعديـن والسـكك الحديديـة والتجفيـف ومناطـق التخزيـن.

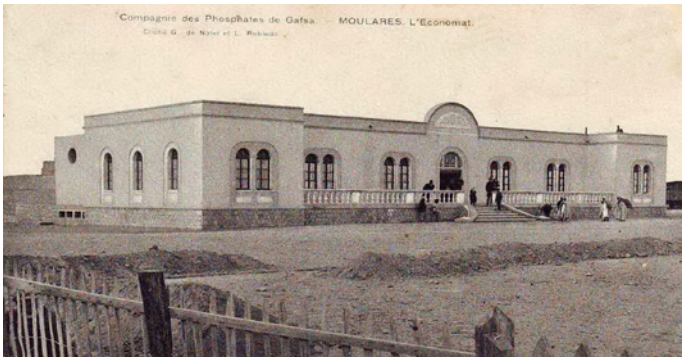

بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، بـدأ شـكل آخـر مـن أشـكال الاسـتقرار في الظهـور. عـبر مسـاكن متناثـرة تمتـد إلى جنـوب وشرق المدينـة، عـلى الرغـم مـن أن إدارة الإسـتغلال المنجمـي تميـل إلى الحـد مـن الفـوضى وتحسـين المناطـق المأهولـة (نفـس الإجـراء لمـدن الإسـتغلال الأخـرى).

لمدة 30 عامًا (من 1956 إلى 1986)، شهدت المدينة تطورًا حقيقيًا، كان بطيئًا بعض الشيء في بداية الاستقلال ولكنه ملحوظ بشكل واضح من عام 1965 حتى الثمانينيات. تميز هذا التحول في المقام الأول من خلال إنشاء نواة حضرية جديدة، مخططة إلى حد ما وفقًا لشبكة متعامدة بسيطة مقترنة بتكاثر الموائل التلقائية مجهزة ببعض البنى التحتية الأساسية ولكنها لا تأخذ في الاعتبار احتياجات السكان.

بعد عام 1986، اقتربت الامتدادات الحضرية من مواقع الإستغلال والتجفيف، وحتى بعض مراكز الإستغلال المصنفة حاليًا على أنها خطرة حيث تم غزو حوالي **80 ٪** من المساحات المخصصة بمثال التهيئة الترابية للمدينة لعام 1986 من قبل الإنشاءات الفوضوية. تتكون المدينة من ثلاث مجموعات متميزة، واحدة عن الأخرى: المنطقة الصناعية في الوسط، والقرية (أو المدينة الاستعمارية) إلى جانب المدن العمالية، والمساكن الفوضوية في ضواحي المدينة.

3-4- نشأة وتطور مدينة المظيلة

ظهر اسم المظيلة عام 1909 بعد اكتشاف رواسب الفسفاط تضم المنطقة الحضرية. المظيلة ثلاثة كيانات حضرية: محلية البرج ومحلية جبل المظيلة وبلدية المظيلة. تقع بلدة المظيلة على بعد 20 كلم جنوب قفصة، حيث يعتبر خام الفسفاط هو السبب الوحيد لوجود هذه المنطقة.

كانت مدينة المظيلة أول من خضع لخطة تطوير في حوض قفصة المنجمي، بناءً على دورها الاستخراجي وارتباطها وقربها من مدينة قفصة. تم تنفيذ هذه الخطة من قبل وحدة إدارة المشروع في عام 1979 وتم تحديثها في عام 2009. وقد مر التطور المكاني لمدينة المظيلة بأربع مراحل رئيسية. تتوافق المرحلة الأولى مع ولادة المدينة، وتمتد من عام 1900 إلى عام 1930.

يقتصر المركز الحضري للمظيلة على المدينة المركزية التي تم إنشاؤها في الأعوام من 1915 إلى 1920 والتي تشكل المركز الصناعي الحالي للمظيلة. تميزت الثلاثينيات بإنشاء مستوطنات منتشرة إلى الغرب من حي المركز بالإضافة إلى النواة الأولى.

اشـتملت الأعمـال التحضيريـة للتعديـن بـين عامي 1920 و1923 عـلى إنشـاء خـط سـكة حديـد بطـول 15 كلـم مـع خـط صفاقـس – قفصـة. في ذلـك الوقـت، كان الموقـع بدائيًـا جـدًا؛ أقيـم المنجـم بالقـرب مـن الـبرج، بعـض المسـاكن الخدماتيـة، وثكنـة صغـيرة ومندوبًـا للعمـال المحليـين. الغالبيـة العظمى مـن عمال المناجـم يسـتقرون في أقـرب مـكان مـن الإسـتغلال في مسـاكن الكهـوف.

تمتـد المرحلـة الثانيـة حـتى الاسـتقلال: لـم يبـدأ تركيـب القريـة إلا بعـد عـام 1923 عـلى الرغـم مـن أن الخطـط اتبعـت بعضهـا البعـض منـذ عـام 1920. أمـا بالنسـبة للعمـال المحليـين، فقـد تـم التخطيـط لإقامتهـم عـلى بعـد جيـد مبدئيًـا مـن المؤسسـات الهامـة الـتي يعـود تاريخهـا إلى عـام 1921، والمعروفـة في عـام 1930، تحقيـق جـزئي. سـيكون للأزمـات الاجتماعيـة تداعيـات كبـيرة عـلى تطـور التكتـل العمـراني، لا سـيما بعـد عـام 1936. تنبثـق المشـاكل المذكـورة مـن الظـروف المعيشـية العامـة حيـث يغـادر السـكان كل عـام. وتجـدر الإشـارة إلى أن السياسـة الاسـتعمارية في الخمسـينيات كانـت سياسـة زيـادة الإنتـاج دون الاسـتثمار الصناعـي. وبالتـالي فقـد تجاهلـت تمامًـا أي شـكل مـن أشـكال التوسـع العمـراني المخطـط لـه.

بـين الاسـتقلال وثمانينيـات القـرن المـاضي: بدايـة السـبعينيات، تتوافـق مـع قمـة توظيـف الموظفـين (العمـال والمديريـن التنفيذيـين) وتتزامـن مـع افتتـاح وظائـف التشـغيل مـع العلـم أن أعمـال الاسـتخراج لـم تكـن جيـدة بعـد. تـم تنفيـذ غالبيـة التوسـعات الحضريـة في السـتينيات حـتى الثمانينيـات. بعـد عـشر سـنوات، اصبحـت سياسـة الإسـكان، أكـثر وضوحًـا مـن خـلال إنشـاء 100 مسـكن شـعبي وهـي تشـكل المرحلـة الأولى مـن مجمـع سـكني كبـير، بشـكل خـاص رتيـب وكئيـب، حيـث سيشـكل 270 مسـكنا في 1967 و1968 في المرحلـة الثانيـة. حاليًـا، هـم غـير مشـغولين بسـبب الرفـض مـن المجمـع الكيميـائي التونـسي.

خـلال الثمانينـات: تميـزت المدينـة عمرانيـا عـلى مشـارف وسـط المدينـة وتوسـع حـضري ضئيـل غـير مخطـط لتوسـعته مـن قبـل السـلطات. بـدأ بإنشـاء 432 وحـدة سـكنية، وهـو لذلـك سـيكون مجمعـا سـكنيا

جديـدًا يوضـع عـلى رأس المجمـع السـكني القديـم وغـير المتكامـل. تطـورت المسـاكن حـول المدينـة المركزيـة عـلى طـول المحـاور الجنوبيـة الغربيـة والشـمالية الشرقيـة وعـلى الطريـق المؤديـة إلى قفصـة. هذا التطـور يحـصر بشـكل متزايـد المركـز الكبـير للمظيلـة في موقـع هامـشي، ممـا يزيـد مـن تفـكك المدينـة، وبالتـالي تقديـم عقـارات سـكن العمـال. المبـاني في بلـدة المظيلـة «كاملـة القـدم»، باسـتثناء عـدد قليـل مـن المبـاني المتناثـرة، وتقـع بشـكل رئيـسي في المنطقـة الوسـطى. حـول المدينـة المركزيـة، أصبـح المركـز الثانـوي متدهـورًا، بسـبب القضـاء عـلى الفصـل بـين الاحيـاء المخططـة والفوضويـة ولتطويـر البلديـة عـلى طـول طريـق قفصـة في مسـاكن غـير مخططـة في الغالـب.

هـذا الغمـوض في النسـيج العمـراني يجعـل أي محاولـة للتنظيـم وإعـادة التأهيـل مكلفـة للاحتفاظ بالسـكان. وهكـذا، فـإن المدينـة محتلـة مـن قبـل تسلسـل هرمـي، الأول يتميـز بالتخطيـط الهنـدسي حصريًـا مـن عمـال CPG وشركـة الإسـكان SPROLS. والثـاني لا يقـدم طريقـا منتظمـا، بـل يتـم إنشـاؤه مـن قبـل مواطـني المظيلـة بمـن فيهـم عمـال الشركـة.

4- الخلاصة:

بعـد اسـتعراضنا بشـكل ملخـص للمسـار التاريخـي لنشـأة مـدن الحـوض المنجمـي، يمكننـا القـول انهـا ولـدت مـن رحـم الفسـفاط وتطـورت مـن خـلال تطـور إسـتغلاله خـلال 130 سـنة الماضية.كما تبـين مـن خـلال هـذا الرصـد التاريخـي لنشـأة وولادة مـدن الحـوض المنجمـي انهـا كانـت محضنـة لموجـات مـن الهجـرة الداخليـة والخارجيـة طيلـة النصـف الاول مـن القـرن المـاضي. وكان ذلـك لـه التأثـير الكبـير عـلى التنـوع السـكاني والتمـازج الثقـافي لهـذه المـدن. اذ كانـت هجـرة الاشـقاء مـن ليبيـا والجزائـر والمغـرب خاصـة نمـوذج للوحـدة بـين الاشـقاء والتعايـش بشـكل جعـل احيـاء بكاملهـا تسـمى بأسـماء اشـقائنا واوطانهـم (حـي الطرابلسـية بالمتلـوي والرديـف) وحـي الصوافـة وحـي المـروك بالرديـف.

كمـا ان تهيئـة المسـتعمر لمـدن الحـوض المنجمـي لـم تكـن لصالـح العمـال المحليـين، بـل لفائـدة الجاليـات الاوروبيـة الـتي اتـت للعمـل في اسـتخراج الفسـفاط. فـكان معمـار الاحيـاء عـلى الطريقـة الاوروبيـة لخلـق منـاخ غـير بعيـد عـن دول العمـال الاصـلي لحثهـم عـلى البقـاء في مناطـق لـم تكـن معـدة اصـلا للاسـتقرار والسـكن والعمـل. اذ ان غالبيـة سـكان المـدن المنجميـة سـابقا كانـوا رحـلا لا يسـتقرون بهـا الا نـادرا. فـكان الفسـفاط العامـل الحاسـم الـذي فـرض عـلى هـذه القبائـل والرحـل الاسـتقرار ولـو بشـكل نسـبي في بدايـة القـرن المـاضي.

كمـا تـرك المسـتعمر عنـد مغادرتـه مسـاكن ومغـازات وملاعـب للتنـس وقاعـات للسـينما وحدائـق ومنتزهـات كانـت طبعـا حكـرا عـلى العمـال والفنيـين الاوروبيـين. وبعـد المغـادرة اسـتقر بهـا المسـؤولون الجـدد لشركـة الفسـفاط. ولكـن وامـام غيـاب الدولـة عـن هـذه المـدن المنجميـة الـتي بقيـت تحـت رحمـة شركـة فسـفاط قفصـة، فـان كل هـذه البـنى التحتيـة وبمـرور الزمـن قـد تقادمـت وانهـارت واصبحـت خـارج الخدمـة، بعـد التخـلي التدريجـي للشركـة عـن دورهـا الاجتماعـي والاقتصـادي، زد عليهـا غيـاب الدولـة،

فما هو واقع هذه المدن حاليا؟

المحور الثالث

تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي

تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي

1- تمهيد:

مثل سنة 2008 لحظة فارقة في تاريخ الحوض المنجمي ومدنه. فهي اللحظة التي انتفض فيها اهالي الحوض المنجمي ضد الفقر والتهميش والاقصاء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ذلك انه يوم 5 جانفي من سنة 2008 خرجت مجموعة من السكان بمنطقة الرديف على إثر نتائج مناظرة انتداب بشركة فسفاط قفصة مطالبة بالشغل والحرية والكرامة الوطنية.

اذ ان هذا الشعار هو الذي امتد من 2008 من مناطق الحوض المنجمي ليشمل الحركة الاجتماعية التي انطلقت يوم 17 ديسمبر 2010. لذلك يمكننا القول ان ما حصل يوم 14 جانفي 2011 في تونس ليس الا امتدادا حتميا لما حصل في الرديف 2008.

لم تكن احداث الحوض المنجمي الا تعبيرة صادقة في إطار كتلة تاريخية بالمنطق القرامشي على رفض الإستغلال المجحف لثروات هذه المدن وتركها للفقر والتهميش والبطالة وتدني ابسط مرافق الحياة الاساسية بها.

فهذه المدن التي تضخ ملايين الدينارات يوميا لخزينة الدولة من خلال إستغلال الفسفاط تحرم حتى من الماء الصالح للشراب وابسط خدمات الصحة والتشغيل لأبناء العمال الذين أفنوا اعمارهم في العمل في دواميس الفسفاط المظلمة والمميتة. فما هو واقع هذه المدن الحالي بعد 130 سنة من إستغلال الفسفاط وبعد 12 سنة على احداث الحوض المنجمي، وبعد 10 سنوات على ما سمي بثروة 14 جانفي 2011 ؟

2- تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي:

تقع مدن الحوض المنجمي: الرديف وأم العرائس والمتلوي والمظيلة بالجنوب والجنوب الشرقي للولاية. وتعتبر هذه المدن مركز إستغلال الفسفاط بالبلاد ككل منذ حوالي 131 عاما.

يتميز الإطار الجغرافي للحوض المنجمي بالطابع الجبلي لجل المدن أين تنتشر مقاطع الفسفاط السطحية والمغاسل. كما تتميز مدن الحوض المنجمي بارتفاع نسبة سكان المدينة مقابل ضعف سكان الارياف ما عدى بمدينة ام العرائس التي يتجاوز فيها سكان الارياف 27 بالمائة من العدد الجملي للسكان. بلغ عدد سكان الحوض المنجمي وفق إحصائيات 2014 حوالي 107 آلاف ساكن، ليتراجع خلال سنة 2020 الى حدود 103114 بنقص بحوالي 4 آلاف ساكن. وهو ما يعني ان هذه المدن طاردة للسكان وخاصة مدينة ام العرائس التي تراجع عدد سكانها من سنة 2004 الى سنة 2020 بحوالي 10271 ساكن ما يمثل **32 %** من العدد الجملي لسكان المدينة سنة 2004.

1-2- مدينة المتلوي

تعتبر المتلوي المدينة الأكبر بمنطقة الحوض المنجمي وثاني مدينة من حيث الأهمية بالولاية بعد مدينة قفصة. كما تمثل مدينة المتلوي ثقل إنتاج الفسفاط بالبلاد، مما جعلها تحتضن جل المصالح المركزية والحيوية لشركة فسفاط قفصة.

المؤشرات الديموغرافية

قدر عدد سكان مدينة المتلوي سنة 2020 بحوالي 39155 ساكن بعد ما كان سنة 2014 38634 ساكنا، اي بزيادة ضعيفة لا تتجاوز 500 ساكن (نسبة **1.2 %**) خلال 6 سنوات الاخيرة. وهو ما يؤكد ان مدن الحوض المنجمي مدن طاردة للسكان لانعدام اسس الحياة الكريمة بها.

يبلغ عدد الإناث 19499 وعدد الذكور 19656، مما يعطي نسبة الذكور بمدينة المتلوي تقدر بحوالي **50.2 %.** كما تعد مدينة المتلوي 8980 عائلة، بشكل يجعل معدل العائلة بالمدينة يقدر بحوالي 4.35 فرد/العائلة، وهو أكبر من المعدل الوطني الذي لا يتجاوز 4.05 فرد/العائلة.

تعتبر المتلوي مدينة شابة، حيث تقدر نسبة السكان ذات الشريحة العمرية ما بين 15 و35 سنة بحوالي**34 %**. اما أن نسبة السكان ذات الشريحة العمرية التي تتراوح ما بين 25 و50 سنة تقدر بحوالي43 بالمئة، وهو ما يعني أن نسبة طالبي الشغل كبيرة بالمدينة، وأمام انعدام التنمية فان نسبة البطالة حتميا ستكون مرتفعة.
كما يقدر عدد المنازل بحوالي 9959 منزلا، مما يعطي نظريا أن لكل عائلة بالمدينة 1.12 مسكنا.ولكن الحقيقية الميدانية بينت عكس ذلك تماما، إذ هنالك أكثر من **12 %** من العائلات لا تملك مسكنا.

نظرا لكبر المدينة سكانيا وعمرانيا، فان المتلوي تحتضن 10 أحياء سكانية وفق ما يبينه الجدول التالي:

الحي	المتلوي المركز	المتلوي المحطة	المزيرعة	حي الأمل الغربي	حي الأمل الشرقي	الثالجة	المقرون	السقي الجنوبي	كريشة النعام	وادي العرتة
عدد السكان	4805	7335	4210	9116	1395	7153	1241	198	288	1974

يقدر سكان المناطق الحضرية بالمتلوي بحوالي 38538، مقابل 650 ساكنا فقط بالريف (بالتحديد بمنطقة السقدود 2)، مما يعطي نسبة السكن الحضري بالمدينة تقدر بحوالي **98.4 %**، وهي من ارفع النسب على المستوى الوطني.

مؤشرات التنمية البشرية

سنحاول في هذا الباب التعرض لمجمل مؤشرات التنمية البشرية بالمدينة والتي ترتبط اساسا بالتمدرس وواقع البطالة والفقر والامية وإطار العيش للسكان بشكل عام.

مؤشر التعليم و التمدرس

من خلال كتاب الاحصاء المدرسي للسنة الدراسية 2018-2019 الخاص بولاية قفصة، والصادر عن وزارة التربية، يقدر عدد التلاميذ والتلميذات بالتعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي بالمتلوي بحوالي 6491 تلميذة وتلميذ، مما يعطي نسبة تمدرس بحوالي **97 %**.

ويتوزع عدد التلاميذ حسب الجنس والمراحل التعليمية وفق الجدول التالي:

	عدد التلاميذ			عدد المؤسسات التربوية	عدد الفصول	مؤشر عدد القاعات / مؤسسة	متوسط كثافة الفصل
	اناث	ذكور	الجملة				
المرحلة الابتدائية	1645	1735	3380	13	158	9,5	21,4
المرحلة الإعدادية	819	803	1622	7	140	27,7	22,2
المرحلة الثانوي	857	632	1489				

مؤشر الفقر

وفق التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعية، يتقدر نسبة الفقر بالمتلوي سنة 2016 بحوالي **22 %**، وهي نسبة اعلى من النسبة الوطنية المقدرة وفق الارقام الرسمية بحوالي **15.8 %**، وهي كذلك تتجاوز نسبة الفقر بإقليم الجنوب الغربي والمقدرة بحوالي **17.3 %**. وتمثل هذه النسبة المرتفعة للفقر بمدينة المتلوي القطب الاول لإنتاج الفسفاط في الحوض المنجمي دليل على فشل الخيارات التنموية المتبعة وتأكيد على ان خيرات الفسفاط تصرف خارج مواقع الانتاج الفعلية.

مؤشر الامية

تبلغ نسبة الامية بالمتلوي **13.6 %** وفق ارقام واحصائيات 2016، وهي نسبة اقل من النسبة الوطنية المقدرة بحوالي **19.3 %**. وهو دليل على ارتفاع نسبة التمدرس بالمنطقة التي لازال سكانها يراهنون على التعليم كمصعد اجتماعي رغم انسداد الافق للمتعلمين في هذا الوطن

مؤشر البطالة

امام تراجع دور شركة فسفاط قفصة في التنمية والتشغيل بالجهة ككل وبالمتلوي على وجه الخصوص، ارتفعت نسبة البطالة بالمدينة لتبلغ سنة 2017 رقما كبيرا قدر بحوالي **35.9 %**، وهي تقريبا ضعف المعدل الوطني للبطالة. كما تصل هذه النسبة الى حدود **44 %** بالنسبة لحاملي الشهائد الجامعية.
وهي نسب مخيفة تجعل من المنطقة تحت فوهة بركان الاحتجاجات الاجتماعية المطالبة حصريا بالتشغيل.

مؤشر الصحة

يوجد بالمدينة مستشفى محلي أطلق عليه اسم المستشفى الجهوي بعد تأهيل قسم الاستعجالي به وقسم التوليد، كما يوجد 4 مراكز للصحة الاساسية. كما ينتصب بالمدينة عدد من الاطباء للحساب الخاص وعدد من الصيدليات التي تؤمن بيع الادوية.

ورغم الكثافة السكانية للمدينة والتي تقترب من 40 ألف ساكن، الا ان البنية التحتية الصحية بالمدينة لا ترتقي الى مستوى الخدمات الصحية الاساسية للمواطنين. مما جعل المدينة مرتبطة كليا بمجال الصحة بمدينة قفصة سواء في المؤسسات الصحية العمومية او المصحات الخاصة التي تفتقرها المدينة.

مؤشر إطار العيش

يرتبط مؤشر إطار العيش بالبنى التحتية للخدمات العمومية وتوفر المساحات الخضراء والحدائق العمومية ونسبة الربط بشبكة مياه الشرب وشبكة التطهير وطرق التصرف في النفايات. وبالنسبة لمدينة المتلوي، فانه يمكن القول انها كغيرها من مدن الحوض المنجمي مؤشرات إطار العيش فيها متدنية من خلال انتشار البناء الفوضوي وتراكم النفايات في كل مكان، وغياب مصب مراقب لطمر النفايات.

ورغم وجود محطة تطهير بالمدينة الا ان نسبة الربط بشبكة التطهير لا تتجاوز بالمدينة 41 بالمائة وهي نسبة ضعيفة لمدينة بها محطة تطهير لا تشتغل الا بحوالي **30 %** من طاقتها الحقيقية (معالجة 1000 م3 / يوم فقط عوض 3000 متر مكعب/يوم مثلما هو مبرمج).

اما بالنسبة للربط بشبكة مياه الشرب فإنها تصل الى **96 %** بالنسبة للسكن الحضري وتقل هذه النسبة في الارياف الى حدود **35 %** فقط. لكن هذه المياه الموزعة من طرف الشركة الوطنية لإستغلال وتوزيع المياه (SONEDE) لا تصلح للشرب نظرا لارتفاع نسبة الملوحة خاصة. مما يدفع جل السكان للتزود من الماء من الباعة المتجولين او شراء المياه المعلبة بالنسبة لمن له امكانات مادية تسمح بذلك. كما ان الانقطاعات المتكررة للماء خلال السنوات الاخيرة جعلت من السكان مهددين بالعطش في كل وقت.

مؤشرات التنمية الاقتصادية

رغم ما تمثله المتلوي من ثقل في مجال استخراج وتجفيف مادة الفسفاط بالحوض المنجمي، الا ان مؤشراتها الاقتصادية تؤكد على ارتفاع نسب الفقر والبطالة وتدني مؤشرات إطار العيش، وخاصة بعد تخلي شركة فسفاط قفصة عن دورها التنموي والتشغيلي منذ بداية تسعينات القرن الماضي.

كما ان المدينة لم تستفد من موقعها الاستراتيجي بوسط الحوض المنجمي والذي كان يسمح لها بان تكون حلقة وصل بين مدينة قفصة مركز الولاية وبقية المدن المنجمية الاخرى وخاصة ولاية توزر.

ويمكن تلخيص المؤشرات الاقتصادية والتنموية بمدينة المتلوي فيما يلي:

- حيث ان ضعف الموارد المائية بالمنطقة وقلة الاراضي الفلاحية القابلة للإستغلال قلص من فرص النشاط الفلاحي الذي بقي تقليديا وهامشيا على مستوى الموارد المالية او المساهمة في التشغيل

- ورغم وجود منطقة صناعية في المدخل الجنوبي للمدينة، الا انها لم تجلب استثمارات عدى انتصاب بعض الوحدات ذات الانشطة الهامشية والتي ليست لها قدرة تشغيلية كبيرة، اضافة الى ضعف البنى التحتية واللوجستية بالمنطقة. كما ان ضعف مؤشر جاذبية الاعمال للجهة ككل قلص من حظوظ المدينة في ان تتحول الى قطب صناعي.

- ثم ان جل الخدمات المنتصبة بالمدينة مرتبطة بشركة فسفاط قفصة. وامام تراجع اداء وانتاج هذه الشركة خلال العشر سنوات الاخيرة، فان سوق الخدمات قد دخل مرحلة الموت السريري.

2-2 - مدينة أم العرائس

تعتبر مدينة ام العرائس ثالث مدينة منجمية من حيث عدد السكان والاهمية المرتبطة بإستغلال الفسفاط. وامام تراجع انتاج الفسفاط بالمدينة ان لم نقل انها خلال السنوات الاخيرة تحولت الى مجرد فضاء لغسيل الفسفاط، فإن اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية في حالة تحول دراماتيكيو خاصة على المستوى الديمغرافي.

المؤشرات الديموغرافية

يقدر عدد سكان مدينة ام العرائس وفق إحصائيات 2020 بحوالي 21562 ساكنا، منها 10901 إناث و10661 ذكور. مما يعطي نسبة الإناث بحوالي **50.56 %** من العدد الجملي للسكان بالمدينة.

وتمثل مدينة ام العرائس مثلا وطنيا للمدينة الطاردة للسكان، اذ تراجع عدد سكانها منذ 2004 الى 2020 بحوالي 10271 ساكن، ما يمثل **32 %** من عدد سكانها لسنة 2004 .

أما بالنسبة لعدد العائلات، فان مدينة أم العرائس تحتضن 4957 عائلة.وبالتالي فان معدل عدد أفراد العائلة بأم العرائس يساوي 4.35 فرد، وهو ارفع من المعدل الوطني.

يسكن بالمدينة 17250 ساكنا، في حين يقدر عدد سكان الريف الراجعين بالنظر لمعتمدية أم العرائس بحوالي 4312 ساكنا.

مما يجعل نسبة سكان المدينة يقدر بحوالي **79 %**، وسكان الريف بحوالي**21 %**. وهي ارفع نسبة لسكان الريف بمدن الحوض المنجمي.

ويتوزع سكان مدينة أم العرائس على 7 تجمعات سكنية وهي كما يلي:

الحي	أم القصاب	سيدي بوبكر	أم العرائس المركز	أم العرائس المحطة	الشنوفية	السويطير	الدوارة
عدد السكان	1542	1850	7950	9300	405	055	460

تتميز التركيبة السكانية بأم العرائس بارتفاع نسبة الشباب، حيث تبلغ نسبة الشريحة العمرية 15- 35 سنة حوالي 36 بالمائة من جملة عدد سكان المدينة. إضافة إلى أن نسبة الشريحة العمرية 50-25 سنة تبلغ حوالي 45 بالمائة، وهو ما يطرح إشكاليات ارتفاع طلبات الشغل.

مؤشرات التنمية البشرية

سنحاول في هذا الباب التعرض لمجمل مؤشرات التنمية البشرية بالمدينة والتي ترتبط اساسا بالتمدرس وواقع البطالة والفقر والامية وأطار العيش للسكان بشكل عام.

مؤشر التعليم والتمدرس

من خلال كتاب الاحصاء المدرسي للسنة الدراسية 2019-2018 الخاص بولاية قفصة، والصادر عن وزارة التربية، يقدر عدد التلاميذ والتلميذات بالتعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي بأم العرائس بحوالي 5558 تلميذة وتلميذ، مما يعطي نسبة تمدرس بحوالي **97 %**.

ويتوزع عدد التلاميذ حسب الجنس والمراحل التعليمية وفق الجدول التالي:

	عدد التلاميذ			عدد المؤسسات التربوية	عدد الفصول	مؤشر عدد القاعات / مؤسسة	متوسط كثافة الفصل
	اناث	ذكور	الجملة				
المرحلة الابتدائية	1487	1651	3138	14	155	7,6	20,2
المرحلة الإعدادية	627	586	1213	5	106	26,8	22,8
المرحلة الثانوية	739	468	1207				

مؤشر الفقر

وفق التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعية، تقدر نسبة الفقر بمدينة ام العرائس سنة 2016 بحوالي 24 %، وهي نسبة تساوي مرة ونصف النسبة الوطنية المقدرة وفق الارقام الرسمية بحوالي 15.8%، وهي كذلك تتجاوز نسبة الفقر بإقليم الجنوب الغربي والمقدرة بحوالي 17.3 %. وتمثل هذه النسبة المرتفعة للفقر بمدينة ام العرائس دليل على تهميش المنطقة واهمالها تنمويا لعقود رغم ما تساهم به من انتاج الفسفاط بالحوض المنجمي.

مؤشر الامية

تبلغ نسبة الامية 25.5 % وفق ارقام واحصائيات 2016، وهي نسبة أكبر من النسبة الوطنية المقدرة بحوالي 19.3%. ويمكن ارجاع نسبة الامية بأم العرائس بارتفاع نسبة سكان الريف والتي تصل الى 20%.

مؤشر البطالة

امام تراجع دور شركة فسفاط قفصة في التنمية والتشغيل بالجهة ككل، ارتفعت نسبة البطالة بالمدينة لتبلغ سنة 2017 رقما كبيرا قدر بحوالي 37 %، وهي تقريبا ضعف المعدل الوطني للبطالة. كما تصل هذه النسبة الى حدود 46 % بالنسبة لحاملي الشهائد الجامعية. وهي نسب مخيفة تجعل من المنطقة بؤرة للتوتر وفضاء للعنف والجريمة المنظمة والاستقطاب الارهابي

مؤشر الصحة

يوجد بالمدينة مستشفى محلي، ومركزان للصحة الاساسية، مع ما تعانيه هذه المؤسسات الصحية من نقص في المعدات والاختصاصات والاطباء. وهو ما يجعل البنية التحتية الصحية بالمدينة لا ترتقي الى مستوى الخدمات الصحية الاساسية للمواطنين. مما جعل المدينة مرتبط كليا بمجال الصحة بمدينة المتلوي او قفصة سواء في المؤسسات الصحية العمومية او المصحات الخاصة.

مؤشر إطار العيش

يرتبط مؤشر إطار العيش بالبنى التحتية للخدمات العمومية وتوفر المساحات الخضراء والحدائق العمومية ونسبة الربط بشبكة مياه الشرب وشبكة التطهير وطرق التصرف في النفايات. وبالنسبة لمدينة ام العرائس، فانه يمكن القول انها مؤشرات إطار العيش فيها متدنية من خلال انتشار البناء الفوضوي وتراكم النفايات في الاحياء وعلى الطرقات. اما نسبة الربط بشبكة التطهير فهي لا تتجاوز بالمدينة 31 بالمائة فقط وهي نسبة ضعيفة، مع غياب محطة التطهير، اضافة الى غياب المنتزهات والفضاءات الترفيهية.

يمثل التطهير أحد أهم المشاكل التي تعاني منها أم العرائس، وخاصة مكان تصريف مياه الصرف الصحي المجمعة من طرف الديوان الوطني للتطهير، حيث وأمام عدم وجود محطة تطهير، يقع تصريف المياه الصحية الملوثة على الطريق الرابطة بين الرديف وأم العرائس مباشرة بالوادي، مما يتسبب دوريا في تصاعد الروائح الكريهة وتلويث الموائد السطحية خاصة بمنطقة تبديت الفلاحية والقريبة من مكان التصريف الحالي.

اما بالنسبة للربط بشبكة مياه الشرب فإنها تصل الى **94 %** بالنسبة للسكن الحضري لتهوي هذه النسبة في الارياف الى حدود **38 %** فقط. لكن هذه المياه الموزعة من طرف الشركة الوطنية لإستغلال وتوزيع المياه (SONEDE) لا تصلح للشرب نظرا لارتفاع نسبة الملوحة. مما يدفع جل السكان للتزود من الماء من الباعة المتجولين او شراء المياه المعلبة بالنسبة لمن له امكانات مادية تسمح بذلك. كما ان الانقطاعات المتكررة للماء خلال السنوات الاخيرة جعلت من السكان مهددون بالعطش في كل وقت.

مؤشرات التنمية الاقتصادية

المؤشرات الاقتصادية لمدينة ام العرائس تؤكد ارتفاع نسب الفقر والبطالة والتهميش وتدني مؤشرات إطار العيش، وخاصة بعد تخلي شركة فسفاط قفصة عن دورها التنموي والتشغيلي منذ بداية تسعينات القرن الماضي، بسبب غلق وجزء هام من مقاطع الإستغلال لنفاذ المدخرات بالمنطقة ويمكن تلخيص المؤشرات الاقتصادية والتنموية لمدينة ام العرائس فيما يلي:

- رغم ضعف الموارد المائية بالمنطقة، فان المخزون العقاري من الاراضي الفلاحية خاصة بمنطقة الدوارة قد ساهم في تطوير النشاط الفلاحي، مما شجع عدد كبير من سكان مدينة ام العرائس بالاستقرار في هذه الربوع الريفية. ولقد كان لهذا التوجه الفلاحي الاثر الكبير في جعل المدينة تساهم بشكل فعال في انتاج العديد من الانواع الخضر والغلال وخاصة الزيتون والفستق

- غياب الفضاءات الصناعية وتدني مؤشر جاذبية الاستثمار بالمنطقة جعل النشاط الصناعي شبه غائب.

- جل الخدمات المنتصبة بالمدينة مرتبطة بشركة فسفاط قفصة. وامام تراجع اداء وانتاج هذه الشركة خلال العشر سنوات الاخيرة، فان سوق الخدمات قد دخل مرحلة الموت السريري امام غياب الدولة وتراجع الجدور الاقتصادي لشركة فسفاط قفصة فان الجهة بقيت لمصيرها

- ارتباطا بموقعها الحدودي فان اغلب الشباب المعطل كان مضطرا للمغامرة بتجارة الحدود او ما يسمى « التهريب » ليضمنوا الحد الادنى من كرامتهم وكرامة من في كفالتهم

- انتشار الشغل الهش مثل شركات المناولة او شركة البيئة التي حاولت من خلالها السلطة منذ عهد بن علي بعد 2008 والى الآن استنزاف مقدرات شركة فسفاط قفصة في إطار مخطط ممنهج لتدمير الشركة والجهة بشكل عام.

2-3- مدينة المظيلة

تقع مدينة المظيلة بالجنوب الشرقي لمدينة قفصة، وهي المدينة الأقرب لها، حيث لا تتجاوز المسافة الفاصلة بينهما سوى 18 كلم. وتحتضن المدينة إضافة إلى مقاطع استخراج الفسفاط والمغاسل، وحدتين لتحويل الفسفاط التجاري إلى أسمدة وحوامض تابعة للمجمع الكيميائي التونسي.

المؤشرات الديموغرافية

تعتبر المظيلة الأصغر من حيث عدد السكان بالمقارنة مع بقية مدن الحوض المنجمي. إذ يبلغ عدد سكانها وفق الارقام الرسمية لسنة 2020 حوالي 15855 ساكنا. ويمثل الإناث 7792 والذكور8063. مما يعطي نسبة الإناث بحوالي **49.15 %** من العدد الجملي لسكان المدينة. مع العلم ان عدد سكان المظيلة سنة 2014 كان في حدود 15306، مما يعني ان الزيادة السكانية للمدينة خلال 6 سنوات الاخيرة كانت ضعيفة في حدود 540 ساكن تقريبا. وهو ما يعني ان المظيلة ليست جاذبة للسكان والاقامة مثل بقية مدن الحوض المنجمي الاخرى.

يبلغ عدد العائلات بالمدينة 3373، مما يجعل معدل أفراد العائلة بمدينة المظيلة 4.70، وهو الأرفع بولاية قفصة ككل ويتجاوز بكثير المعدل الوطني الذي لا يتجاوز 4.05 فرد/العائلة.
كما يبلغ عدد المنازل بالمدينة 3569، وهو ما يعطي فارقا صغيرا مع عدد العائلات بالمنطقة، خلافا لبقية مدن الحوض المنجمي والذي يتجاوز فيه عدد المنازل عدد العائلات بأكثر من 500. وهذا يجعلنا نفهم تأثير قرب المظيلة من مدينة قفصة، أي أن السكان يفضلون بناء منزل والإقامة بقفصة عوض عن المظيلة وخاصة بالنسبة لمن له أبناء يدرسون بالمركب الجامعي بقفصة أو بالمعهد النموذجي أو لأسباب مهنية.

يتوزع سكان مدينة المظيلة على أربعة تجمعات سكنية:

الحي	المظيلة المركز	حي العمال	سهيب	السقي
عدد السكان	8902	4225	2302	317

يمثل عدد سكان المدينة 13127 أي نسبة 82.7 بالمائة من العدد الجملي للسكان، في حين لا يتجاوز سكان الريف 2619 ساكنا أي بنسبة 17.3 بالمائة فقط.
ويمكن القول أن التركيبة السكانية للمظيلة لا تختلف عن باقي مدن الحوض المنجمي، حيث تتميز بارتفاع نسبة الشباب، والتي تتجاوز 32 بالمائة من العدد الجملي للسكان، إضافة إلى وفرة عدد طالبي الشغل من خلال وصول نسبة الشريحة العمرية 50-25 سنة إلى 44 بالمائة.

مؤشرات التنمية البشرية

سنحاول في هذا الباب التعرض لمجمل مؤشرات التنمية البشرية بالمدينة والتي ترتبط اساسا بالتمدرس وواقع البطالة والفقر والامية وأطار العيش للسكان بشكل عام.

مؤشر التعليم و التمدرس

من خلال كتاب الاحصاء المدرسي للسنة الدراسية 2019-2018 الخاص بولاية قفصة، والصادر عن وزارة التربية، يقدر عدد التلاميذ والتلميذات بالتعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي بالمظيلة بحوالي 2795 تلميذة وتلميذ، مما يعطي نسبة تمدرس بحوالي **95 %**.

ويتوزع عدد التلاميذ حسب الجنس والمراحل التعليمية وفق الجدول التالي:

	عدد التلاميذ			عدد المؤسسات التربوية	عدد الفصول	مؤشر عدد القاعات / مؤسسة	متوسط كثافة الفصل
	اناث	ذكور	الجملة				
المرحلة الابتدائية	730	759	1489	8	74	7,6	20,1
المرحلة الإعدادية	327	384	711	3	55	26,0	23,7
المرحلة الثانوية	353	242	595				

مؤشر الفقر

وفق التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعية، تقدر نسبة الفقر بمدينة المظيلة سنة 2016 بحوالي 19 %، وهي نسبة اعلى بقليل من النسبة الوطنية المقدرة وفق الارقام الرسمية بحوالي 15.8%، وهي أكبر بقليل من نسبة الفقر بإقليم الجنوب الغربي والمقدرة بحوالي 17.3 %. ويمكن ارجاع نسبة الفقر هذه بالمظيلة بالمقارنة ببقية مدن الحوض المنجمي لقربها من مركز الولاية وبالتالي الاستفادة من عدة فرص في التشغيل والدعم.

مؤشر الامية

تبلغ نسبة الامية 15.4 % وفق ارقام واحصائيات 2016، وهي نسبة اقل من النسبة الوطنية المقدرة بحوالي 19.3%. ويمكن ارجاع ضعف نسبة الامية لارتفاع نسبة سكان المدينة وقرب المنطقة من مدينة قفصة.

مؤشر البطالة

نظرا لقرب مدينة المظيلة من مركز الولاية، اضافة الى وجود المجمع الكيميائي التونسي بجانب شركة فسفاط قفصة، فان نسبة البطالة بالمدينة سنة 2017 تساوي **24.8 %**، وهي تقريبا الاضعف في الحوض المنجمي. كما لا تتجاوز نسبة البطالة لحاملي الشهائد العليا **39 %**. وهي نسبة رغم ارتفاعها الا انها الاضعف في الحوض المنجمي.

مؤشر الصحة

يوجد بمدينة المظيلة مستشفى محلي، ومركز للصحة الاساسية، مع ما يعانيه المستشفى المحلي من نقص في المعدات والاختصاصات الطبية. وهو ما يجعل البنية التحتية الصحية بالمدينة لا ترتقي الى مستوى الخدمات الصحية الاساسية للمواطنين. مما جعل المدينة مرتبط كليا بمجال الصحة بمركز الولاية قفصة.

مؤشر إطار العيش

يرتبط مؤشر إطار العيش بالبنى التحتية للخدمات العمومية وتوفر المساحات الخضراء والحدائق العمومية ونسبة الربط بشبكة مياه الشرب وشبكة التطهير وطرق التصرف في النفايات. وبالنسبة لمدينة المظيلة، فانه يمكن القول ان مؤشرات إطار العيش فيها أفضل من بقية مدن الحوض المنجمي. من خلال ضعف انتشار البناء الفوضوي وتحسن حالة الطرقات داخل الفضاء البلدي. اما بالنسبة للفضاءات الترفيهية والحدائق العمومية فإنها غائبة عن المنطقة تماما.

بالنسبة للربط بشبكة مياه الشرب فإنها تصل الى **95 %** بالنسبة للسكن الحضري، ولا تتجاوز هذه النسبة في الارياف **35 %**. لكن هذه المياه الموزعة من طرف الشركة الوطنية لإستغلال وتوزيع المياه (SONEDE) لا تصلح للشرب.

كما تجدر الاشارة في هذا المجال الى تعرض المنطقة خلال السنوات الاخيرة الى الانقطاعات المتكررة للماء، مما جعل السكان مهددون بالعطش في كل وقت.
بالنسبة للتطهير، فوجب القول ان مدينة المظيلة لازالت غير متبناة من طرف الديوان الوطني. مما يطرح سؤالا محوريا حول طرق تصريف مياه الصرف الصحي للمدينة بكاملها، وما يخلفه انعدام التطهير من تلوث للمياه والتربة، وما يتسبب فيه من تدهور لإطار العيش والصحة العامة، ويساهم بشكل مباشر في انتشار العديد من الأمراض مثل البو صفير وغيرها من الأمراض المرتبطة بتلوث الماء.

مؤشرات التنمية الاقتصادية

مؤشرات التنمية البشرية التي تم ذكرها سابقا، تؤكد ان منطقة المظيلة قد استفادت ولو نسبيا من قربها من مدينة قفصة كمركز للولاية، اضافة الى استفادتها من الاستثمارات التي انجزتها شركة فسفاط قفصة والمجمع الكيميائي التونسي من خلال انجاز وحدة تحويل الفسفاط الجديدة الى جانب الوحدة القديمة. كما ان المظيلة تشتمل على مقاطع استخراج كبرى للفسفاط بمنطقة «سهيب» و«مزندة»، مما مكن الجهة من الاستفادة من مغسلتين للفسفاط. وامام هذه الاستثمارات العمومية الكبرى، نفهم تراجع نسبة البطالة في المظيلة، اذ المجمع الكيميائي لوحده يوفر حوالي 980 موطن شغل.
كما تمثل منطقة السقي والبرج مناطق فلاحية وخاصة في مجال تربية الماشية والجمال لتوفر مراعي كبيرة بمنطقة السقي.

اما بالنسبة للنشاط الصناعي، فان المنطقة لا توجد بها فضاءات صناعية عدى مناطق شركة فسفاط قفصة والمجمع الكيميائي التونسي. كما ان قرب المدينة من قفصة حرمها امكانيات تركيز وحدات صناعية. ذلك ان المستثمر الخاص يفضل الاستثمار في قفصة أفضل من باقي مدن الحوض المنجمي. كما عامل الاستقرار الاجتماعي وكثرة الاحتجاجات الشعبية بهذه المناطق جعلت جاذبيتها ضعيفة جدا للاستثمار الخاص والعام.

2-4- مدينة الرديف

تعتبر مدينة الرديف ثاني أكبر مدن الحوض المنجمي وأقدمها، حيث تكونت كتجمع سكني منذ بداية القرن العشرين إبان الاستعمار الفرنسي. ويمكن لهذه الصورة أن تعكس العمق التاريخي لهذه المدينة التي شهدت أول انتفاضة ضد حكم بن علي خلال جانفي 2008.

المؤشرات الديموغرافية

وفق احصائيات 2020، يسكن حاليا مدينة الرديف 26542 ساكنا، يمثل الإناث 13536 والذكور 13006، مما يجعل نسبة الإناث تقدر بحوالي 51 بالمائة من العدد الجملي للسكان.

يوجد بالمدينة 5925 عائلة، مما يعطي معدل أفراد الأسرة بالرديف بحوالي 4.48 وهو ثاني ارفع معدل بعد المظيلة بمنطقة الحوض المنجمي. اما عدد المنازل فيقدر بحوالي 6513 بفارق يتجاوز 588 عن عدد العائلات.

يتوزع سكان مدينة الرديف على 5 تجمعات سكنية كما يلي:

الحي	الرديف المركز	الرديف المحطة	الرديف الشمالية	الرديف الجنوبية	تبديت
عدد السكان	2058	12427	3852	7144	1155

يمثل السكن الحضري بالرديف حوالي 92.7 بالمائة مقابل سكن ريفي بحوالي 7.3 بالمائة ممثلا خاصة بمنطقتي تبديت والسقدود 1 الفلاحية.

تتميز التركيبة السكانية بالمدينة بارتفاع عدد أفراد الشريحة العمرية 35-15 عاما إلى حوالي 35 بالمائة، كما ترتفع نسبة الشريحة العمرية ما بين 50-25 سنة إلى حدود 44 بالمائة. ولهذه التركيبة السكانية تحديات كبيرة على مستوى الطلبات المتزايدة للتعليم والخدمات الصحية وطلبات الشغل، في ظل واقع تنموي متردي.

مؤشرات التنمية البشرية

سنحاول في هذا الباب التعرض لمجمل مؤشرات التنمية البشرية بالمدينة والتي ترتبط اساسا بالتمدرس وواقع البطالة والفقر والامية وأطار العيش للسكان بشكل عام.

مؤشر التعليم والتمدرس

من خلال كتاب الاحصاء المدرسي للسنة الدراسية 2019-2018 الخاص بولاية قفصة، والصادر عن وزارة التربية، يقدر عدد التلاميذ والتلميذات بالتعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي بمدينة الرديف بحوالي 5498 تلميذة وتلميذ، مما يعطي نسبة تمدرس مرتفعة بحوالي **97 %**.

ويتوزع عدد التلاميذ حسب الجنس والمراحل التعليمية وفق الجدول التالي:

	عدد التلاميذ			عدد المؤسسات التربوية	عدد الفصول	مؤشر عدد القاعات / مؤسسة	متوسط كثافة الفصل
	اناث	ذكور	الجملة				
المرحلة الابتدائية	1398	1592	2990	14	138	7,3	21,7
المرحلة الإعدادية	652	671	1323	5	110	28,6	22,8
المرحلة الثانوية	693	492	1185				

مؤشر الفقر

وفق التقارير الرسمية الصادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعية، تقدر نسبة الفقر بمدينة الرديف سنة 2016 بحوالي **22 %**، وهي مرة ونصف النسبة الوطنية المقدرة وفق الارقام الرسمية بحوالي **15.8 %**، وهي اعلى بكثير من نسبة الفقر بإقليم الجنوب الغربي والمقدرة بحوالي **17.3 %**. ويمكن ارجاع نسبة الفقر هذه بتراجع الدور الاقتصادي والاجتماعي لشركة فسفاط قفصة، اضافة الى غياب شبه كلي للدولة منذ 56 بهذه المنطقة رغم ما تزخر الرديف من امكانات فسفاطية وطبيعية هامة يمكن ان تساهم في النهوض بالمنطقة لو كانت الخيارات الاقتصادية والاجتماعية للدولة موجودة.

مؤشر الامية

تبلغ نسبة الامية **13.5 %** وفق ارقام واحصائيات 2016، وهي نسبة اقل من النسبة الوطنية المقدرة بحوالي **19.3 %**. ويمكن ارجاع ضعف نسبة الامية لارتفاع نسبة سكان المدينة من ناحية، ورهان الاهالي المتواصل على التعليم كمصعد اجتماعي من ناحية اخرى.

مؤشر البطالة

امام تراجع دور شركة فسفاط قفصة في التنمية والتشغيل بالجهة ككل، وبالرديف على وجه الخصوص، ارتفعت نسبة البطالة بالمدينة لتبلغ سنة 2017 رقما قياسيا قدر بحوالي **39 %**، وهي تقريبا ضعف المعدل الوطني للبطالة من ناحية، والاعلى بالمقارنة ببقية مدن الحوض المنجمي من ناحية اخرى. كما تصل هذه النسبة الى حدود **46 %** بالنسبة لحاملي الشهائد الجامعية وهي الاعلى بعد تطاوين التي تصل فيها النسبة الى حدود **53%** . انها نسب مخيفة تجعل من المنطقة تحت فوهة بركان الاحتجاجات الاجتماعية المطالبة حصريا بالتشغيل.

مؤشر الصحة

يوجد بمدينة الرديف مستشفى محلي، ومركزين للصحة الاساسية، مع ما يعانيه المستشفى المحلي من نقص في المعدات والاختصاصات الطبية. وهو ما يجعل البنية التحتية الصحية بالمدينة لا ترتقي الى مستوى الخدمات الصحية الاساسية للمواطنين. مما جعل المدينة مرتبط كليا بمجال الصحة بالمتلوي او بقفصة المدينة.

مؤشر إطار العيش

يرتبط مؤشر إطار العيش بالبنى التحتية للخدمات العمومية وتوفر المساحات الخضراء والحدائق العمومية ونسبة الربط بشبكة مياه الشرب وشبكة التطهير وطرق التصرف في النفايات. وبالنسبة لمدينة الرديف، فانه يمكن القول ان مؤشرات إطار العيش تعد الاردأ في الحوض المنجمي. من خلال تدني حالة الطرقات والمرافق العامة وخدماتها. اضافة الى انتشار النفايات في الاودية وعلى مشارف الاحياء السكنية. اما بالنسبة للفضاءات الترفيهية والحدائق العمومية فإنها غائبة عن المنطقة تماما.

بالنسبة للربط بشبكة مياه الشرب فإنها تصل الى **97 %** بالنسبة للسكن الحضري، ولا تتجاوز هذه النسبة في الارياف **30 %**. لكن هذه المياه الموزعة من طرف الشركة الوطنية لإستغلال وتوزيع المياه (SONEDE) لا تصلح للشرب، لارتفاع نسبة الملوحة والكربونات اضافة الى ارتفاع مادة الفليور بها. ولهذه الاسباب لا يستمل غالبية سكان الرديف هذه المياه للشرب، بل يلجؤون الى التزود بالماء للشرب من الباعة المتجولين او استعمال المياه المعلبة.

كما تجدر الاشارة في هذا المجال الى تعرض المنطقة خلال السنوات الاخيرة الى الانقطاعات المتكررة للماء. بالنسبة للتطهير، تبلغ نسبة الربط بشبكة التطهير40 % مع عدم وجود لمحطة تطهير، وبالتالي فمياه الصرف الصحي المجمعة من طرف الديوان الوطني للتطهير تصرف في وادي الرديف ذات الخصائص الجيولوجية الرملية النفاذة، مما يعرض المياه السطحية والجوفية للتلوث الدائم ويؤثر بالضرورة على الصحة والسلامة العامة للسكان.

مع العلم ان مصالح الديوان الوطني للتطهير بقفصة قد اعلنت عن طلب عروض لإنجاز محطة التطهير بالرديف و ام العرائس و ذلك خلال السنة الحالية 2021 .

مؤشرات التنمية الاقتصادية

المؤشرات الاقتصادية لمدينة الرديف تؤكد ارتفاع نسب الفقر والبطالة والتهميش وتدني مؤشرات إطار العيش، وخاصة بعد تخلي شركة فسفاط قفصة عن دورها التنموي والتشغيلي منذ بداية تسعينات القرن الماضي.
ويمكن تلخيص المؤشرات الاقتصادية والتنموية بالرديف فيما يلي:

- رغم ضعف الموارد المائية بالمنطقة، فان المخزون العقاري من الاراضي الفلاحية خاصة بمنطقة السقدود والظهيرة قد ساهم في تطوير النشاط الفلاحي، مما شجع عدد كبير من

سـكان مدينـة الرديـف الى الاسـتقرار في هـذه الربـوع الريفيـة. ولقـد كان لهـذا التوجـه الفلاحـي الاثـر الكبـير في جعـل المدينـة تسـاهم بشـكل فعـال في انتـاج العديـد مـن الانـواع الخـضر والغـلال وخاصـة التمور والخضر .

- غياب الفضاءات الصناعية وتدني مؤشر جاذبية الاستثمار بالمنطقة جعل النشاط الصناعي شبه غائب.
- جـل الخدمـات المنتصبـة بالمدينـة مرتبطـة بشركـة فسـفاط قفصـة. وامـام تراجـع اداء وانتـاج هـذه الشركة خلال العشر سنوات الاخيرة، فان سوق الخدمات قد دخل مرحلة الموت السريري
- امام غياب الدولة وتراجع الجدور الاقتصادي لشركة فسفاط قفصة فان الجهة بقيت لمصيرها
- ارتباطـا بموقعهـا الحـدودي فـان اغلـب الشـباب المعطـل كان مضطـرا للمغامـرة بتجـارة الحـدود او مايسمى « التهريب « ليضمنوا الحد الادنى من كرامتهم وكرامة من في كفالتهم
- انتشـار الشـغل الهـش مثـل شركات المناولـة او شركـة البيئـة الـتي حاولـت مـن خلالهـا السـلطة منـذ عهـد بـن عـلي بعـد 2008 والى الآن اسـتنزاف مقـدرات شركـة فسـفاط قفصـة في إطـار مخطـط ممنهـج لتدمير الشركة والجهة بشكل عام.

3-الخلاصة:

بنـاء عـلى مـا تقـدم ذكـره حـول الواقـع الديمغـرافي والتركيبـة السـكانية لجهـة قفصـة بشـكل عـام، ولمـدن الحـوض المنجمـي بشـكل خـاص، وجـب التأكيـد عـلى أن مـدن الحـوض المنجمـي بقـدر مـا تمثـل وحـدة جغرافيـة وجيولوجيـة، فإنهـا تمثـل وحـدة اقتصاديـة واجتماعيـة، بـل يمكـن القـول أن التركيبـة السـكانية والواقـع الديموغـرافي يتشـابه بشـكل كبـير.

مما جعـل كل المـؤشرات المتعلقـة بالتنميـة البشريـة قريبـة مـن بعضهـا البعـض بـين الرديـف والمتلـوي والمظيلـة وأم العرائـس. ذلـك أن غيـاب الدولـة لمـدة طويلـة وملـئ الفـراغ مـن طـرف شركـة فسـفاط قفصـة جعـل المنطقـة ككل مرتهنـة لهـذه الشركـة عـلى مسـتوى التشـغيل والإحاطـة الاجتماعيـة والثقافيـة والتربويـة والتعليميـة. بعبـارة أكـثر وضوحـا كانـت الشركـة دولـة داخـل الدولـة، وعندمـا قـرر لهـا أن تتراجـع عـن كل الأدوار التقليديـة والتاريخيـة الـتي كانـت تلعبهـا بمنطقـة الحـوض المنجمـي، ظهـرت عيـوب الخيـارات السياسـية والاقتصاديـة. فانتـشرت البطالـة بنسـب مرتفعـة، وتدنـت كل الخدمـات الاجتماعيـة والصحيـة وخدمـات النقـل والترفيـه والثقافـة والرياضـة وكل مـا لـه علاقـة بالعدالـة الاجتماعيـة. فـلا يمكـن الحديـث عـن تنميـة إلى حـد الآن خـارج شركـة فسـفاط قفصـة، لأنـه لا يوجـد بديـل لهـا إلى حـد الآن، امـام تواصـل غيـاب الدولـة في الجهـة ككل.

فمـا هـو مسـتقبل اسـتدامة نشـاط اسـتخراج الفسـفاط في علاقـة بإسـتغلال ميـاه المنطقـة خاصـة في الفـترة الأخـيرة، الـتي شـهدت ولازالـت تشـهد انقطاعـات متواصلـة للمـاء الصالـح للـشراب، وتحولـت بذلـك مـدن الحـوض المنجمـي إلى مـدن للعطـش بامتيـاز.
بمعـنى أكـثر وضـوح، كيـف كان دور شركـة فسـفاط فقصـة وتأثيرات نشـاطها عـلى الحـوض المنجمـي ككل؟ وكيـف يمكـن ان يكـون مسـتقبل إسـتغلال الفسـفاط في ظـل تراجـع مخزونـات الميـاه بالمنطقـة.

المحور الرابع

تقييم نشاط وآثار إستغلال الفسفاط على مدن الحوض المنجمي

تقييم نشاط وآثار إستغلال الفسفاط على مدن الحوض المنجمي

1- تمهيد

لا يمكن الحديث عن مدن الحوض المنجمي دون التعرض بإطناب للفسفاط او لشركة الفسفاط. لان تاريخ هذه المدن في النشأة والتطور قد ارتبط باكتشاف الفسفاط وإستغلاله.

فشركة الفسفاط منذ تأسيسها لإستغلال الثروة الفسفاطية قد اخذت على عاتقها بناء هذه المدن وتهيئتها بشكل يضمن ديمومة إستغلال الفسفاط. وتواصل هذا الدور بعد 1956 اذ تخلت الدولة عن ادوارها في ادارة وتنمية المدن المنجمية، لتتكفل بها بشكل شبه كامل شركة إستغلال الفسفاط.

فكانت هي التي توفر الخدمات العامة من ماء وكهرباء ونقل وصحة وحتى المواد الحياتية من خلال تركيز مغازات تجارية بكل المدن المنجمية على شاكلة المساحات الكبرى الحالية. فهل يمكن لشركة بمثل هذا الدور ان تتخلى بسهولة عن ادوارها التي ارتبطت تاريخيا بهذه المدن؟

وكيف يمكن ان نتصور واقع هذه المدن عندما تتخلى عنها شركة الفسفاط؟ وهل يمكن من خلال هذه المعطيات ان نتصور تنمية بهذه المدن بدون فسفاط او بعد الفسفاط؟

لذلك سنحاول في هذا المحور التعرض الى تاريخ الفسفاط في تونس واهمية نشاط شركة فسفاط قفصة وآثار هذا النشاط على مكونات الابعاد الاجتماعية والبيئية والعمرانية وخاصة على مكونات المحيط الطبيعي من ماء وجبال وتربة وهواء.

2- الفسفاط على المستوى الدولي

مثل الفسفاط ولازال أحد اهم المواد الطبيعية الاكثر طلبا على المستوى العالمي. وذلك مرتبط باستعمالاته المتعددة خاصة في مجالي الفلاحة والصناعة. وطبقا لإحصائياتUS Geological Survey ، فان الانتاج العالمي من الفسفاط تطور من 137.6 مليون طن خلال سنوات 1996 -2005 ليصل الى حدود 220 مليون طم سنة 2014.

يسيطر على سوق الفسفاط عالميا ثلاث دول، وهي المغرب والصين والولايات المتحدة الامريكية. اذ تنتج لوحدها حوالي 71 % من الانتاج العالمي. كما تستحوذ الصين والمغرب لوحدها على حوالي 2/3 الانتاج العالمي. كما تجدر الاشارة الى ان احتياطات الولايات المتحدة الامريكية ستستنفذ خلال 2050، وبالتالي ستخرج امريكا من التصنيف العالمي لمنتجي الفسفاط خلال السنوات العشرة القادمة. لتهيمن بذلك الصين والمغرب وروسيا على القطاع عالميا مستقبلا.

وفـق US Geological Survey، يلخـص الجـدول التـالي التصنيـف العالمـي للـدول الثمانيـة الاولى في انتـاج الفسـفاط واحتياطاتـه لسـنة 2014:

الدولة	الانتاج (مليون طن)	النسبة العالمية (%)	الاحتياطي
الصين	100	45.45	3.700مليار طن
المغرب	30	13.65	50 مليار طن
الولايات المتحدة الامريكية	27.1	12.35	1.1 مليار طن
روسيا	10	4.55	1.3 مليار طن
البرازيل	6.75	3.07	270 مليون طن
الاردن	6	2.73	1.3 مليار طن
مصر	6	2.73	715 ملون طن
تونس	5	2.27	100 مليون طن

مع العلم ان:

- تونس كانت تصنف خامسة بإنتاج حوالي 8.5 مليون كن سنة 2010

-احتياطـي تونـس المذكـور في الجـدول يتعلـق فقـط بمدخـرات الحـوض المنجمـي بقفصـة دون احتسـاب فسـفاط صراورتـان بالـكاف والـتي تقـدر بحـوالي 4 مليـار طـن.

امـا بالنسـبة لأسـعار الفسـفاط العالميـة، فانهـا تتميـز بالتذبـذب والتقلـب، غـير ان جـل المراقبـين يؤكـدون عـلى ارتبـاط اسـعار الفسـفاط بأسـعار النفـط. اذ لـم تتجـاوز اسـعار الفسـفاط خـلال السـتينات 12 دولار للطـن الواحـد. الا ان هـذه الاسـعار شـهدت ارتفاعـا كبـيرا بدايـة السـبعينات اي بعـد الصدمـة النفطيـة الاولى ليصـل سـعر الطـن مـن الفسـفاط الى 69 دولار.

وتراجعـت اسـعار الفسـفاط خـلال النصـف الثـاني مـن الثمانينـات بسـبب الازمـة الاقتصاديـة الـتي اجتاحـت الـدول الرأسـمالية آن ذاك وطبعـا تناسـقا مـع تراجـع اسـعار النفـط. ولكـن بدايـة الالفيـة الجديـدة، ارتفعـت اسـعاره لتصـل سـنة 2008 الى مسـتوزى قيـاسي بحـوالي 400 دولار للطـن الواحـد. لتراجـع الاسـعار وتسـتقر خـلال بدايـة مـن سـنتي 2012-2011 في حـدود 204 دولار. وامـام تواصـل ارتفـاع اسـعار النفـط خـلال سـنوات 2015 و2016 ارتفعـت مجـددا اسـعار الفسـفاط لتبلـغ 368 دولار للطـن سـنة 2016.

انطلاقا من هذه اللمحة التاريخية لواقع الفسفاط على المستوى الدولي، واهمية هذه الثروة الطبيعية على المستوى الاقتصادي. فان الفسفاط في تونس ليس مجرد مادة طبيعية تستغل بل هو ارث وطني وثروة وطنية يمتد تأثيرها على كامل تراب البلاد. كما ان تاريخ الفسفاط في تونس يعود الى 130 سنة.

فما هي قصة الفسفاط في تونس؟

3- تاريخ الفسفاط في تونس: قصة وطن

يرجع تاريخ الفسفاط في تونس الى سنة 1885، تاريخ اكتشاف البيطري الفرنسي فيليب توماس لمادة الفسفاط بالمنطقة الكائنة بين بين جبل الثالجة وروس العيون بالمتلوي. سنة 1887 نشر فيليب توماس نتائج بحوثه حول مادة الفسفاط ومدخراته الاولية. فجلبت نتائج هذه البحوث اهتمام المستعمر الفرنسي واصحاب الاموال التابعين له.

وامام اهمية مادة الفسفاط بالنسبة للمستعمر، وبعد التثبت من نتائج البحوث الذي نشرها فيليب توماس، تم بعث شركة فسفاط وسكك حديد سنة 1897 أطلق على تسميتها «شركة صفاقس – قفصة» والتي تولت الشروع في الإستغلال الصناعي للفسفاط.

لقد انطلق إستغلال الفسفاط رسميا من طرف هذه الشركة من خلال افتتاح اول منجم باطني بالمتلوي سنة 1899، ليتوالى افتتاح المناجم تباعا بالرديف سنة 1903 وام العرائس والقلعة الخصبة (الكاف) سنة 1904 وبالمظيلة سنة 1920، غير ان منجم المظيلة كان يستغل من طرف الشركة التونسية للإستغلال الفسفاطي براس مال فرنسي طبعا وليست لشركة « صفاقس – قفصة » التي بقيت تستغل المناجم الاخرى. وكانت كل هذه المناجم باطنية اي تحت الارض.

وهو ما يجعل العمل بها خطر وعمال المناجم معرضون للموت في كل لحظة. ونظرا لإستغلال الفسفاط في إطار مناجم باطنية تحت الارض سمي عمال المناجم آن ذاك « بفيران الداموس». اذ ان الإستغلال الباطني عبارة عن دواميس مظلمة تحت الارض.

وامام تطور طاقة الإستغلال بالمناجم الباطنية من ناحية، والتقدم التقني من ناحية اخرى، تم بعث الشركة الصناعية للحامض الفسفوري والكيمياويات SIAPE سنة 1948 بصفاقس لتقوم بتثمين الفسفاط التجاري الى حامض فسفوري ذات القيمة المضافة العالية.وانطلق مصنع SIAPE في النشاط الفعلي سنة 1952.

كما تم تركيز وحدات لتجفيف الفسفاط الخام بكل المناجم، وكانت هذه الوحدات تعمل بنظام التهوية والتي كانت تسبب في ناثر غبار كثيفة حول مدن الحوض المنجمي الى مصب للغبار على طول ايام الاسبوع. وكانت اول مغسلة لتثرية الفسفاط بالمتلوي سنة 1952.

بعد 1956، تواصل إستغلال الفسفاط بنفس الطرق التقليدية وبالمناجم الباطنية، بفارق وحيد هو تدريجيا في تونسة الشركات التي كانت تستغل الفسفاط. مما يعني ان الرأسمال الاستعماري واصل امتلاكه لجزء من ثروة الفسفاط حتى بعد 1956.

امام تطور الطلب العالمي على الفسفاط بداية السبعينات، وارتفاع اسعاره التي ارتبطت بالصدمة النفطية الاولى. ونظرا لمحدودية الإستغلال الباطني وعدم قدرته على انتاج كميات كبيرة من الفسفاط، وباعتبار ان الإستغلال الباطني هو إستغلال انتقائي ولا يسمح باستعمال تقنيات متطورة في الإستغلال. شرعت شركة الفسفاط في التحول من طرق الإستغلال الباطية الى الإستغلال السطحي في شكل مقاطع مكشوفة مستغلة التطور التقني الذي رافق بداية السبعينات، من خلال توفر تجهيزات وسائل نقل كبيرة تستجيب للإستغلال السطحي المقطعي.

وكان اول مقطع سطحي للفسفاط في تونس بمنطقة كاف الشفاير سنة 1978، ليتواصل بعد ذلك فتح المقاطع السطحي للإستغلال بالحوض المنجمي. فتم فتح مقطع ام الخشب سنة 1986 ومقطع الجلابية بالمظيلة سنة 1991 ومقطع المائدة الشمالية بأم العرائس سنة 1995 ومقطع طريق تبديت بالرديف سنة 1995. كما تم مواصلة الإستغلال الباطني للفسفاط بمنطقتي العرق الاصفر وزاد 6 بالرديف، ولكن باستعمال تقنيات متطور كالأبسطة الناقلة وآلات الشحن الميكانيكية.

ان الانتقال من الطرق التقليدية في الإستغلال الباطني الى الإستغلال المقطعي المكشوف، قد حول شركة فسفاط قفصة من مستغل لكميات ضعيفة من الفسفاط لا يتجاوز بضع آلاف من الاطنان سنة 1900، الى شركة تنتج حوالي 8.5 مليون طن من الفسفاط التجاري سنة 2010. وهو ما جعل تونس تحتل المرتبة الخامسة من حيث الانتاج العالمي من مادة الفسفاط الى حدود سنة 2010، وجعلها ايضا تحتل المرتبة الاولى في انتاج وتصدير ثلاثي الفسفاط الرفيعTSP.

فمن هي شركة فسفاط قفصة؟ وما تاريخها الذي ارتبط اولا بالفسفاط، وثانيا بمدن الحوض المنجمي؟

4- شركة فسفاط قفصة: التاريخ والمهام

انعقدت الجلسة العامة الأولى لشركة إستغلال ونقل الفسفاط بقفصة في 18 مارس 1897 بباريس، تلتها جلسة عامة ثانية بتاريخ 3 افريل 1897 تقرر بمقتضاها بعث شركة «صفاقس-قفصة». وكان قد انعقد أول مجلس إدارة للشركة بتاريخ 5 افريل 1897 وانتخب دلفوس غالين رئيسا لها.

منذ تأسيسها والى حدود 1956، عملت شركة الفسفاط على الهيمنة الكلية على الفضاء بكل أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية وغيرها من الابعاد.

ويمكن قراءة فاعلية شركة الفسفاط خلال هذه المرحلة من خلال فترتين:
الفترة الاولى كانت ما بين 1930-1900، والتي خلالها الشركة بتنظيم الفضاء حيث تحتكر القوى الاستعمارية فعليًا الموارد المعدنية للبلاد مناطق الفوسفاط (المتلوي، الرديف، ام العرايس، المظيلة) والسكك الحديدية بقفصة فتشرف بذلك على مجموعة من السكان من أصل جغرافي متنوع حيث أنشأت الشركة شكلاً جديدًا من المنظمات الخاصة بالمنطقة.
فتم تنظيم الإطار الإداري كما يلي:

- وكيل يسمى «رئيس القرية» يمثل الشركة ومشرف من السكان الأصليين يتبع له نائب، إنهم قادرون على إرسال الأوامر على الفور في القرية.
- مجموعة من مخازني (ضباط إنفاذ القانون)، وكلاء إنفاذ السلطة الاستعمارية، الشيخ يمثل السلطة السياسية ويعتمد على القائد.

لمدة نصف قرن تقريبًا، كانت الشركة هي الفاعل الوحيد في التنظيم المكاني ولكن أيضًا في الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال قوة الغذاء والإسكان في جميع أنحاء المنطقة. كما كانت هي المسؤول الاول في تشكيل تنظيم وشكل الفضاء حيث اختار هؤلاء المسؤولون اسم «دوار» مخصص للعرب و«قرى» او « فيلاج» مخصصة للأوروبيين (ما بقي يسمى الى الآن بالحي الاوروبي)

الفترة الثانية وكانت ما بين (1956-1930) والتي تميزت بضمان شركة الفسفاط للعمالة الكاملة، وتوفير الخدمات الأساسية والبنية التحتية (المستشفيات، والمفوضيات، وتوزيع المياه والكهرباء، والأندية الرياضية، وما إلى ذلك) للسكان المحليين، مع الاهتمام بجميع الحياة الاجتماعية والاقتصادية تقريبًا. واصلت شركة الفسفاط القيام بهذه الادوار الكلية بمنطقة الحوض المنجمي بعد 1956 والى حدود اواخر الستينات. اي انها واصلت القيام بدور الدولة عوض الدولة القائمة.

وبداية من سنة 1969 الى حدود 1976، وتطبيقا لمبدأ تونسة الشركات العاملة بقطاع الفسفاط، تم ادماج كل الشركات الناشطة في إستغلال الفسفاط صلب شركة فسفاط قفصة، لتوحيد الهيكل العمومي المشرف على قطاع الفسفاط. كما تم سنة 1974 خروج السكك الحديدية عن شركة الفسفاط، وتأسيس الشركة التونسية للسكك الحديدية من ناحية وشركة فسفاط قفصة CPG كشركة وطنية براس مال وطني بالكامل من ناحية أخرى.

وتقوم الآن شركة فسفاط قفصة بإستغلال الفسفاط بمدن الحوض المنجمي. ويتوزع نشاط الاستخراج والإنتاج للشركة على 5 أقاليم تمتد على طول 80 كلم تقريبا من المظيلة إلى الرديف غربا مرورا بالمتلوي وأم العرائس، وهذه الاقاليم الانتاجية هي:

- إقليم المتلوي كاف الشفاير
- إقليم المتلوي كاف الدور
- اقليم المظيلة
- اقليم ام العرائس
- إقليم الرديف

تشـتمل هـذه الاقاليـم عـل 8 مناجـم سـطحية و11 مغسـلة للفسـفاط. وتتـوزع المغاسـل بالحـوض المنجمـي كمـا يـلي:

-4 مغاسل بالمتلوي

-3 مغاسل بالمظيلة

-2 مغاسل بكاف الدور المركزي

- مغسلة بأم العرائس

- مغسلة بالرديف

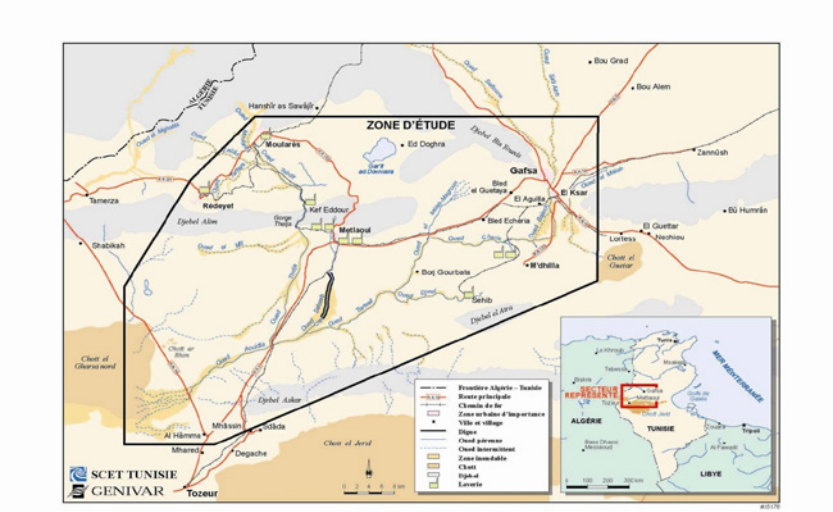

حدود الحوض المنجمي

يقـع معالجـة الفسـفاط الخـام المسـتخرج مـن المقاطـع السـطحية في هـذه المغاسـل باسـتعمال كميـات كبـيرة مـن الميـاه.

للتذكـير فـان انتـاج شركـة فسـفاط قفصـة سـنة 2010 بلـغ حـوالي 12.5 مليـون طـن مـن الفسـفاط الخـام، ليعطـي حـوالي 8.5 طـن مـن الفسـفاط التجـاري القابـل للتحويـل والتصديـر.

يمكن تلخيص مهام شركة فسفاط قفصة وتقاطع ادوارها مع شركات وطنية اخرى في المشهد المصور التالي:

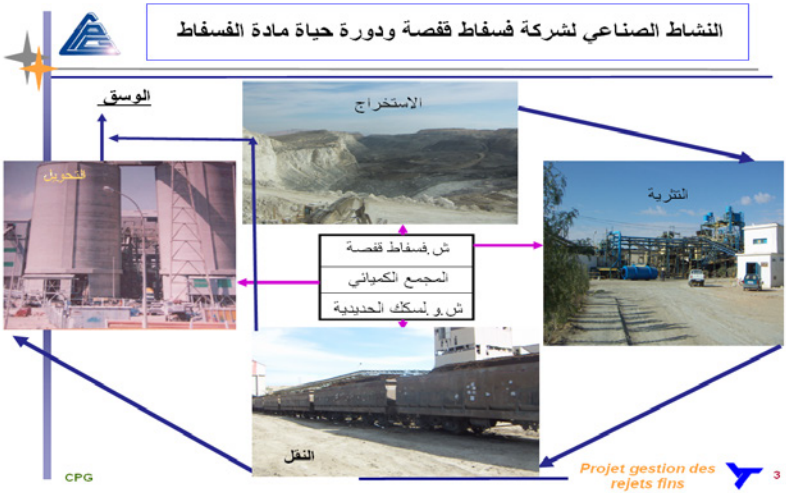

المصدر: تقرير حول التأهيل البيئي لشركة فسفاط قفصة صادر عن الشركة سنة 2009

من خلال تطور الانتاج ولمجابهة تحدياته التقنية، ونظرا لما يتطلّبه الإستغلال السطحي بالمقاطع المكشوفة من عتاد وآلات ومعدات كبيرة. فلنه يمكن القول ان شركة فسفاط قفصة تعتبر الشركة الاكثر تقدما على مستوى تكنولوجيا الانتاج والاكثر ملكية للتجهيزات والآلات العملاقة من جرافات وتراكسات وشاحنات ضخمة تصل طاقة حملها ما بين 180 الى 220 طنا للشاحنة الواحدة. كما استطاعت شركة فسفاط ان تضع يدها على حوالي 80 بالمائة من الاراضي والجبال بالمنطقة المنجمية، نظرا لان الإستغلال المقطعي يتطلب مساحات شاسعة.

امام هذا التطور التقني والتكنولوجي في مجال الإستغلال المنجمي، وتخلي الشركة نهائيا بداية التسعينات عن المناجم الباطنية والتي كان آخرها بالمتلوي سنة 1992، فان القدرة التشغيلية للشركة قد تراجعت بشل كبير. ذلك ان الإستغلال الباطني للفسفاط في شكل دواميس تحت الارض كان يتطلب يد عاملة كثيرة وتقنيات قليلة. ولكن بطاقة إنتاج ضعيف. وهو ما جعل عدد اعوان شركة فسفاط قفصة الى حدود اواخر السبعينات من القرن الماضي يصل الى 18 ألف عامل بكامل مواقع الانتاج بالمدن المنجمية الاربعة، ليتراجع سنة 1980 الى حدود 14 ألف فقط.

لكن ومنذ الانطلاق الفعلي في الإستغلال السطحي للفسفاط في مقطع كاف الشفاير سنة 1978 وما صاحبه من سرعة في فتح المقاطع السطحية الى حدود 1995، بدأت الطاقة التشغيلية للشركة تتراجع وبدا عدد العمال يتناقص. خاصة وان الآلات والتجهيزات الجديدة قادرة على تعويض

مجهـود آلاف العمـال. اذ ان طاقـة عمـل تراكـس واحـد في السـاعة يسـاوي عمـل 100 عامـل. كمـا ان برنامـج الاصـلاح الهيـكلي، المفـروض مـن صنـدوق النقـد الـدولي والـذي انطلـق في تطبيقـه عـلى شركـة فسـفاط قفصـة سـنة 1985، قـد سـاهم في تسريـح 5000 عامـل خـلال 5 سـنوات (90-85).

وتواصـل تراجـع عـدد الاعـوان مـن خـلال برنامـج التسريـح، اضافـة الى غلـق بـاب الانتـداب الـذي التزمـت بـه الحكومـة مـع صنـدوق النقـد الـدولي بالنسـبة للمؤسسـات العموميـة الناشـطة في المجـال الانتاجـي التنافسـي. ليصـل عـدد اعـوان شركـة فسـفاط قفصـة سـنة 2010 الى حـدود 4898 عونـا.

لكـن بعـد 14 جانفـي 2011 ورغـم تراجـع كل مـؤشرات الانتـاج والتسـويق لمـادة الفسـفاط والـذي تهـاوى الى اقـل مـن 2.1 مليـون طـن سـنة 2011 مقابـل 8.5 مليـون طـن سـنة 2010، فـان حـكام تونـس الجـدد قـرروا التعامـل مـع شركـة فسـفاط قفصـة كبقـرة حلـوب بقطـع النظـر عـلى توازناتهـا الماليـة وديمومتهـا. فتـم ادخـال آلاف مـن الاعـوان تحـت مـا يسـمى العفـو التشريعـي العـام فأغرقـت المؤسسـة بالأعـوان العاديـين ليصـل عـدد الاعـوان سـنة 2013 الى حـوالي 7398 عونـا.

نـورد الجـدول التـالي لا بـراز عمليـة الاغـراق التشـغيلي الـتي تعرضـت لـه شركـة فسـفاط قفصـة منـذ 2011 الى الآن:

	إطارات عليا	إطارات متوسطة	أعوان تسيير	أعوان تنفيذ	الجملة	نسبة التأطير
2008	507	307	3769	902	5484	14.8
2009	482	298	3485	771	5036	15.4
2010	460	293	3383	702	4898	15.3
2011	433	289	3047	1819	5588	12.9
2012	433	295	2249	1725	4702	15.4
2013	399	299	3249	3451	7398	9.4
2014	373	289	3290	3084	7036	8.9
2015	347	263	3066	3006	6682	9.32
2016	327	253	3046	2992	6619	9.21
2017	275	223	2850	2972	6320	7.8
2018	245	185	2730	2938	6098	7.05

هـذا العـدد ينضـاف اليـه 1700 عـون بشركـة نقـل المـواد المنجميـة، وآلاف مـن العمـال ينتمـون الى مـا يسـمى بـشركات البيئـة. ممـا حـول الشركـة الى جمعيـة للتشـغيل الاجتماعـي بحـوالي 18500 عـون لا ينتجـون 20 %مـن انتـاج سـنة 2010.

5- ادوار الشركة: ادوار الدولة الغائبة

منـذ تأسـيس شركـة فسـفاط قفصـة بتسـمياتها المتعـددة، كانـت المشـغل الوحيـدة بمنطقـة الحـوض المنجمـي، إن لـم نقـل أنهـا كانـت تؤمـن الشـغل لمئـات مـن العمـال مـن مناطـق متعـددة مـن البـلاد وخاصـة بـنزرت والشـمال الغـربي والجنـوب الـشرقي، إضافـة إلى الأشـقاء مـن الجزائـر والمغـرب وليبيـا حـتى أن أحيـاء «الطرابلسـية « و»السـوافة» و «المـروك» لازالـت شـاهدة عـلى هـذا التنـوع إلى الآن بمناطـق الحـوض المنجمـي.

إن هـذا البعـد الوطـني والـذي وصـل إلى حـد البعـد المغـاربي لشركـة فسـفاط قفصـة، يعـبر بشـكل واضـح عـلى أهميـة هـذه الشركـة ومحوريـة دورهـا لا عـلى المسـتوى الوطـني فحسـب، بـل عـلى المسـتوى المغـاربي ممـا خلـق واقعـا متعـددا ومتنوعـا ومتداخـلا بمناطـق الحـوض المنجمـي وجعـل أهـالي المنطقـة ينظـرون الى الـثروة الفسـفاطية ثـروة وطنيـة لهـا أبعـاد إقليميـة، سـهلت التواصـل وعلاقـات المصاهـرة بـين شـعبنا العـربي في كل مـن ليبيـا والجزائـر والمغـرب.

كمـا كانـت شركـة فسـفاط قفصـة، إضافـة إلى دورهـا الاقتصـادي كمشـغل وحيـد، تلعـب دورا اجتماعيـا محوريـا، حيـث كانـت توفـر وإلى حـدود بدايـة الثمانينـات الخدمـات العامـة مـن مـاء صالـح للـشراب وكهربـاء وأطبـاء الصحـة وفضـاءات للبيـع (مغـازاتEconomats) توفـر احتياجـات العمـال بكامـل مناطـق الحـوض المنجمـي، إضافـة إلى تأمـين النقـل المجـاني إلى حـدود مدينـة صفاقـس بالنسـبة للعمـال وعائلاتهـم، دون أن ننـسى مسـاهمتها الفعليـة في رعايـة الجمعيـات وخاصـة الرياضيـة ورعايـة فـرق المصائـف والجـولات والكشـافة، والأنشـطة الشـبابية والثقافيـة بشـكل عـام مـن خـلال دعمهـا ورعايتهـا لقاعـات السـينما ودعمهـا للعـروض المسرحيـة.

كمـا كانـت ترعـى المؤسسـات التربويـة وتسـاهم في معاليـم الدراسـة والإقامـة لتلاميـذ العمـال بهـدف دفعهـم للعلـم والمعرفـة في إطـار تصـور شـامل للـدور الاجتماعـي لهـذه الشركـة الدولـة الـتي لعبـت فعـلا دور الدولـة بمناطـق الحـوض المنجمـي طيلـة العقـود الماضيـة. ممـا عمـم شـعور لـدى كل متسـاكني الحـوض المنحمـي أن « الكبانيـة « هـي الدولـة وأن الدولـة هـي « الكبانيـة».

وبنـاء عـلى مـا تقـدم ذكـره، يتبـين بشـكل جـلي أن شركـة فسـفاط قفصـة بالحـوض المنجمـي ليسـت مجـرد شركـة بـل تحولـت إلى دولـة داخـل الدولـة سـواء مـن خـلال دورهـا الاقتصـادي الرئيسـي كمشـغل وحيـد، أو مـن خـلال حلولهـا مـكان الدولـة بـكل المجـالات الخدماتيـة.

في إطـار برنامـج الإصـلاح الهيـكلي الـذي فرضتـه الدوائـر الماليـة ممثلـة في صنـدوق النقـد الـدولي عـلى النظـام البورقيـبي المتهـاوي آنـذاك، فرضـت السـلطة ومنـذ 1986 برنامـج هيكلـة شركـة فسـفاط قفصـة مـن خـلال إحـداث برنامـج التقاعـد المبكـر والـذي افـرز تسريـح حـوالي 5000 عامـل مـن الشركـة في فـترة خمـس سـنوات، وأغلـق بـاب الانتـداب رسـميا وتخلـت الشركـة نهائيـا عـن دورهـا التشـغيلي في حـوض قائـم

على استخراج الفسفاط لأكثر من قرن من الزمن. كما أدخلت تغييرات هيكلية وجذرية على طرق الإستغلال التي تحولت من استخراج الفسفاط من المناجم الجوفية التي كانت تتطلب إعداد كبيرة من العمال وبطرق تقليدية، نظرا للظروف الخاصة للإستغلال الجوفي أو الباطني، إلى طريقة استخراج سطحية في مقاطع مكشوفة وباستعمال تقنيات وتجهيزات متطورة وضخمة، مما قلص فعليا الحاجة لليد العاملة التقليدية وحصرها في يد عاملة متخصصة وقليلة العدد.

كما كان لهذا البرنامج الهيكلي تداعيات كبيرة على الجانب الاجتماعي والتنموي بشكل عام على مناطق الحوض المنجمي المهمشة أصلا، من خلال غياب شبه كلي للدولة. فتخلت طبقا لتوصيات برنامج الإصلاح الهيكلي شركة فسفاط قفصة عن كل الأدوار والمهام وخاصة في مجال التشغيل والخدمات العامة والدعم والرعاية الصحية والاجتماعية حتى لعمالها أو متقاعديها الذين أفنوا العمر وسط الداموس.

شكل الانسحاب الكامل لشركة فسفاط قفصة من كل أدوارها الاجتماعية والتنموية، فراغا رهيبا بالمنطقة زاده غياب الدولة وتدني الخدمات العامة وتدهور شبه كامل للبنى التحتية وتفشي البطالة في صفوف كل الشرائح والمستويات وخاصة لدى الشباب سوءا وبؤسا، وتحولت مناطق الحوض المنجمي بداية سنوات التسعينات إلى مواقع للمتقاعدين المسرّحين من المناجم وكتل من المعطلين يعيشون عالة على أوليائهم يتقاسمون معهم أجور ضعيفة أو جرايات تقاعد لا تكفي للعلاج لمتقاعدين أنهكتهم الأمراض المهنية والتلوث والماء الغير صالح للشراب وانسداد الأفق .

وتحولت المنطقة ككل إلى مجرد حوض لإستغلال الفسفاط ومعالجته وإخراجه مع عائداته لمناطق أخرى، مع تركيز منظومة فاسدة حول هذه الشركة لتتحول الى بقرة حلوب.
لمزيد إحكام إستغلال موارد الفسفاط، قام بن علي سنة 1994 بضم شركة فسفاط قفصة والمجمع الكيميائي التونسي في شركة واحدة لها رئيس مدير عام واحد ليطبق تعليمات النهب والاستيلاء على الثروة مباشرة.

6- اثار نشاط شركة فسفاط قفصة على مكونات المحيط والبيئة بمدن الحوض المنجمي

لقد تم التأكيد في النقاط السابقة من هذا المحور والمحاور الاخرى من هذا التقرير على الدور المحوري لشركة فسفاط قفصة في مدن الحوض المنجمي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والثقافي والرياضي. بل يمكن القول ان الفسفاط هو الخالق الفعلي لهذه المدن ولولاه لما كانت موجودة اصلا. فشركة فسفاط قفصة كانت تؤمن التشغيل بمفردها لسكان أربعة مدن، اضافة الى تأمين الماء والكهرباء ومجانية النقل وتأمين تزويد المدن المنجمية بالمواد الغذائية وحاجيات السكان من خلال تركيز نقاط بيع في شكل مغازات تجارية، والتي تأسست منذ بداية القرن العشرين وتواصل العمل بها الى منتصف السبعينات.

لكـن كل هـذه الأدوار الهامـة والـتي ترجـع في الاصـل للدولـة الـتي كانـت ولازالـت غائبـة عـن هـذه المـدن، لا يمكـن ان تغفـل علينـا التأثـيرات البيئيـة والصحيـة لنشـاط إسـتغلال الفسـفاط ولأكـثر مـن 120 سـنة عـلى هـذه المـدن وسـكانها.

يمكـن حـصر التأثـيرات السـلبية لنشـاط إسـتغلال وتثريـة الفسـفاط بمـدن الحـوض المنجمـي عـلى اربعـة مجـالات اساسـية وهـي: المـوارد الطبيعيـة وخاصـة المـاء، المناظـر الجماليـة العامـة، الصحـة وإطـار العيـش (الفضـاء العمـراني).

1-6- آثار إستغلال الفسفاط على الموارد الطبيعية

توجـد منطقـة الحـوض المنجمـي بجنـوب ولايـة قفصـة وجنوبهـا الـشرقي، وهـي بالتـالي في منطقـة ذات منـاخ جـاف غـير ممطـر وتسـيطر عـلى تضاريسـه الجبـال والاراضي ذات الطابـع الفلاحـي الضعيـف. وبالتـالي فـان مـوارد المنطقـة الطبيعيـة نـادرة وهشـة في نفـس الوقـت وخاصـة بالنسـبة للمـاء. حيـث ان الجهـة لا تتوفـر عـلى سـدود او بحـيرات جبليـة نظـرا لضعـف التسـاقطات المطريـة، بـل تعيـش الولايـة بكاملهـا عـلى ميـاه الموائـد النصـف عميقـة والعميقـة وهـي محـدودة عـلى مسـتوى الامتـداد والكميـة ومعـدل التجـدد. كمـا ان هـذه الميـاه تسـتعمل في كل المجـالات الحيويـة للسـكان مـن مـاء صالـح للـشراب وميـاه الـري للفلاحـة والنشـاط الصناعـي والخدمـاتي.

نظـرا لضعـف النسـيج الصناعـي بمنطقـة الحـوض المنجمـي إن لـم نقـل إنعدامـه، فـان النشـاط المهيمـن عـلى إسـتغلال المـوارد المائيـة هـو نشـاط إسـتغلال وتثريـة الفسـفاط. لكـن تقنيـة التثريـة ليسـت تقنيـة قديمـة قـدم اسـتخراج الفسـفاط، بـل كانـت شركـة فسـفاط قفصـة تسـتخدم أسـلوب التهوئـة لفصـل الفسـفاط عـن الشـوائب، وهـي تقنيـة ملوثـة جـدا وتكبـد أهـالي الحـوض المنجمـي ويـلات الغبـار والتلـوث الهـوائي اليومـي، الـذي خلـف أمـراض صدريـة ضحايـاه لا تحـصى.

أمـام التقـدم العلمـي والتقـني في مجـال تثريـة الفسـفاط، وبعـد مـا أصبـح التلـوث الهـوائي كارثـة عـلى المنطقـة ككل، انطلقـت شركـة فسـفاط قفصـة منـذ أواخـر السـبعينات في تركـيز وتعميـم مغاسـل الفسـفاط بـكل مواقـع الاسـتخراج، ولكـن لـكل تقنيـة ضريبـة بيئيـة، فكانـت الضريبـة البيئيـة لغسـل الفسـفاط: إسـتغلال مـوارد مائيـة كبـيرة رغـم كـون جلهـا مـن النوعيـة المالحـة، وتلـوث مـائي ناجـم عـن الميـاه المشـحونة بالوحـل الطيـني الصـادر عـن المغاسـل. وتسـتغل شركـة فسـفاط قفصـة 11 مغسـلة لتثريـة الفسـفاط باسـتعمال كميـات كبـيرة مـن ميـاه الموائـد المائيـة العميقـة بمنطقـة الحـوض المنجمـي وخاصـة مـن منطقـة البركـة بـأم العرائـس والطرفايـة بالرديـف والقويفلـة بتـوزر وسـيدي احمـد زروق بقفصـة.

ووفـق المعطيـات الميدانيـة لنشـاط المغاسـل، يتبـين أن طنـا واحـدا مـن الفسـفاط الخـام يتطلـب مـا بـين 1 إلى 1.5 مـتر مكعـب مـن المـاء لتثريتـه. وهـو مـا يعـني انـه في ظـل الظـروف العاديـة للإنتـاج الـتي يصـل فيهـا إلى حـوالي 12.5 مليـون طـن مـن الفسـفاط الخـام، فـان شركـة فسـفاط قفصـة تسـتغل كميـة مـاء تـتراوح مـا بـين 18 و 20 مليـون مـتر مكعـب سـنويا.

ما يعني أن شركة فسفاط قفصة تستغل سنويا حوالي 72 بالمائة من الموارد المائية الجوفية العميقة لمنطقة الحوض المنجمي المقدرة بحوالي 25.1 مليون متر مكعب في السنة، وحوالي 48 بالمائة من الموارد المائية الجملية للمنطقة. مع العلم أن الشركة تستغل مياه ذات ملوحة تتراوح ما بين 5 و9 غ/ل، أي أنها غير صالحة للشراب ولا للاستعمال الفلاحي. إلا في الرديف أين تستغل شركة فسفاط قفصة نفس المائدة التي تستغلها الشركة الوطنية لاستغلال وتوزيع المياه.
تستغل شركة فسفاط قفصة هذه الموارد المائية من خلال 18 بئرا عميقة موزعة على 4 آبار بأم العرائس و3 آبار بالطرفاية بالرديف، و06 آبار بالبركة، وبئرين بالسقي، و03 آبار بالقويفلة. وتقدر طاقة ضخ هذه الآبار بحوالي 715ل/ث، وهي طاقة ضخ كبيرة بالمقارنة مع احتياطي الموائد المائية العميقة بجهة الحوض المنجمي.

مما يعني انه إذا تواصل إستغلال المياه من طرف شركة فسفاط قفصة على هذه الوتيرة، فان ديمومة نشاط الفسفاط خلال 20 سنة القادمة ستصبح مهددة، كما ان حياة سكان مدن الحوض المنجمي ستصبح في خطر امام تراجع الموارد المائية الحياتية بالجهة، اضافة الى تلوث هذه الموائد جراء تصريف المياه الطينية من المغاسل في المحيط الطبيعي وخاصة الاودية.في ظروف الإنتاج العادية، تستعمل شركة فسفاط قفصة، معدل كمية مياه تقدر سنويا بحوالي 18 مليون متر مكعب سنويا في مجال غسل الفسفاط، يقع تصريف حوالي 11 مليون متر مكعب سنويا من المياه الطينية ذات تركيز كبير للمواد الطينية العالقة والتي تتجاوز في بعض الأحيان 330 ق/ل، اضافة الى مواد ملوثة اخرى.

من خلال المعطيات والإحصائيات الصادرة عن شركة فسفاط قفصة، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين 1979 إلى 2000، فان كمية الوحل الطيني المصرف بشبكة الأودية بمنطقة الحوض المنجمي قد تجاوزت 42 مليون طنا. كما أن معدل الوحل الطيني المترسب بمجاري الأودية يقدر بحوالي 24 مليون طن منذ سنة 2000 إلى حدود سنة 2010. وهي كميات ملوثة قادرة على احداث تأثيرات كبيرة على المنظومات الطبيعية وخاصة على تغذية الموائد المائية. اذ ان الوحل الطيني يمثل حاجزا طبيعيا لتسرب مياه السيلان الى الموائد السطحية وبالتالي الى الموائد العميقة. كل ذلك سيكون له تأثير كبير على تجدد الموائد المائية، مما سيقلص من طاقة تدفق المياه منها على المدى المتوسط والبعيد.

صور للمغسلة عدد 4 بالمتلوي

اكوام شوائب غسل الفسفاط على حافة وادي ام العرائس

خريطة مواقع مغاسل الفسفاط (بالأصفر) والأودية التي يصرف بها الوحل الطيني الناجم عن نشاط المغاسل

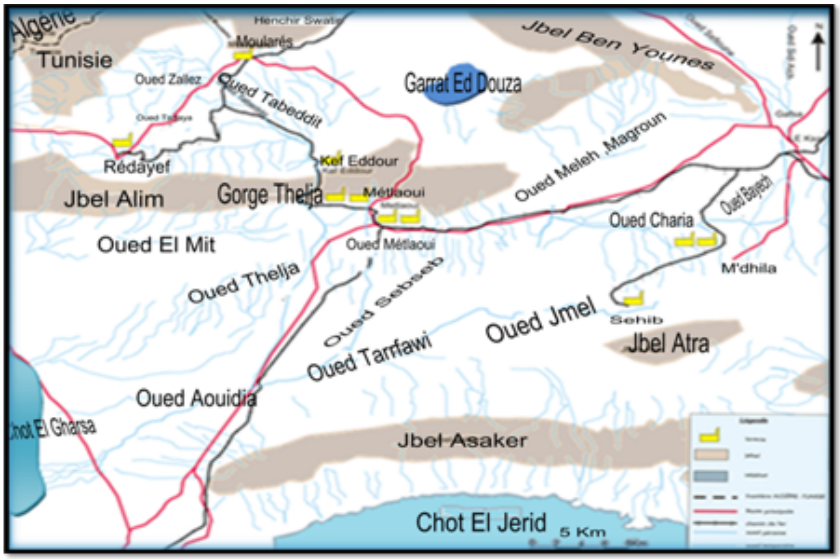

مـن خـلال الخريطـة يتبـين ان هـذه الميـاه الملوثـة الناجمـة عـن نشـاط مغاسـل الفسـفاط بالحـوض المنجمي تقطعـه مسـافة الكبـيرة، وبالتـالي فـان ترسباتها تمتـد عـلى مسـاحة كبـيرة تتجـاوز 3250 كلـم مربـع (أي حـوالي مسـاحة ولايـة المنسـتير بكاملهـا). وتشـمل المنطقـة المعنيـة بترسـبات الميـاه الطينيـة: منطقـة المتلـوي والرديـف وأم العرائـس مـن الشـمال الـشرقي لمنطقـة قفصـة والمظيلـة شرقـا، وأيضـا المنطقـة المجففـة لـوادي الثالجـة والسبسـب والعوديـة والجمـل مـن الروافـد عـلى مسـتوى شـط الغرسـة شـمالا.

لقـد تأثـرت العديـد مـن المناطـق بهـذه الترسـبات الطينيـة وخاصـة منطقـة تبديـت الفلاحيـة، الـتي تعرضـت لإتـلاف العديـد مـن المحاصيـل، واحترقـت جـراء هـذه الميـاه عـدد كبـير مـن الأشـجار المثمـرة، إضافـة إلى تصحـر مسـاحات كبـيرة مـن الأراضي خاصـة إبـان فيضـان وادي تبديـت وأم العرائـس والـذي يتسـبب في إنتشـار هـذه الميـاه الطينيـة عـلى مسـاحات واسـعة.

كمـا تسـببت هـذه الميـاه في تلويـث الأوديـة الرمليـة وتلويـث بعـض الموائـد المائيـة السـطحية بتبديـت والرديـف وام العرائس.مـن خـلال التحاليـل القليلـة الـتي أنجـزت لهـذه الميـاه الطينيـة، يمكـن القـول أن بهـا العديـد مـن العنـاصر الملوثـة وغـير المطابقـة مـع المواصفـات التونسـية م.ت 10602.

انطلاقا من اتساع مساحة ترسب الاوحال الطينية الناجمة عن مغاسل الفسفاط، فان التلوث لم يشمل الموارد المائية السطحية والجوفية فقط، بل بلغ أيضا التربة من خلال تلويث الاراضي الفلاحية التي تشقها وخاصة بمنطقة تبديت والقويفلة ومنطقة العودية وعرق القنابل الى حدود شط الغرسة من ولاية توزر. اضافة الى تلويث منطقة الثالجة ذات البعد البيئي والسياحي الخلاب، اذ قطعت المياه الطينية التي تشق خنقة الثالجة الطريق على كل من يريد الذهاب والتوغل بمنطقة الثالجة للتمتع بمناظرها الجمالية العامة. كما تسببت هذه الاوحال الطينية في القضاء على المراعي المخصصة لتربية الجمال بالمنطقة والتي كانت منتشرة بالقويفلة والعودية ووادي الثالجة.

انسياب المياه الطينية الملوثة بمجاري الاودية بمنطقة الحوض المنجمي

تصريف المياه الطينية بمجاري الاودية بالحوض المنجمي

امام اتساع رقة انتشار المياه الطينية بمنطقة الحوض المنجمي واجزاء من ولاية توزر، ونظرا لتعدد الاحتجاجات الاهلية المطالبة بوقف التلوث الناجم عن تصريف مياه مغاسل الفسفاط في الوسط الطبيعي، انطلقت شركة فسفاط قفصة في اعداد دراسة لمعالجة هذا التلوث سنة 1999، والتي افرزت مقترحات بتركيز احواض طبيعية لتجميع مياه المغاسل والعمل على رسكلة واعادة استعمال أكبر كميات ممكنة بغسل الفسفاط. وكانت توقعات المشروع تتمحور حول اعادة استعمال 6 مليون متر مكعب سنويا من هذه المياه الطينية، اي ما يساوي 30 % من مجمل كمية المياه المستغلة من طرف شركة فسفاط قفصة سنويا.

فتم تركيز وإستغلال أول حوض مائي سنة 2005 بالمظيلة، لتواصل الشركة خلال سنوات 2006-2009 انجاز هذه الأحواض الطينية بكل من منطقة السبسب بالمتلوي وكاف الدور وام العرائس والرديف. كما تم انجاز حوض طيني ثاني بالمظيلة بعدما تم الاستعمال الكامل للحوض الاول. ولقد مكنت هذه الاحواض خاصة بالمظيلة من اعادة استعمال كميات كبيرة من المياه قدرت خلال الفترة ما بين 2005 و2008 بحوالي 3.2 مليون متر مكعب بكامل الحوض المنجمي.

الا انه بعد 14 جانفي، وما تبعه من اعتصامات وايقاف دوري لنشاط الفسفاط بمدن الحوض المنجمي، تم التخلي نهائيا عن هذا المشروع من طرف شركة فسفاط قفصة، ولم تبقي الا على الحوض الطيني الثاني بالمظيلة في حالة إستغلال.

صورة للحوض الطيني بالمظيلة

2-6- تأثير نشاط شركة فسفاط قفصة على المناظر الجمالية العامة

تتميز منطقة الحوض المنجمي بمناظر جمالية عامة يطغى عليها الطابع الجبلي من ناحية، وامتداد الاراضي القاحلة من ناحية اخرى. وتشكل السلاسل الجبلية بالمدن المنجمية ستائر طبيعية تعطيها خصوصية بيئية تميزها عن باقي المدن الاخرى.

عنـد اكتشـاف الفسـفاط بمنطقـة الثالجـة سـنة 1885، وانطلاقـا مـن عـدم توفـر امكانـات تقنيـة متطـورة للإسـتغلال السـطحي، فـان الخيـار الامثـل بالنسـبة لشركـة فسـفاط قفصـة في تلـك الفـترة كان الإسـتغلال الباطـني عـبر دواميـس تحـت الارض. وتتميـز هـذه الطريقـة بكونهـا أكـثر انتقائيـة في الإسـتغلال، اي ان مـا يخـرج مـن الداموس هـو الفسـفاط القابـل للإسـتغلال فقـط. كمـا ان الإسـتغلال الباطـني للفسـفاط ليـس لـه اي آثـار سـلبية او اضرار بالجبـال او التـلال الطبيعيـة. وبالتـالي فـان المناظـر الطبيعيـة العامـة بالمنطقـة بقيـت عـلى حالتهـا الطبيعيـة.

يمكـن ان نعتـبر ان الاضرار بالمناظـر الجماليـة العامـة بمنطقـة الحـوض المنجمـي في تلـك الفـترة، وارتباطـا بطريقـة الإسـتغلال الباطـني للفسـفاط قـد انحـصرت في وجـود وحـدات تثريـة الفسـفاط الـتي كانـت تشـتغل بطريقـة التهوئـة الـتي تفـرز كميـات كبـيرة مـن الغبـار والـذي حـول لفـترات زمنيـة طويلـة مـدن الحـوض المنجمـي الى مواقـع غـير قابلـة للعيـش جـراء هـذا الغبـار. كمـا مثلـت هـذه الوحـدات اجسـاما هجينـة تشـق النسـيج العمـراني الـذي مـا فـتئ يتوسـع الى درجـة انهـا اصبحـت في قلـب الاحيـاء السـكنية، ممـا جعـل شـكل المـدن وسـكانها يعيشـون يوميـا تحـت اطنـان مـن الغبـار.

فتحولـت المـدن بمـرور الوقـت الى مناطـق بائسـة لونهـا داكـن كلـون غبـار الفسـفاط جـراء اكـوام شـوائب الفسـفاط (Stérile)، والـتي مثلـت لأكـثر مـن نصـف قـرن مصـادر دائمـة لتصاعـد الغبـار، خاصـة وأنهـا كانـت ملاصقـة للنسـيج العمـراني بأغلـب مناطـق الحـوض المنجمـي. ولـم يقـع نقلهـا الا بدايـة سـنوات 2000 بعدمـا تـم التخـلي نهائيـا عـن تقنيـة تثريـة الفسـفاط بالتهوئـة.

امـام تراجـع الجـدوى الانتاجيـة والاقتصاديـة للإسـتغلال الباطـني للفسـفاط، وارتباطـا بارتفـاع الطلـب العالمـي عليـه وارتفـاع اسـعاره بدايـة السـبعينات، ونظـرا للتطـور التقـني والتكنولوجـي الكبـير آنـذاك وخاصـة فيمـا يتعلـق بوسـائل وآليـات وتجهـيزات الإسـتغلال السـطحي للفسـفاط، دخلـت شركـة فسـفاط قفصـة في مـشروع التخـلي التدريجـي عـن المناجـم الباطنيـة لصالـح الإسـتغلال المقطعـي المكشـوف للفسـفاط. وكان اول مقطـع سـحطي بمنطقـة كاف الشـفاير بالمتلـوي سـنة 1978. فكانـت بذلـك الانطلاقـة الفعليـة للتحـولات الهيكليـة لشركـة فسـفاط قفصـة عـلى مسـتوى طـرق الإسـتغلال وطاقـة الانتـاج والإمكانـات التقنيـة الموضوعـة عـلى ذمـة هـذه المرحلـة الجديـدة.

فتواتـر فتـح المقاطـع السـطحية مـن ناحيـة، والتخـلي عـن الإسـتغلال الباطـني مـن ناحيـة اخـرى الى حـدود سـنة 1992 تاريـخ غلـق آخـر منجـم باطـني بالمتلـوي والتحـول نهائيـا للإسـتغلال السـطحي مـن خـلال مقاطـع مكشـوفة. وتسـتغل اليـوم شركـة فسـفاط قفصـة 8 مقاطـع للفسـفاط بـكل مـن كاف الشـفاير وام الخشـب وكاف الـدور والمظيلـة وجبـل صهيـب ومزنـدة والرديـف وام العرائـس.

يعتمـد الإسـتغلال السـطحي للفسـفاط عـلى تحويـل الطبقـات الجيولوجيـة الـتي تغطـي طبقـات الفسـفاط التسـع الموجـودة عـبر اسـتعمال المتفجـرات وتحويـل هـذه الطبقـات الجيولوجيـة الى تـراب وحجـارة صغـيرة قابلـة لتحويلهـا مـن مواقعهـا الطبيعيـة الى مواقـع اخـرى. بمعـنى أكـثر وضـوح؛ الإسـتغلال

السـطحي للفسـفاط يعتمـد عـلى نقـل الجبـال بكاملهـا مـن مواقعهـا الى مواقـع اخـرى لاسـتخراج طبقـات الفسـفاط الموجـودة تحتهـا. وهـو مـا يعـني تشـويها كامـلا للطبيعـة عـبر محـو الجبـال وقممهـا مـن الطبيعة، وتعويضهـا بأكـوام مـن الـتراب والحجـارة المفـرزة مـن جـراء التفجـيرات لهـذه الجبـال.

صورة لمقطع سـطحي لإسـتغلال الفسفاط بالحوض المنجمي

وفـق التقاريـر الرسـمية لشركـة فسـفاط قفصـة، فـان كميـات الـتراب والحجـارة الـتي يتـم تحويلهـا مـن مواقعهـا الطبيعيـة سـنويا تـتراوح مـا بـين 70 الى 140 مليـون طنـا في السـنة حسـب طاقـة انتـاج الفسـفاط الخـام. ولتقديـم فكـرة واقعيـة لحقيقـة وضخامـة الكميـات الـتي يتـم تحويلهـا سـنويا، نـورد في الجـدول التـالي كميـات الـتراب والحجـارة الـتي تـم تحويلهـا مـن مواقعهـا الطبيعيـة مـن سـنة 2010 الى حـدود 2015 وفـق طاقـة الانتـاج مـن الفسـفاط الخـام (وفـق تقريـر نشـاط شركـة فسـاط قفصـة لسـنة 2015):

الكميات بالمليون طن

السنة	2010	2011	2012	2013	2014	2015
كمية التراب التي تم تحويلها	142	59.93	62.97	71.62	82.15	71.65
كمية الفسفاط الخام	13.22	2.93	5.074	5.69	5.23	4.18
كمية الفسفاط التجاري	8.22	2.28	2.6	3.07	3.54	3.002

مـن خـلال هـذا الجـدول يتبـين ان كميـة الاتربـة والحجـارة الـتي يتـم تحويلهـا مـن مواقعهـا الجبليـة الطبيعـة الى اماكـن أخـرى تكـون في العـادة ملاصقـة لمواقـع الإسـتغلال تقـدر سـنويا وفي حالـة النشـاط العـادي للشركـة بحـوالي 100 مليـون طنـا. وهـي كميـات ضخمـة تؤثـر بشـكل كبـير عـلى المناظـر الجماليـة العامـة لمناطـق الإسـتغلال بشـكل عـام. بإعتبـار ان هـذه الطريقـة في الإسـتغلال تقـوم عـلى نسـف الجبـال الطبيعيـة وتعويضهـا بجبـال مـن الاتربـة والحجـارة بعـد تفتيتهـا بالمتفجـرات.

وبالتالي إحداث مصادر للتلوث وتصاعد للغبار بشكل دائم ومستمر. كما ان هذه الطريقة تقوم بتغيير جذري لطبوغرافيا المناطق المنجمية بشكل جذري وغير قابل للعودة وبالتالي تغيير لحقيقة الجغرافيا والخرائط الطبوغرافية والجيولوجية. كما ان هذا التأثير يتجاوز المناظر الجمالية العامة الى مستوى الارث العلمي والجيولوجي للأجيال القادمة.

ومن خلال الزيارات الميدانية لمناطق الإستغلال المقطعي بمدن الحوض المنجمي، يمكن اعتبار منطقة كاف الشفاير وكاف الدور مناطق منكوبة جيولوجيا وطبوغرافيا. بل يمكن القول ان الجبال الطبيعية بهذه المناطق قد مسحت من الارض ولم يعد لها وجود الا بالخرائط، لتعوض بأكوام من التربة والحجارة شوهت المنطقة وجعلتها تحت تصاعد مستمر للغبار.

تحويل جبال بأكملها الى اكوام من التراب بمنطقة كاف الشفاير بالمتلوي

لا تقتصر الاضرار بالمناظر الجمالية العامة للإستغلال الفسفاطي بمناطق الحوض المنجمي على المقاطع ونسف الجبال الطبيعية من مواقعها فقط، بل ان وحدات غسل الفسفاط لازالت تمثل اضرارا كبيرا بالنسيج السكاني والعمراني بمدن الحوض المنجمي.

حيث انها تتوسط النسيج السكني وبالتالي تمثل عوائق جمالية لهذه المدن سواء على مستوى الجمالية او على مستوى امكانات التوسع المنظم. كما تفرز هذه الوحدات اضافة الى المياه الطينية الملوثة التي تصرف في الاودية، شوائب ونفايات صلبة (حجمها أكبر من 2مم) تقدر سنويا بحوالي 1.1 مليون طنا تكدس بجوار المغاسل، لتساهم بالتالي في تصاعد الغبار من ناحية والاضرار بجمالية الفضاءات العمرانية من ناحية اخرى خاصة بالمتلوي وام العرائس ومغسلة المظيلة المدينة، اين توجد المغاسل قرب مواطن العمران.

امام هذه الاضرار المتواصلة للمغاسل، طالب أهالي الحوض المنجمي منذ سنوات عديدة بإخراجها من المدن وخاصة بمنطق المتلوي وام العرائس اين توجد هذه المغاسل بقلب المحيط العمراني. فمتى تتحرر هذه المدن من نشاط شركة فسفاط قفصة؟

صورة للمغسلة عدد 4 المحاذية لحي سكني بالمتلوي

3-6- تأثير النشاط المنجمي على الصحة العامة

يعتبر النشاط المنجمي في اي مكان في العالم النشاط الاكثر خطورة على حياة العاملين به وصحتهم من ناحية، والمؤلم والصعب من ناحية اخرى. كما ان آثار النشاط المنجمي يتجاوز العاملين الى عائلاتهم ومدنهم بشكل كامل.

فمنذ الشروع الفعلي في انتاج الفسفاط في تونس وخاصة في فترة الإستغلال الباطني (الداموس)، قدم العمال على اجيال متتابعة العديد من الارواح جراء انهيار الداموس وسقوط الاعمدة والاوتاد التي يتم تركيزها لتثبيته. فكان الاهالي يودعون بشكل يومي ضحية من ضحايا الفسفاط في المناجم

الباطنيـة. كمـا كان معـدل الحيـاة لعمـال المناجـم ولحـدود السـبعينات لا يتجـاوز 54 سـنة وهـو اقـل مـن المعـدل الوطـني بكثـير. كمـا كان العمـال يتعرضـون للعديـد مـن الامـراض المهنيـة المزمنـة المرتبطـة بالإسـتغلال الباطـني كمـرض المفاصـل الناجـم عـن ارتفـاع درجـة الرطوبـة بالدامـوس، ومـرض السـيليكوز المرتبـط اساسـا بمـادة السـيليس الموجـودة في الفسـفاط والـتي يتكـون بتركـيز كبـير في الهـواء الاصطناعـي داخـل المنجـم، ممـا يؤثـر عـلى مـدى السـنين عـلى الجهـاز التنفسـي للعمـال. ويمكـن اعتبـار هـذا المـرض «السـيليكوز» مـن الامـراض المهنيـة الاكـثر انتشـار بـين صفـوف عمـال المناجـم، والـذي يتسـبب في موتهـم سـنوات قليلـة بعـد خروجهـم للتقاعـد.

هـذا عـلى مسـتوى العمـال، امـا بالنسـبة لتأثـير نشـاط الفسـفاط عـلى صحـة السـكان بشـكل عـام، فانـه يمكـن القـول ان تقنيـة تثريـة الفسـفاط بالتهوئـة الـتي كانـت تسـتعمل منـذ ثلاثينـات القـرن المـاضي والى حـدود اواخـر الثمانينـات قـد حولـت مـدن الحـوض المنجمـي الى مـدن الغبـار بامتيـاز.

اكوام الشـوائب الفسفاطية على مشـارف حي الطرابلسية السكني بالمتلوي

تنبعـث مـن هـذه الوحـدات مئـات الاطنـان مـن الغبـار الداكـن يوميـا ويتسـاقط عـلى المنـازل ويتركـز بالهـواء الـذي يتنفسـه الكبـار والصغـار. وهـو مـا جعـل سـكان المـدن المنجميـة الاكـثر عرضـة للأمـراض الصدريـة والحساسـية وغيرهـا مـن الامـراض المرتبطـة بتلـوث نوعيـة الهـواء. ويمكـن اعتبـار مـرض «السـيليكوز» الاكـثر انتشـارا بـين السـكان.

كمـا ان الميـاه المعـدة للـشرب بالمناطـق المنجميـة والمسـتخرجة مـن الموائـد الجوفيـة العميقـة كانـت سـببا مبـاشرا في امـراض الفـم وتسـاقط الاسـنان لـدى غالبيـة سـكان المـدن المنجميـة، والـتي عـادة مـا يكسـوها الاصفـرار في سـن مبكـرة، اضافـة الى امـراض الـكلى والمجـاري البوليـة في ارتبـاط مبـاشر بارتفـاع تركـيز مـادتي الكربونـات والفليـور بهـذه الميـاه المعـدة للـشرب والاسـتعمال اليومـي لسـكان المـدن المنجميـة.

ولتحمـل مسـؤولياتها الصحيـة تجـاه عمالهـا وعائلاتهـم، قامـت شركـة فسـفاط قفصـة بتركـيز مؤسسـة طـب الشـغل للقيـام بالمتابعـة الدوريـة للعمـال في مجـال الصحـة والسـلامة المهنيـة. كمـا كانـت تـشرف بشـكل مبـاشر عـلى المستشـفيات المحليـة بالمـدن المنجميـة وتنتـدب لهـا الاطبـاء والتجهـيزات الطبيـة اللازمـة، لتقـدم الخدمـات الصحيـة الجيـدة والمجانيـة للعمـال وعائلاتهـم وبالتـالي لأغلـب سـكان هـذه المـدن. ممـا جعـل شركـة فسـفاط قفصـة تقـوم مقـام الدولـة بالكامـل.

لكـن ومنـذ منتصـف الثمانينـات، وارتباطـا بمـشروع الاصـلاح الهيـكلي المفـروض عـلى تونـس مـن طـرف صنـدوق النقـد الـدولي، بـدأت شركـة فسـفاط قفصـة في تسريـح العمـال والتخـلي التدريجـي عـن ادوارهـا في الرعايـة الصحيـة. ممـا جعـل مسـتوى الخدمـات الصحيـة ينهـار، وتتحـول المستشـفيات المحليـة الى اشـباه مؤسسـات صحيـة مـن خـلال انعـدام الاطبـاء وخاصـة اطبـاء الاختصـاص، ونقـص الاطـارات الطبيـة والشـبه الطبيـة بسـبب غلـق بـاب الانتدابـات، اضافـة الى غيـاب التجهـيزات الضروريـة لتقديـم الخدمـات الصحيـة الاساسـية للسـكان.

فـتردّ تبعـا لذلـك الوضـع الصحـي بالكامـل في هـذه المـدن مـع تواصـل انتشـار الامـراض المزمنـة والمرتبطـة بنشـاط الفسـفاط، كل ذلـك في ظـل غيـاب كامـل للدولـة في المجـال الصحـي، اذ ان انسـحاب شركـة فسـفاط قفصـة مـن ادوارهـا في الرعايـة الصحيـة لـم يقـع تعويضـه مـن طـرف اجهـزة الدولـة منـذ سـنة 1985.

6-4- تأثير إستغلال الفسفاط على النسيج السكاني والعمراني

عندمـا تعرضنـا الى تاريـخ نشـأة المـدن المنجميـة، توصلنـا الى نتيجـة اساسـية مفادهـا ان هـذه المناطـق مدينـة للفسـفاط ولشركـة فسـفاط قفصـة بالنشـأة والوجـود والتطـور. كمـا ان نسـيجه العمـراني تمـيز بالتنـوع والاختـلاط محليـا واقليميـا ممـا أثـرى البعـد الاجتماعـي والثقـافي لهـذه المـدن.

فمنـذ نشـأة المـدن المنجميـة حـاول المسـتعمر ان يوفـر الظـروف العمرانيـة المناسـبة لرعايـاه الوافديـن

مـن فرنسـا وايطاليـا ومالطـا واليونـان للعمـل بنشـاط اسـتخراج الفسـفاط. فبـنى لهـم احيـاء عـلى الشـاكلة الاوروبيـة، ووفـر فيهـا كل مسـتلزمات العيـش مـن مغـازات وملاعـب تنـس وفضـاءات ترفيـه. كمـا احتـوت المنـازل عـلى حدائـق ومسـابح صغـيرة بالشـكل المتوفـر في مدنهـم الاوروبيـة الاصليـة. امـا العمـال اصيـلي البـلاد والذيـن كانـوا في غالبيتهـم رحّـلا، فانهـم امـا حافظـوا عـلى طابعهـم القبـلي وبقـوا يعملـون بالمنجـم ويسـكنون بمناطقهـم القبليـة خـارج مـدن النشـاط المنجمـي، او قـرروا الاسـتقرار بهـذه المـدن الجديـدة. فبنـوا منـازل بعيـدة عـن الاحيـاء الاوروبيـة الـتي تـم انشـائها مـن طـرف الـشركات الاسـتعمارية الـتي تسـتحوذ عـلى إسـتغلال الفسـفاط. فتأسسـت بذلـك داخـل نفـس المدينـة المنجميـة بدايـة الثلاثينـات احيـاء اوروبيـة خاصـة بالعمـال الاجانـب مـن الـدول الاوروبيـة، واحيـاء عربيـة يقطنهـا السـكان الاصليـون والعمـال القادمـون مـن الولايـات الاخـرى كالـكاف وبـنزرت وجندوبـة وبعـض مـدن السـاحل، اضافـة الى عمـال مـن ليبيـا والجزائـر والمغـرب.

امـام تطـور حركـة الهجـرة للمـدن المنجميـة وخاصـة مـن دول المغـرب العـربي، فانـه تـم تركـيز احيـاء خاصـة بـكل دولـة. فـكان حـي «السـوافة» وحـي «المـروك» وحـي «الطرابلسـية» بـكل المـدن المنجميـة. لـئن كانـت الاحيـاء الاوروبيـة قريبـة مـن المصالـح الخارجيـة للإنتـاج ويمكـن اعتبارهـا قريبـة مـن وحـدات تثريـة الفسـفاط في إطـار تقريـب مواقـع العمـل مـن عمالهـم الأوروبيـين، فـان الاحيـاء العربيـة كانـت بعيـدة عـن هـذه الاحيـاء وعـلى تخـوم هـذه المـدن الحديثـة النشـأة.

بعـد 1956 شرع المسـتعمر في مغـادرة المـدن المنجميـة صحبـة رعاياه مـن العمـال والاطـارات، وبـدأت الاطـارات التونسـية والعمـال المختصـين في الاسـتقرار بمنازلهـم الجديـدة في الاحيـاء الاوروبيـة. بينمـا تواصـل تطـور الاحيـاء الشـعبية او مـا كان يطلـق عليهـا الاحيـاء العربيـة امـام تطـور عـدد سـكان هـذه المـدن نتيجـة موجـات هجـرة متتاليـة للعديـد مـن العمـال مـن الولايـات الاخـرى بالبـلاد سـواء لتعويـض العمالـة الاجنبيـة او لتعويـض عمـال دول الجـوار الذيـن بـدأوا في الرجـوع الى اوطانهـم بدايـة السـتينات بسـبب اسـتقلالها ومغـادرة المسـتعمر الفرنـسي لأراضيهـم.

امـام هـذه الموجـات المتتاليـة لهجـرة العمـال الى مناطـق الحـوض المنجمـي، بـدأت المـدن المنجميـة تتوسـع بشـكل كبـير في اتجـاه مصالـح الانتـاج الخارجيـة لشركـة فسـفاط قفصـة، وخاصـة لوحـدات تثريـة الفسـفاط ومواقـع التخزيـن والمعـدات. وبمـرور الوقـت الى حـدود بدايـة الثمانينـات، أصبحـت تجهـيزات ووحـدات تثريـة الفسـفاط تتوسـط جـل المـدن المنجميـة وتحاصرهـا المسـاكن مـن كل جانـب. وكان هـذا التوسـع العمـراني عشـوائيا وغـير مخطـط لـه نظـرا لغيـاب الدولـة في هـذه الربـوع الـتي كانـت برمتهـا فعليـا ملـكا لشركـة فسـفاط قفصـة.

حي سكني عشوائي محاذي لمغسلة ام العرائس

هـذه الموجـات المتتاليـة مـن الهجـرة لمـدن الحـوض المنجمـي، حولـت مـدن الحـوض المنجمـي الى مركـز اسـتقطاب سـكاني كبـير في ارتبـاط بالقـدرة التشـغيلية لشركـة فسـفاط قفصـة آنـذاك. لكـن في منتصـف الثمانينـات وبعـد الـشروع الفعـلي في تخـلي الشركـة عـن دورهـا الاقتصـادي في التشـغيل وعـن دورهـا الاجتماعـي والثقـافي والتربـوي والريـاضي أصبحـت هـذه المـدن مناطـق طـاردة لسـكانها مـن خـلال التسريح المبكر للعمـال وغلـق بـاب الانتدابـات وتـدني مسـتوى الخدمـات العموميـة وانعـدام الاسـتثمار والتشـغيل خـارج شركـة فسـفاط قفصـة.

لهـذه الاسـباب بـدأت هـذه المـدن تتعـرض لهجـرة مضـادة، اي بـدأت تتراجـع سـكانيا وعمرانيـا، وتتحـول تدريجيـا الى مـدن للمتقاعديـن والمعطلـين وتجـارة الحـدود. فهجرهـا شـبابها المتعلـم والحامـل للشـهائد امـام انسـداد افـق التشـغيل والعمـل بهـا.

كمـا بقيـت تحـت تأثـير وحـدات الانتـاج والمغاسـل الـتي تتوسّـطها، فتتحمـل آثارهـا السـلبية وتلوثهـا. كمـا انتـشرت بهـا مخـازن شركـة فسـفاط قفصـة ونفاياتهـا الصلبـة والسـائلة.

امـا بالنسـبة للتهيئـة الترابيـة والعمرانيـة لهـذه المـدن، فانـه يمكـن القـول انهـا خـارج الزمـن العمـراني، اذ ان نسـيجها العمـراني لا يخضـع لأي مثـال تهيئـة عمـراني. كمـا ان اغلـب مـدن الحـوض المنجمـي مبنيـة عـلى اراض تابعـة للدولـة اي ان السـكان وطبقـا للقانـون لا يملكـون المسـاكن الـذي يقطنونهـا. ولـم تبـدأ الدولـة في تسـوية الاوضـاع العقاريـة للسـكان الا خـلال سـنوات 2014-2015، ولازالـت عمليـات تسـوية الاوضـاع العقاريـة لبلديـات برمتهـا متواصلـة.

امـا عـلى مسـتوى سـلامة وثبـات الاحيـاء السـكنية، فـان الإسـتغلال الباطـني للفسـفاط بمـدن الحـوض المنجمـي، والـذي دام حـوالي 100 سـنة، تـرك فراغـات ودواميـس عميقـة تحـت الارض اي تحـت المسـاكن الآهلـة بسـكانها. وبعـد التخـلي النهـائي مـن طـرف شركـة فسـفاط قفصـة عـلى إسـتغلال المناجـم الباطنيـة تركـت عـلى حالهـا دون دراسـات تتعلـق بثباتهـا وسـلامة النسـيج العمـراني والبـشري الـذي يعلوهـا.

فكانـت اول عمليـات انهيـار للمسـاكن بالرديـف اواخـر التسـعينات تحـت خـط الانتـاج الباطـني المسـمى Z6، والـذي يشـق حـي المغـرب العـربي الكبـير او مـا يعـرف تاريخيـا «بحـي السـوافة». هـذه الحادثـة الـتي هدمـت أكـثر مـن 10 مسـاكن تعـد فاخـرة قـد طرحـت عـلى النقـاش ولأول مـرة بمـدن الحـوض المنجمـي مـدى سـلامة النسـيج العمـراني في علاقـة بالمناجـم الباطنيـة.

ولـئن حاولـت شركـة فسـفاط قفصـة نقـل السـكان المتضرريـن مـن الانهيـارات الارضيـة وتعويضهـم عـن مسـاكنهم مـن ناحيـة والانطـلاق في دراسـة جيوفيزيائيـة لتحديـد المناطـق الخطـرة والمهـددة بالانهيـارات المسـتقبلية مـن ناحيـة أخـرى. الا ان نتائـج هـذه الدراسـة لـم تقـدم للعمـوم، هـذا ان كانـت هنالـك دراسـة فعـلا.

صور لانهيار المساكن جراء الإستغلال الباطني بالرديف

فهـل سـتتواصل اوضـاع المـدن المنجميـة بالانحـدار والفقـر والتهميـش رغـم ثرائهـا بالمـوارد الطبيعيـة المتنوعـة والإمكانـات البشريـة؟

02

القسم الثاني :

الإمكانات الطبيعية والبشرية للتنمية بمدن الحوض المنجمي

مقدمة

بعدما قمنا بإعداد القسم الاول من الدراسة، والتي تمحور حول تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي وظروفها ومسار تاريخ نشأتها، إضافة الى الدراسة المعمقة لشركة فسفاط قفصة ودورها في بناء ونشأة هذه المدن، وتأثير نشاطها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لهذه المدن، فان اعداد المرحلة الثانية من الدراسة ووفق الصيغ المرجعية المتعلقة بها ستكون متعلقة بالإمكانيات الطبيعية والبشرية والثقافية المتوفرة بهذه المدن لإنجاز تنمية حقيقية وعادلة تحقق النقلة النوعية لأهالي الحوض المنجمي، وتزيل عنهم العناء والغبن والتهميش والفقر الذي لازمهم سنوات طويلة.

وستكون هذه المقاربة مرتكزة على ثلاث مقاربات:

- مقاربة ميدانية لاستكشاف الموارد الطبيعية والثقافية والبشرية لهذه المدن.
- مقاربة حوارية مع الأطراف المحلية المعنية بالتنمية.

كما سنقدم خلال هذا القسم من الدراسة، مخططا بيئيا مفصلا لإزالة التلوث بمدن الحوض المنجمي الناجم عن نشاط شركة فسفاط قفصة. كل ذلك في إطار تحسين سبل العيش بمدن الحوض المنجمي. بناءًا على ما تقدم فان المرحلة الثانية من الدراسة ستكون متكونة من المحاور التالية:

1- مدخل عام حول مفهوم التنمية ومؤشراتها.

2- الإمكانات التنموية المتاحة بمدن الحوض المنجمي

3- مقاربة سوسيولوجية لمعوقات التنمية بمدن الحوض المنجمي

4- تحديد مخطط تفصيلي لمقاومة التلوث بالحوض المنجمي.

المحور الاول

مدخل عام حول مفهوم التنمية ومؤشراتها

مدخل عام حول مفهوم التنمية ومؤشراتها

تعتبر كلمة «التنمية» أكثر الكلمات استعمالا من طرف التونسيات والتونسيين خلال العشر سنوات الأخيرة، وذلك ارتباطا بما يعيشونه من فقر وتهميش وبؤس. لكن الأغلبية لا تتوفر على مفهوم محدد للتنمية. حيث ان التنمية بالنسبة لغالبيتهم مرتبطة بالطريق والتشغيل ومستوصف ومكتب بريد وهي مظاهر للتنمية او انعكاس لها وليست التنمية في حد ذاتها. فما هو مفهوم التنمية؟

1- مفهوم التنمية

شهد مفهوم التنمية تطورا كبيرا على مستوى الفكر السياسي والاقتصادي السياسي على حد السواء خلال 70 سنة الأخيرة، وذلك ارتباطا بالتطورات الهيكلية الكبرى التي شهدها المجتمع الدولي وتطور الصراعات السياسية والاقتصادية التي تحكمه.

فالتنمية هي مجمل التحولات الإيجابية على المستوى التقني والديموغرافي والصحي والتربوي التي تحدث بمجتمع في مكان ما.
بتعريف أكثر بساطة التنمية هي خلق الثروة من خلال عمليات متعددة ومعقدة وشاملة ومستمرة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وفق تصور فكري وأيديولوجي محدد. وتهدف التنمية بهذا المعنى الى تنمية الموارد المادية والبشرية للمجتمع وجعله يتغير بشكل متواصل عبر تطوير إمكانياته الداخلية حتى تحقق الرفاه للجميع.

كما تشير عبارة « نمو» في علم البيولوجيا الى مسار نمو وتطور الاحياء، وهو مسار طبيعي وعفوي (نمو الانسان او النباتات). ولقد تم استعارة هذا المعنى الطبيعي للنمو قصد ابراز وبيان التطور الاقتصادي والاجتماعي، وقد طبق هذا التمشي خلال فترة الاربعينات، اذ تم اسقاط الظواهر الطبيعية وقوانينها على الظواهر الاقتصادية والاجتماعية.

فكما يتأثر نمو الطفل بالعوامل الداخلية والخارجية، فان نمو الثروة والمجتمع يتأثر بالعوامل الذاتية للمجتمع والعوامل الخارجية عنه.
ولقد اقرت منظمة الأمم المتحدة منذ سنة 1956 مفهوما للتنمية بكونها «العمليات التي بمقتضاها توجه جهود الحكومات والسكان لتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من اجل تحقيق الرفاه وتمكين الافراد من الاستفادة من الثروة المنتجة ببلادهم».

وبذلك وانطلاقا من هذا المفهوم للتنمية فإنها تهدف الى:

- الزيادة في الدخل الحقيقي للناس وتحسين إطار عيشهم.
- توفير الاستقرار.
- الزيادة في الثروة الوطنية ونموها.
- تحقيق العدالة الاجتماعية.

كما تتطلب التنمية شروطا أساسية أهمها:

- رأس مال فضائي
- رأس مال بشري
- رأس مال نقدي

تتجدد التنمية بمؤشرات مادية تقاص من خلالها جدوى الخيارات التنموية، ومدى تحقيقها للأهداف التي تم تحديدها سابقا. ومن اهم هذه المؤشرات: نسبة النمو والناتج المحلي الخام والقيمة المضافة والقدرة الشرائية والتضخم ومستوياته ومظاهر الانكماش الاقتصادي ومؤشرات التنمية البشرية.

2- مؤشرات التنمية الاقتصادية

امام تطور علوم الاقتصاد وخاصة علم الاقتصاد السياسي خاصة خلال السبعينات، فان التنمية الاقتصادية اصبحت تقاص وتتابع من خلال العديد من المؤشرات المحسوسة والقابلة للقيس.

2-1- مفهوم الاقتصاد

هي كلمة يونانية ظهرت عام 400 ق م تقريبا، حيث ألف المؤرخ اليوناني « زينوفن» كتابا تحت عنوانŒconomicus والتي تعني فن إدارة البيت، ثم توسع الناس في مدلول البيت حتى أطلق على الجماعة التي تحكمها دولة واحدة، وعليه فلم يعد المقصود من كلمة اقتصاد المعنى اللغوي وهو التوفير، ولا معنى المال فحسب، وإنما المقصود المعنى الاصطلاحي لمسمى معين وهو تدبير شؤون المال، إما بتكثيره وتأمين إيجاده وإما بتوزيعه، ونظراً لما لكلمة اقتصاد من ارتباط وثيق في الحياة العامة بكلمة مادة أو مادي، فقد ذهب كثير من علماء الاقتصاد إلى إضفاء الصفة الاقتصادية على كل ما يمت إلى الوقائع المادية.

وهنالك نوعان من الاقتصاد: الاقتصاد الجزئي والاقتصاد الكلي:

- الاقتصاد الجزئي: يدرس التحليل الاقتصادي الجزئي السلوك الاقتصادي للعناصر الاقتصادية للأفراد والشركات وطريقة تفاعلهم من خلال الاسواق الفردية (السلع والمواد المنتجة)، وندرة الموارد والأنظمة الحكومية. وهذا ما يطلق عليه في الشائع تحليل دراسة العرض والطلب.

- الاقتصاد الكلي: يهتم التحليل الاقتصادي الكلي بدراسة الاقتصاد ككل، ليوضح تأثير العوامل الاقتصادية على اقتصاد البلدان، كتأثير الدخل القومي ومعدلات التشغيل، التضخم، ومعدلات الاستهلاك الكلي ومعدل الانفاق الاستثماري ومكوناته. كما يدرس التحليل الاقتصادي الكلي تأثيرات السياسات النقدية والمالية المتبعة في البلد.

2-2- نسبة النمو

هي الزيادة في الناتج المحلي الخام بين فترتين ومن الأصلح أن تكونا متباعدتين للتأكد من التطور الفعلي للاقتصاد.

ولا يمكن لنسبة النمو، موضوعيا، أن تعكس التقدم والتطور الاقتصادي إلا إذا كانت أكبر من نسبة تطور عدد السكان لبلد ما.

وبالتالي فان التعامل مع نسبة النمو ولفترات قصيرة وبدون الأخذ بعين الاعتبار مجمل المؤشرات الديمغرافية والاجتماعية ليس إلا بيع للوهم ومغالطة اقتصادية كبرى.

كما أن نسبة النمو لا تعد في الاقتصاديات الحديثة تعبيرة ضرورية للتنمية أو دلالة على تحسن مستوى عيش الناس المادية، وتحقيق الرفاه الاجتماعي، الا إذا كانت طريقة توزيع الثروة المنتجة موزعة بشكل متكافئ وعادل، طبعا وفق طبيعة النظام السياسي والاقتصادي المتبع.

كما أن احتساب نسبة النمو بالطريقة الكلاسيكية تكون وفق المعادلة التالية:

PIB(N) – PIB (N-1)/PIB (N) X100

2-3- الناتج المحلي الخام PIB

الناتج المحلي الخام: هو عبارة عن القيمة السوقية لكل السلع والخدمات النهائية المعترف بها محليا، والتي يتم إنتاجها في دولة ما خلال فترة زمنية محددة لا تقل عن سنة مالية. وتحسب القيمة السوقية للسلع والخدمات النهائية بالأسعار الجارية.

لقد تم تطوير هذا المفهوم وربطه بالتضخم، خاصة من طرف الأمريكي سالمون كوزنيتش سنة 1934، والذي أكد على انه وجب أن تكون السيولة المتداولة في بلد ما متساوية مع القيمة السوقية للسلع والخدمات، حتى يمكن التحكم الفعلي في التضخم وتوفير الشروط الضرورية لقوة العملة المحلية.

وأمام صعوبة وتشعب طرق احتساب الناتج المحلي الخام، فانه تم إقرار معادلة رياضية سهلة:

PIB = CP+IG+ D.gouv+ (EXP-IMP)

الناتج المحلي الخام = الاستهلاك الخاص+ اجمالي الاستثمار الفعلي+ الانفاق الحكومي + (الصادرات – الواردات)

لكن بعض الدول مثل اليابان تقيم ناتجها المحلي الخام بمجموع القيمة المضافة لعمليات الإنتاج ولخدمات المنتجة.

2-4- القيمة المضافة

هـي الفـارق بـين قيمـة المـواد الأوليـة وقيمـة السـلعة المنتجـة والمسـتهلكة. فالقيمـة المضافـة هـي في الأصـل زيـادة ثـروة رأس المـال بشـكل تراكمـي لسلسـلة القيمـة. فـكل مـا كان رأس المـال ماسـكا بأكـثر المراحـل الانتاجيـة (الاحتـكار العمـودي)، كلمـا كانـت القيمـة المضافـة أكـبر أي كلمـا كان فائـض القيمـة أكـبر.

بالتـالي فـان الربـح الحقيقـي لا يـأتي مـن التبـادل التجـاري للسـلع بـل يـأتي مـن قيمـة ومجهـود العمـل المنتـج لهذه السـلع.
لذلـك اعتـبر كارل ماركـس أن قـوة ومصـدر مراكمـة رأس المـال الفعليـة هـي فائـض قيمـة العمـل المنجـز فعليـا.

ولكـن كل هـذه المـؤشرات الاقتصاديـة، والعمـل بشـكل عـام كأداة لإنتـاج الـثروة، تهـدف جميعـا للتحكـم في نسـب التضخـم وتحسـين المقـدرة الشرائيـة للسـكان في إطـار تحقيـق الرفـاه الاجتماعـي الشـامل باعتبـاره هدفـا أساسـيا للتنميـة.
فماذا تعني المقدرة الشرائية؟ وما معنى التضخم؟ وما هي العلاقة التلازمية بينهما؟

2-5- المقدرة الشرائية

هـي القـدرة عـلى شراء السـلع والخدمـات المسـوقة الضروريـة بالدخـل المتوفـر. وتحتسـب المقـدرة الشرائيـة وفـق العائلـة (Ménage) وليـس الفـرد.

يمكن احتساب المقدرة الشرائية وفق طريقتين:

- **المقـدرة الشرائيـة المرتبطـة بالمـال:** وهـي متوسـط كميـة السـلع والخدمـات الـتي يمكـن الحصـول عليها بالدخل المتوفر
- **كمية العمل اللازمة للحصول على سلعة محددة (الخبز مثلا)**

كما تم إقرار معادلة بسيطة لتحديد مؤشر تطور المقدرة الشرائية كما يلي:
مؤشر المقدرة الشرائية = (مؤشر الدخل / مؤشر الاسعار) X 100

I.P.A=(IR/IP) X100

بالتالي فان المقدرة الشرائية تبقى مرتبطة أساسا بالدخل، والدخل مرتبط بعاملين محددين هما:
— الضرائب
— تطور مؤشر الأسعار
ومؤشر الأسعار يعكس بشكل واضح التضخم والعوامل المرتبطة به.

2-6- التضخم

التضخم: هو الارتفاع الدائم والعام للأسعار، وينتج عنه بشكل مباشر ارتفاع دوران حجم النقود داخل الدورة الاقتصادية. مما ينجر عنه على المدى المتوسط، انخفاض السيولة النقدية لدى البنوك، الشيء الذي يدفع بالبنك المركزي سابقا لضخ كميات إضافية من السيولة لمجابهة الطلب الكبير عليها.

هذه الوضعية تجعل كمية النقود التي تدور في النسيج الاقتصادي تتجاوز بكثير القيمة الجملية للإنتاج بالبلاد، مما يتسبب في تراجع قيمة العملة المحلية. اي بعبارة أكثر سهولة: شعب يستهلك أكثر مما ينتج.

ينقسم التضخم بشكل عام الى اربعة مراحل:

1) **التضخم المستقر:** ويتميز باستقرار في الأسعار، وتتراوح نسبة التضخم في هذا المستوى ما بين صفر و2 %

2) **التضخم المتدرج:** ويتميز بالارتفاع الطفيف في الأسعار مع التحكم الفعلي فيها وتتراوح نسبته ما بين 3 و4 %

3) **التضخم المفتوح:** ويتميز بالارتفاع المتواصل والسريع للأسعار، وتدهور للمقدرة الشرائية وارتفاع حجم دوران النقود في الدورة الاقتصادية، وتتراوح نسبة التضخم في هذه الحالة ما بين 5 و10 %، وغالبا ما يتميز الوضع الاجتماعي في هذا المستوى من التضخم بالتوتر وعدم الاستقرار

4) **التضخم المفرط:** ويتميز بالارتفاع الجنوني للأسعار متبوع بدوران مهول لحجم النقود، مما يتسبب في انهيار العملة المحلية، وهو ما ينتج عنه دخول الاقتصاد في مرحلة الانكماش وبداية الانهيار

2-7- الانكماش الاقتصادي

هو الانخفاض في الأسعار ولمدة طويلة بعد ارتفاعها الجنوني، ناجم بالأساس عن عجز الطلب الداخلي (تراجع كبير في الاستهلاك)، مما يتسبب في فوائض ضخمة في المواد المنتجة، وبالتالي تباطأ في الإنتاج، وتراجع في مرابيح الشركات، مما يقلص من الاستثمارات الإنتاجية، وهو ما يعكس عدم خلق مواطن شغل جديدة، وبالتالي ارتفاع لمعدلات البطالة وما ينتج عن هذه الظروف حتميا، من توترات اجتماعية ومحاولات لتغيير الأنظمة السياسية وأنماط التنمية.

المحور الثاني

الإمكانات التنموية المتاحة بمدن الحوض المنجمي

الإمكانات التنموية المتاحة بمدن الحوض المنجمي

1-مقدمة:

بناء على ما تم التوصل اليه في المرحلة الأولى من الدراسة والمتعلقة بتشخيص واقع التنمية بمدن الحوض المنجمي، يمكننا القول على أن مدن الحوض المنجمي بقدر ما تمثل وحدة جغرافية وجيولوجية، فإنها تمثل وحدة اقتصادية واجتماعية، بل إن التركيبة السكانية والواقع الديموغرافي يتشابهان بشكل كبير.

مما جعل كل المؤشرات المتعلقة بالتنمية البشرية قريبة من بعضها البعض بين الرديف والمتلوي والمظيلة وأم العرائس. كما توصلنا الى نتيجة في غاية من الاهمية والمتمحورة حول غياب الدولة عن هذه المدن لمدة طويلة، وملء الفراغ من طرف شركة فسفاط قفصة جعل المنطقة ككل مرتهنة لهذه الشركة على مستوى التشغيل والإحاطة الاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية. بعبارة أكثر وضوحا كانت الشركة دولة داخل الدولة، وعندما قرر لها أن تتراجع عن كل الأدوار التقليدية والتاريخية التي كانت تلعبها بمنطقة الحوض المنجمي، ظهرت عيوب الخيارات السياسية والاقتصادية. فانتشرت البطالة بنسب مرتفعة، وتدنت كل الخدمات الاجتماعية والصحية وخدمات النقل والترفيه والثقافة والرياضة وكل ما له علاقة بالعدالة الاجتماعية. فلا يمكن الحديث عن تنمية إلى حد الآن خارج شركة فسفاط قفصة، لأنه لا يوجد بديل لها إلى حد الآن، أمام تواصل غياب الدولة في الجهة ككل.

لكن بقي سؤال محوري في هذا الركام التنموي الكبير بهذه المدن: هل أن منطقة الحوض المنجمي ستبقى رهينة الفسفاط في المجال التنموي والاجتماعي؟ وهل أن المنطقة لا تتوفر الا على الفسفاط كمورد طبيعي للتنمية؟ ام إن المنطقة تزخر بالموارد ولكن الخيارات السياسية للتنمية تبقى دوما هي المشكل؟

2-الإمكانات التنموية بمنطقة الحوض المنجمي

عمل المستعمر الفرنسي طيلة فترات استعماره المباشر للبلاد على تركيز فكرة اساسية قوامها أن منطقة الحوض المنجمي لا تملك سوى مادة الفسفاط للتنمية. وبالتالي وجب إستغلال هذه المادة بشكل مجحف وكل الموارد الاخرى وخاصة الماء في إطار هذا الإستغلال. فدُمّرت بذلك كل فكرة تحاول الخروج عن هذا النموذج التنموي. وواصل حكام تونس بعد 1956 في نفس الخيارات ونفس الأفكار. بل يمكن القول ان هؤلاء الحكام كانوا أقسى من المستعمر على المنطقة، حيث حولوها الى مجرد بقرة حلوب يستغلون ثروتها الفسفاطية لإنجاز مشاريع تنموية خارجها. مما فقّر هذه المنطقة وهمّشها الى اليوم.

لكن الدراسات المتخصصة، والعمل الميداني للعديد من الخبرات التونسية والاجنبية المؤمنة بأن المنطقة تزخر بالموارد، إضافة الى الزيارات الميدانية والتحاور مع كل المكونات الاجتماعية والسياسية والنقابية والثقافية بالمنطقة التي تم انجازها في إطار اعداد هذه الدراسة، تؤكد أن منطقة الحوض

المنجمي تملك موارد طبيعية وانشائية وجيولوجية وايكولوجية وثقافية متنوعة ومتعددة قادرة على تحويل المنطقة الى قطب تنموي بامتياز.

سنحاول في هذا المحور التعرض تباعا: للموارد الطبيعية، والإمكانات الايكولوجية والجيولوجية، والإمكانات الثقافية، والإمكانات التي توفرها شركة فسفاط قفصة للتنمية دون الفسفاط.

2-1- الموارد الطبيعية

يمكن تقسيم الموارد الطبيعية المتوفرة بمنطقة الحوض المنجمي الى ثلاثة انواع: الموارد المائية، والاراضي الفلاحية، والمواد الانشائية

2-1-1- الموارد المائية بمنطقة الحوض المنجمي

تتكون الموارد المائية بالحوض المنجمي من موارد مائية جوفية فقط، باعتبار ضعف الأمطار وغياب أيّ خزانات أو سدود لتجميع مياه الأمطار. وبالتالي فان المنطقة ككل تتزود من الماء لتغطية حاجياتها السكانية والخدماتية والصناعية من الموارد المائية الجوفية المتواجدة بالمنطقة.

تنقسم الموائد المائية الجوفية بمنطقة الحوض المنجمي الى نوعين:

- **موائد مائية متوسطة العمق وسطحية:**

وهي موائد متوسطة الموارد إلى ضعيفة وفق عمقها ودرجة تجددها المرتبط بتركيبتها الجيولوجية والرسوبية، وتتوزع هذه الموائد إلى صنفين:

— صنف أول يضم الموائد المتوسطة العمق والمردودية، والتي تتراوح مواردها ما بين 1 إلى 3 مليون متر مكعب وهي موائد أم العرائس والرديف وشط الغرسة الشمالي

— صنف ثاني يضم الموائد الصغيرة والسطحية عادة والتي لا تتجاوز مواردها المائية 1 مليون متر مكعب

- **الموائد المائية العميقة:**

وهي مائدة العصر الجيولوجيMiocène بأم العرائس والرديف، والتي تمتد على كامل جهة قفصة. مواردها المائية تقدر بحوالي 17.8 مليون متر مكعب في السنة.

أما بقية الموائد المائية العميقة، فهي موائد متوسطة الموارد المائية حيث تتراوح ما بين 2 إلى 9 مليون متر مكعب في السنة مثل مائدةComplexe Terminal الموجودة خاصة بشط الجريد وشط الغرسة، ومائدة العصر الجيولوجي الرابع Quaternaire بأم العرائس.

لكن يجب أن نؤكد في هذا المجال على أن الإمكانات المائية السطحية، ولئن تبدو ضعيفة ارتباطا بالعناصر المناخية وقلة معدلات الأمطار بغالب مناطق الحوض المنجمي، إلا أن سيلان الأودية الهامة بالمنطقة خلال السنوات الأخيرة، وخاصة أودية أم العرائس والرديف وتبديت والثالجة ومقرون، وارتباطا بالتحولات المناخية، يفرض على المهتمين بالماء في البلاد التفكير بعقلية جديدة لتجميع هذه المياه السطحية، وإيجاد تنوع في مصادر الماء بالمنطقة عوضا عن الاقتصار عن الموارد الجوفية التي بدأت تدخل مرحلة الخطر.

يمكن تلخيص الإمكانات المائية بمنطقة الحوض المنجمي في الجدول التالي:

الموائد المائية	الاسم	الموارد المائية			الآبار العميقة والسطحية			الملوحة
		الموارد م.م3 / سنة	الإستغلال م.م3 / سنة	النسبة%	مجهز	غير مجهز	الجملة	ق/لتر
موائد مائية متوسطة وسطحية	ام العرائس	8.3	7.6	91.5	244	52	296	1-2
	ام العرائس-الرديف	2.7	3.1	114.8	727	324	1051	2-10
	سيسب- حمرة	0.6	0.7	116.6	87	78	165	1-7
	شط الغرسة	1.7	1.9	111.7	359	288	647	3-14
الجملة		13.3	13.3	100	1417	742	2159	--
موائد مائية عميقة	Mio c ام العرائس-الرديف	17.8	20.3	114	31	12	43	1-8
	C.terminal ام العرائس-الرديف	9	6.5	72	7	0	7	3-9
	Plio-Qut ام العرائس-الرديف	7.3	3.5	47.9	10	1	11	3-15
	C.T شط الجريد و الغرسة الشمالي	6.3	3.3	52.3	10	7	17	3-3.5
	سيدي بوضياف	1	0.1	10	8	2	10	2-4
الجملة		41.4	33.7	81.4	66	22	88	--

(*) :Rivalité sur l'eau souterraine dans le bassin minier de Gafsa : Témoignage d'une gestion incohérente- Abdeljalil Sghari et Salem Ghriba - Revue Geo.Dev.ma volume 4 (2016)

يتبين من خلال المعطيات الواردة بالجدول، أن منطقة الحوض المنجمي تتوفر على إمكانات مائية جوفية محترمة ومتنوعة من حيث العمق ودرجة الملوحة. وهي التي تقوم بتوفير الماء الصالح للشرب وللنشاط الفلاحي والصناعي المتمثل في شركة فسفاط قفصة. اذ تحتكر الشركة حوالي **33 %** من الموارد المائية الجوفية العميقة بطاقة ضخ تقدر بحوالي 715 ل/ث. ولا يمثل الماء الصالح للشرب الا حوالي **7.3 %** من امكانات المنطقة المائية. ويستعمل النشاط الفلاحي بالمنطقة حوالي **45 %** من الإمكانات المتاحة. وهو ما يعني أن الموائد المائية العميقة لازالت قادرة على توفير كميات مائية قابلة للإستغلال مع العمل على ترشيد وحسن التصرف في الكميات المستغلة حاليا خاصة بالنسبة للفسفاط والمناطق الفلاحية المحدثة مثل السقدود 1 و2 والدوارة والدبين وتبديت والسقي الجنوبي وكريشة النعام المنتشرة بمنطقة الحوض المنجمي.

كذلك ومن خلال المعاينات الميدانية لبعض المناطق الفلاحية بالدوارة الشنوفية بأم العرائس أو بمنطقة السقدود 1 و2 بالرديف، ومن خلال الحوار مع عدد من الفلاحين، تبين أن النشاط الفلاحي بهذه المناطق يتسبب في هدر كبير للموارد المائية، حيث أن الهكتار الواحد بها يستعمل حوالي 11 ألف متر مكعب بمنطقة الدوارة بأم العرائس وأكثر من 12500 متر مكعب بمنطقتي السقدود 1 و2 بالرديف. وهي كميات تتجاوز بكثير المعدل الوطني بالمناطق السقوية والتي لا تتجاوز في الاصل 6000 متر مكعب بالنسبة للهكتار الواحد مهما كانت نوعية الغراسات. ولعل هذا الهدر المائي الكبير هو المتسبب في ارتفاع نسبة تدفق المياه النشعية بواحات السقدود 1 و2 وما تسبب فيه من موت للعديد من الواحات. وبالتالي فإن المياه المستغلة حاليا قادرة على أن تكون صالحة لضعف المساحة السقوية المستغلة حاليا، إذا تم وضع برنامج جدّي وعصري للري بهذه المناطق السقوية، والتخلي عن نظام الحصص في الري سواءًا كانت الارض بحاجة للماء أم لا.

كما وجب دفع شركة فسفاط قفصة إلى العمل على إعادة استعمال المياه المستعملة في الغسل من خلال إعادة إستغلال الاحواض الطينية التي شرع في إستغلالها قبل 2011 والتي مكّنت الشركة من اعادة استعمال حوالي 3.2 مليون متر مكعب خلال سنة 2010، وكان البرنامج الوصول الى اعادة استعمال 6 مليون متر مكعب بعد انجاز كل الاحواض بالمغاسل.

2-1-2- الأراضي الفلاحية

تبلغ مساحة الحوض المنجمي حوالي 6000 كم مربع، ما يمثل 62 % من المساحة الجملية لولاية قفصة. وتمثل الجبال والهضاب والمقاطع السطحية ومواقع مدخرات الفسفاط التي تحت تصرف شركة فسفاط قفصة حوالي 4800 كم مربع أي حوالي 80 % من المساحة الجملية للحوض المنجمي. تبلغ مساحة الاراضي الفلاحية القابلة للإستغلال الفلاحي بالحوض المنجمي حوالي 12500 هك، منها 4237 هك مناطق سقوية (حوالي 33 بالمائة فقط). وتتوزع هذه الاراضي الفلاحية على مدن الحوض المنجمي كما يلي:

المدينة	مساحة الاراضي الفلاحية(هك)	مساحة المناطق السقوية (هك)	نسبة المناطق السقوية
ام العرائس	6950	2115	30.4%
الرديف	3855	1555	%40.3
المتلوي	1695	567	%33.6
المظيلة	-	-	-
الجملة	12500	4237	33%

بالنسبة لمدينة المظيلة، الاراضي الفلاحية الموجودة هي اراضي هامشية وغير صالحة في أغلبها إلاّ كمراعي للماشية والجمال خاصة. ولا توجد مناطق فلاحية بالمعنى الفلاحي، بل محاولات صغيرة من بعض الاهالي في إطار استصلاح بعض الاراضي المحاذية للمدينة شمالا وجنوبا بمنطقة البرج.

كما تمتد مساحات شاسعة بين منطقة مزندة صهيب والمتلوي، ولكنها اراضي هامشية وذات تركيبة بيدولوجية يغلب عليها الطابع الرملي الفقير من المواد العضوية، مما يجعل من مردوديتها ضعيفة. كما وجب التذكير بأن منطقة المظيلة لا تتوفر على موارد مائية جوفية للماء الصالح للشرب حتى أنها تفتقر أيضا للماء الموجه للفلاحة.

من خلال المعاينات الميدانية للعديد من المناطق الفلاحية السقوية خاصة، وبعد الحديث المطول مع عدد هام من الفلاحين، تبين أن هذه المشاريع الفلاحية والتي انطلقت غالبيتها منذ منتصف الثمانينات، قد نجحت في تغيير طابع المدن المنجمية من مدن مرتهنة لاستخراج الفسفاط الى مدن قادرة على تنويع انشطتها الاقتصادية. كما بينت هذه المشاريع أن الرهان على الفلاحة يمكن ان يمتص عددا من اليد العاملة المعطلة ويُحدث تغيير في التركيبة الاقتصادية والاجتماعية بهذه المدن.

فمنطقة السقدود 1 و2 بالرديف أصبحت واحة متكاملة وتمتد على مساحة تقدر حاليا بحوالي 350 هك، وهي في ذروة الاستغلال والانتاج. كما تتوفر المنطقة على رصيد من الاراضي الفلاحية القابلة للإستغلال بحوالي 2000 هك تنتظر الاستصلاح والتهيئة واعادة النظر في التصرف في الموارد المائية المتاحة والتي يتواصل اهدارها من خلال اتباع طرق تقليدية في الري.

وتتميز واحات السقدود 1 و2 بالنخيل والعديد من الاشجار المثمرة والزراعات العلفية مثل البرشيم الذي يمثل أحد اهم المواد العلفية التي يقبل عليها مربّو الماشية بالمنطقة ككل.

اما بالنسبة للمنطقة الفلاحية الدوارة والمنطقة الفلاحية بسيدي بوبكر بأم العرائس، فهي تمتد على مساحة كبيرة تتجاوز 6950 هك متنوعة الإستغلال الفلاحي من اشجار مثمرة وزياتين وخضروات وأعلاف. اضافة الى تجربة غراسة الفستق بأم العرائس والتي جعلتها تتصدر إنتاج الفستق على مستوى ولاية قفصة.

كما يمكن اعتبار منطقة كريشة النعام والسقي الجنوبي بالمتلوي تجربة نموذجية، رغم ان المساحة السقوية لا تتجاوز 560 هك. وتتميز هذه المنطقة بانتشار واحات النخيل والاشجار المثمرة والغراسات العلفية والخضر، مع العلم ان كميات الماء المخصصة للمنطقة لا تفي كل احتياجات النشاط الفلاحي. كما وجب التذكير ان المنطقة تتوفر على رصيد هام من الاراضي الفلاحية القابلة للإستغلال لو توفرت برامج الاستصلاح الفلاحي بالمنطقة.

مـن الناحيـة الاقتصاديـة والمردوديـة لهـذه المناطـق الفلاحيـة السـقوية، يمكـن القـول وبالاعتمـاد عـلى راي اغلـب الذيـن تحاورنـا معهـم، أن هـذه المشـاريع الفلاحيـة ذات مردوديـة كبـيرة، حيـث تطـورت اغلـب المشـاريع بعامـل الزمـن ليصـل رقـم معامـلات بعضهـا الى مليـون دينـار في السـنة.

لكـن تبقـى هـذه المردوديـة قابلـة أن تكـون أكـثر عـلى مسـتوى القيمـة المضافـة، لـو كانـت هـذه المناطـق السـقوية مدعومـة بنسـيج صناعـي تحويـلي وخدمـات بالمنطقـة تمكّـن مـن الزيـادة الفعليـة في الدخـل المبـاشر للفـلاح والرفـع مـن الطاقـة التشـغيلية بالمـدن المنجميـة خـارج دائـرة الفسـفاط.

فالمنطقـة السـقوية 1 و2 مثـلا يمكـن ان توفـر حـوالي 4500 طـن مـن الدقلـة سـنويا. هـذه الكميـة قابلـة لان تُحـول وتُعلـب في وحـدات صناعيـة تعطـي قيمـة مضافـة أكـبر وتشـغيلية أرفـع. كمـا يمكـن ان يقـع تحويـل البرشـيم الى علـف متطـور يسـاهم في تقليـص كلفـة تربيـة الماشـية ويرفّـع في المردوديـة.

تعتـبر منطقـة تبديـت مـن معتمديـة الرديـف المنطقـة الفلاحيـة الوحيـدة الـتي كانـت توفـر الخـضر والغـلال للرديـف وأم العرائـس والمتلـوي. وتعتـبر مـن المناطـق الفلاحيـة التقليديـة لأنهـا ومنـذ أكـثر مـن 50 عامـا تقـوم بهـذا الـدور. توسـعت المنطقـة بعامـل الوقـت وتطـور انتاجهـا كميـا ونوعيـا. ولكـن التلـوث الناجـم عـن الميـاه الطينيـة الناجمـة عـن نشـاط المغاسـل بـأم العرائـس والرديـف قـد أثّـر بشـكل كبـير عـلى نوعيـة ميـاه الموائـد المائيـة السـطحية، ممـا رفـع مـن درجـة ملوحـة التربـة، وبالتـالي تراجـع الانتـاج ان لـم نقـل اندثـار العديـد مـن الاشـجار المثمـرة والمناطـق السـقوية الـتي كانـت مصـدرا لإنتـاج الخـضر خاصـة.

لكن رغم اهمية هذه المنطقة الفلاحية السقوية العريقة بالحوض المنجمي، الاّ انها تفتقد الى مخازن مبرِّدة لتجميع وتخزين فائض الانتاج. كما انها بقيت على هامش اهتمامات مصالح الفلاحة بولاية قفصة التي تعتبر ان الفلاحة تقتصر على شمال الولاية.

في العادة يرتبط النشاط الفلاحي بنشاط تربية الاغنام والماعز والإبل او ما يعبّر عنه بشكل عام تربية الماشية. لكن بمناطق الحوض المنجمي، تنتشر بالمدن تربية الماشية وخاصة الماعز والاغنام. وهو نشاط تقليدي مخصّص للاستهلاك المحلي إن لم نقل للاستهلاك العائلي. كما يندرج في بعض العائلات من قبيل الهواية والنشاط التكميلي لتنمية الدخل العائلي.

اما تربية الإبل فهي حكر على العائلات التي تقطن بالمناطق الصحراوية او الريفية وتندرج ضمن النشاط الاقتصادي المكثّف خاصة في المظيلة والمتلوي.

بلغة الارقام، ومن خلال المعاينات الميدانية والارقام الرسمية للإدارات المعنية بتربية الماشية بالمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بقفصة، يقدّر إجمالي القطيع بمدن الحوض المنجمي بحوالي 75 ألف راس من الاغنام و10 آلاف من الماعز و3500 رأس من الإبل.

ورغم اهمية هذه الارقام فان مردوديتها الاقتصادية والاجتماعية بقيت ضعيفة نظرا لصغر حجم القطيع عند المربين وهامشية القطاع وانعدام الدعم اللازم من الادارات المعنية.

تبقى هذه الثروة الحيوانية مـوْردا هامّا بالمنطقة، وهي قادرة على ان تتحول الى نشاط منتج للثروة وذات قيمة مضافة عالية، لو تمت اعادة هيكلة النشاط وتجميع الاعداد الصغيرة في شكل قطعان كبيرة. فبهذا المنحى يمكن تركيز وحدات لتجميع وتحويل ألبان الماعز والإبل والاغنام الى اجبان ومشتقات الحليب المتنوعة. إن هذه التوجهات الغائبة عن دائرة الفعل هي القادرة وحدها على ادماج النشاط الفلاحي بكل مكوناته في اقتصاد المدن المنجمية وجعلها تتحرر تدريجيا من سطوة الفسفاط.

2-1-3- المواد الانشائية

وجود الفسفاط بالحوض المنجمي أعطى للمنطقة مميزات دراسية وبحثية كبيرة من طرف المهتمين بالجيولوجيا والتنمية والجغرافيا والطبوغرافيا. فأُنجزت بالمنطقة وطيلة 100 عام الماضية اعداد كبيرة من البحوث والدراسات والبحوث المعمقة ورسائل الدكتوراه.

يمكن القول في هذا الإطار، أن جهة قفصة تعتبر الجهة الاكثر دراسة من حيث الخصائص والابعاد الجيولوجية خاصة وذلك ارتباطا بالفسفاط وإستغلاله طيلة 130 سنة الماضية.

كنتيجة لكل الزخم البحثي والدراسي للمنطقة، فانه تم تحديد دقيق ومميز للعديد من المواد الانشائية التي تمثل في الاصل ثروات طبيعية لم يقع إستغلالها الى الآن امام سطوة إستغلال الفسفاط واعتباره الثروة الطبيعية الوحيدة بالمنطقة.

من خلال الاطلاع على العديد من البحوث والدراسات الميدانية بمنطقة الحوض المنجمي، وانطلاقا من الزيارات الميدانية التي تم القيام بها في إطار اعداد هذه الدراسة، يمكننا القول ان منطقة الحوض المنجمي تعتبر غنية جدا بالعديد من المواد الانشائية التي يمكن استعمالها وإستغلالها في العديد من الانشطة الاقتصادية التي يمكن ان تساهم في تنمية المنطقة والحد من بطالة اليد العاملة وتخفيف الضغط على شركة فسفاط قفصة.

يمكن تلخيص اهم المواد الانشائية المنتشرة بالمنطقة المنجمية والتي لها امكانات الإستغلال الصناعي في ما يلي:

- **الحجارة الكلسية**

تنتشر الحجارة الكلسية بمناطق الحوض المنجمي على نطاق واسع. حيث تكسو اغلب الجبال المستغلة حاليا من طرف شركة فسفاط قفصة. ويوجد بالحوض المنجمي ثلاث انواع من الحجارة الكلسية:

- الحجارة الكلسية الدلوميتية:

وهي حجارة كلسية صلبة تغطي عادة الطبقات الفسفاطية. وهو ما يجعل شركة فسفاط قفصة تستعمل المفرقعات لإزاحة هذه الطبقات الصخرية وتحويلها من مواقعها لاستخراج طبقات الفسفاط

التسـع المسـتغلة بالمقاطـع السـطحية المنتـشرة بمناطـق الحـوض المنجمـي. وتعتـبر هـذه الحجـارة الدلوميتيـة مـن النـوع الجديـد خاصـة في مجـال صناعـة الاسـمنت مـن ناحيـة، وكمـادة اضافيـة هامـة في صناعـة الخـزف مـن ناحيـة اخـرى. وتعتـبر هـذه النوعيـة مـن الكلـس الدلوميـتي ثـروة طبيعيـة هامـة في العديـد مـن الصناعـات والاسـتعمالات. وتقـدر كميـة الكلـس الدلوميـتي الـتي تزيحهـا شركـة فسـفاط قفصـة سـنويا مـن مواقعهـا لاسـتخراج الفسـفاط بحـوالي 100 مليـون طنـا وهـي كميـات ضخمـة يمكـن اسـتعمال جـزء منهـا وتحويلهـا الى مـادة الاسـمنت.

تنتـشر هـذه النوعيـة مـن الكلـس الدلوميـتي بـكاف الشـفائر وأم الخشـب وكاف الـدور بالمتلـوي، وجبـل مغطـة بـأم العرائـس، وببراشـيم والشـوابين بالرديـف، وبجبـل صهيـب ومزنـدة بالمظيلـة.

تُكـوّم حاليـا هـذه الحجـارة الـتي تحولهـا المتفجـرات الى شـوائب مثـل الرمـال بمناطـق الإسـتغلال لتصبـح مصـدرا لتصاعـد الغبـار والتلـوث.

اكوام شوائب الحجارة الدلوميتية بمقاطع صهيب بالمظيلة

الحجارة الكلسية

هـي الحجـارة الكلسـية العاديـة الـتي تتميـز بصلابـة متوسـطة وبدرجـة بيـاض كبـيرة بالمقارنـة مـع الحجـارة الدلوميتيـة. وتنتـشر الحجـارة الكلسـية بمناطـق عـدة بالحـوض المنجمـي سـواءا بمناطـق المقاطـع السـطحية لإسـتغلال الفسـفاط أو خارجهـا. وهـي مـادة يقـع اسـتعمالها حاليـا للبنـاء فقـط. رغـم ان اسـتعمال الآجـر بـدأ يقلّـل مـن اسـتعمالها بالعديـد مـن مناطـق الحـوض المنجمـي.

وتتميـز هـذه الحجـارة الكلسـية بخصائـص فيزيائيـة وكيميائيـة هامـة، تجعلهـا قابلـة للإسـتغلال في صناعـة الاسـمنت البـني مـن ناحيـة وكذلـك صناعـة الاسـمنت الابيـض إذا كانـت درجـة بياضهـا مرتفعـة.

مـن خـلال المعاينـات الميدانيـة للعديـد مـن المواقـع بمـدن الحـوض المنجمـي، تبـين ان هـذه الحجـارة قابلـة للإسـتغلال ومواقعهـا ليسـت صعبـة الوصـول. وقـدّرت العديـد مـن الدراسـات والبحـوث الجيولوجيـة كميـة هـذه الحجـارة الكلسـية بالعديـد مـن المواقـع بالحـوض المنجمـي بـآلاف الاطنـان، ممـا يجعـل مـن مدخراتهـا الطبيعيـة قابلـة للإسـتغلال لعـشرات السـنين.

مدخرات من الحجارة الكلسية والطين

كما يمكن إستغلال هذه الحجارة في إطار مقاطع قص، توفر قوالب حجرية قابلة للاستعمال في البناء بشكل أنظف وأسرع وأكثر جمالية. وهي محاولات بدأت تنتشر بمناطق عدة بشمال قفصة اين توجد هذه الحجارة الكلسية بكثرة. ويمكن، عبر هذه الطريقة من الإستغلال، التخلي التدريجي عن استعمال الآجر الذي يأتي من مدن الساحل وبكلفة تثقل كاهل المواطن العادي بمنطقة الحوض المنجمي.

كما وجب التأكيد على ان المرور الى الإستغلال الصناعي لهذه الحجارة في المجالات التي سبق ذكرها مرتبط بدراسات معمّقة وتفصيلية للخصائص الفيزيائية والكيميائية لهذه الحجارة وتحديد مجالات استعمالها بدقة.

- الحجارة الكلسية الجيرية:

وهي حجارة كلسية لينة وذات صلابة ضعيفة وقابلة للتفتت بسهولة. وهي منتشرة في مواقع إستغلال الفسفاط وعلى احزمة الهضاب بمدن الحوض المنجمي. وكان الاهالي يستعملونها في طلاء جدران البيوت، لسهولة استعمالها ودرجة بياضها الكبيرة. وهي تعرف عند السكان بالتربة البيضاء. كما تم استعمالها من طرف السكان المحليين لعقود طويلة في انتاج الجير في افران تقليدية. هذا الجير العربي المستعمل بكثرة لفترات طويلة في الدهن وعزل أسطح البيوت.

مواقع للحجارة الكلسية الجيرية بمنطقة براشم بالرديف

هـذه الحجـارة اللينـة تنتـشر بمنطقـة براشـيم والشـوابين بالرديـف وعـلى سـفوح جبـل مغطـة بـأم العرائـس وعـلى السـفح الجنـوبي الغـربي لـكاف الشـفاير وكاف الـدور بالمتلـوي. وهـي حجـارة سـهلة الإسـتغلال في مجـالات صناعيـة وتقليديـة متنوعـة.

كمـا تجـدر الاشـارة الى ان سـمك طبقـة الكلـس اللـين تـتراوح مـا بـين 5 الى 12 مـترا حسـب المواقـع، وهـي تمتـد عـلى مسـاحات واسـعة، ممـا يعطـي مدخـرات منتـشرة مـن هـذا النـوع مـن الحجـارة الكلسـية بـآلاف الاطنـان وفي مواقـع سـهلة الإسـتغلال.

- **الطين**

يعتـبر الطـين مـن أكـثر المـواد الانشـائية انتشـارا ودراسـة في مـدن الحـوض المنجمـي. حيـث ان الطبقـات الطينيـة خاصـة المنتميـة للتركيبـة الجيولوجيـة «الهريـة» تعتـبر علامـة هامـة عـلى وجـود مـادة الفسـفاط بالمنطقـة. وبالتـالي فـان انتشـار مـادة الطـين بـكل تركيباتـه والوانـه الطبيعيـة مرتبـط بانتشـار مـادة الفسـفاط.

يعتـبر الطـين الاخـضر المائـل للسـواد او الرمـادي الفاتـح الاكـثر حضـورا بالعديـد مـن المواقـع بالحـوض المنجمـي. ويعتـبر هـذا النـوع مـن الطـين مـن الانـواع الجيـدة المتميـزة بخصائـص تركيبيـة هامـة تجعلـه قابـلا للاسـتعمال في مجـالات صناعـة الآجـر والخـزف بـكل انواعـه. كمـا ان ضعـف نسـبة مـادة الجبـس بهـذا النـوع مـن الطـين، يعطيـه الافضليـة في انتـاج مـواد ذات جـودة عاليـة مـن الخـزف والآجـر المتحمـل للحـرارة (Brique Réfractaire).

يصـل سـمك التكوينـة الطينيـة «الهريـة» في بعـض المناطـق الى 65 مـترا، وتمتـد عـلى مسـاحات واسـعة. وهـو مـا يعطـي مدخـرات طبيعيـة هامـة مـن هـذه المـادة الانشـائية بالعديـد مـن مناطـق الحـوض المنجمي.

الطبقة الطينية بمنطقة براشيم بالرديف

توجـد العديـد مـن المواقـع الطينيـة الجيـدة المكشـوفة وسـهلة الإسـتغلال بـكل مـن براشـيم والشـوابين بالرديـف، وعـلى طـول الطريـق الرابطـة بـين قفصـة وام العرائـس، وبمناطـق كاف الـدور وكاف الشـفاير وام الخشـب بالمتلـوي، وبجبـل صهيـب ومزنـدة بالمظيلـة. اي ان كل المـدن المنجميـة غنيـة بهـذه المـادة الطينيـة الـتي يمكـن ان تتحـول الى مصـدر للتنميـة والتصنيـع والتحويـل الصناعـي والتقليـدي.

نوع آخر من الطين الاخضر بالرديف

لكـن وجـب التذكـير ان إسـتغلال الطـين في اي نشـاط صناعـي او تقليـدي وجـب ان يمـر عـبر دراسـة معمقـة وتحليـل متكامـل للطبقـات الطينيـة المـراد إسـتغلالها وخاصـة فيمـا يتعلـق بنسـبة الجبـس في الطـين الـتي يجـب ان تكـون ضعيفـة ان لـم نقـل تسـاوي صفـر حـتى يكـون الطـين مـادة انشـائية قابلـة للإسـتغلال.

● **الجبس**

وجـود الجبـس في مناطـق الحـوض المنجمـي مرتبـط بالتكوينـة الفسـفاطية، اي ان الجبـس هـو طبقـة جيولوجيـة تعلـو طبقـة الدولومـي الـذي يغطـي الطبقـات الفسـفاطية التسـع.

يتمـيز الجبـس بالحـوض المنجمـي بالتنـوع وتغـير الخصائـص والشـكل وفـق المعطيـات الخصوصيـة للمواقـع بالحـوض. ويـتراوح سـمك الطبقـة الجبسـية بمـدن الحـوض المنجمـي مـن 34 مـترا الى 75 مـترا بمنطقـة سلسـلة جبـال المتلـوي.

طبقة من الجبس بمنطقة كاف الدور بالمتلوي

الجبـس مـادة انشـائية هامـة يمكـن إسـتغلالها عـلى المسـتوى الصناعـي لإنتـاج الجبـس المسـتعمل في مجـالات متعـددة كالأشـغال العامـة والبنـاء والجـص والديكـور الداخـلي والخارجـي.

يعتـبر الجبـس مـن المـواد الاكـثر طلبـا في الاسـواق الافريقيـة والآسـيوية خـلال العـشر سـنوات الاخـيرة. كمـا ارتفـع الطلـب عـلى هـذه المـواد الجبسـية المصنعـة في السـوق المحليـة، خاصـة وان البـلاد لا يوجـد بهـا غـير وحـدة صناعيـة وحيـدة بتطاويـن تـزود كل مناطـق البـلاد بمـادة الجبـس.

لذلـك فـان المدخـرات مـن مـادة الجبـس في الحـوض المنجمـي قابلـة للإسـتغلال الصناعـي بعـد القيـام بـكل التحاليـل والدراسـات النوعيـة والكميـة لهـذه المـادة الانشـائية المنتـشرة بمـدن الحـوض المنجمي.

● **الرمال**

تنتـشر بولايـة قفصـة انـواع عديـدة مـن الرمـال، وخاصـة الرمـال السيليسـية بـكل مـن جبـل عرباطـة ومنطقـة بوعمـران بشـمال قفصـة، حيـث تصـل نسـبة السـيليس بهـذه الرمـال 99 % وهـو مـا يجعلهـا رمـال قابلـة للإسـتغلال في العديـد مـن المجـالات الصناعيـة مثـل صناعـة البلـور والخـزف والتعديـن.

امـا بالنسـبة للحـوض المنجمـي، فهـو يتميـز بوجـود كميـات هامـة مـن الرمـال الصفـراء والبيضـاء، مـع تواتـر

طبقات صغيرة من الطين. وتعتبر هذه الرمال من الانواع الجيدة، تتميز بتجانس مكونات حبيباتها، وارتفاع نسبة السيليس بها الى نسبة تتجاوز 80 % في بعض المواقع. كما تنتشر هذه الرمال في مواقع عديدة بمدن الحوض المنجمي وخاصة بالمواقع القريبة من مقاطع الإستغلال السطحي للفسفاط. ومن خلال المعاينات الميدانية، تبين وجود كميات هامة من الرمال بمنطقة كاف الشفاير على الطريق الرابطة بين المتلوي وام العرائس ومنطقة براشيم بالرديف وبمنطقة الرمايل بأم العرائس. ومن خلال البحوث والدراسات الجيولوجية، يتبين ان هذه الرمال تمثل جزءا هاما من الاراضي المبنية بجل المدن المنجمية.

رغم اهمية هذه الرمال كميا ونوعيا، الا انها غير مستغلة حتى كمواد بناء. حيث جل السكان يستعملون رمال الاودية في اشغال البناء رغم ان هذا العمل ممنوع قانونا، باعتبار ان الإستغلال العشوائي لرمال الاودية يساهم في الانجراف وارتفاع منسوب الفيضانات ويؤثر على نظام السيلان الطبيعي للأودية.

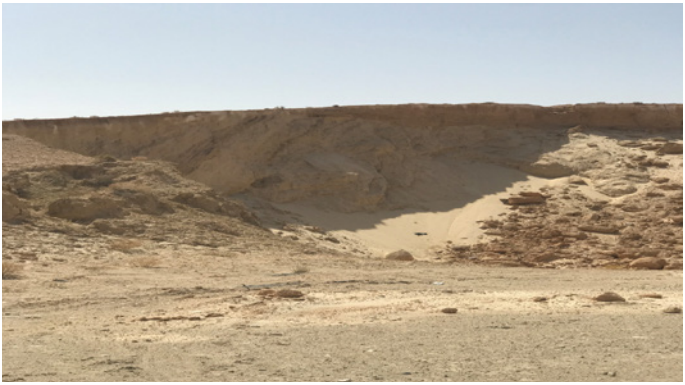

كما نتمنى ان تكون هذه الدراسة منطلقا لإعادة النظر في هذه الثروة الطبيعية، والانكباب على دراسة خصائصها ومميزاتها بشكل يمكّن من إستغلالها جيدا في مجالات تعطيها قيمة مضافة وتساهم في التنمية بالمدن المنجمية. كل ذلك في إطار تصور استراتيجي للتنمية بالجهة يأخذ كل المواد الانشائية المتوفرة بالمنطقة كقاطرة للتنمية.

- **الشارت Chert**

حجارة «الشارت» ليست حجارة معروفة لدى الجميع، ف «الشارت» تسمية علمية للحجارة الموجودة بين طبقات الفسفاط. وبالتالي فان حجارة الشارت لا يمكن الحديث عنها الا في علاقة بإستغلال الفسفاط.

ومن خلال الدراسات المعمقة التي قام بها العديد من المختصين في الجيولوجيا، يمكن القول ان هذه الحجارة هي عبارة عن حجارة سيليكو-كلسية غنية بمادة السيليس من نوع Opale CT، والذي تتراوح نسبته ما بين 50 الى 85 % وفق طبيعة طبقة الشارت وموقعها بالحوض الفسفاطي. كما تتميز

طبقـة الشـارت بضعـف نسـبة الطـين والفسـفاط، ممـا يجعلهـا قابلـة للتثمـين في العديـد مـن المجـالات الصناعيـة.

نظـرا لارتبـاط طبقـة الشـارت بالفسـفاط، فإنهـا موجـودة دومـا بـين الطبقـة الفسـفاطية VI والطبقـة الفسـفاطية VII. ويـتراوح سـمكها في شرق الحـوض الفسـفاطي مـا بـين 3.5 الى 6 أمتـار (كاف الشـفاير وكاف الـدور وام الخشـب وصهيـب ومزنـدة)، امـا بغـرب الحـوض الفسـفاطي اي بالرديـف وتمغـزة وميـداس والشـبيكة، فـان سـمكها يصـل الى 12 مـترا، وتتكـون الطبقـة الشـارتية مـن 3 مسـتويات. ويعتـبر ارتفـاع سـمك هـذه الطبقـة مـؤشرا عـلى تراجـع سـمك طبقـات الفسـفاط وضعـف نسـبته.

تتميز حجارة الشارت بالخصائص الفيزيائية التالية:

- كثافة (Densité) تتراوح ما بين 1.35 و 1.45
- مسامية الحجارة الشارتية (Porosité) تـتراوح مـا بـين **35 %** الى **50 %**، وهـو مـا يعطيهـا اهميـة في مجـال التصفيـة للعديـد مـن المـواد، إذا ما تـم تثمينها عبر تطوير هـذه الخصائص والمميزات الفيزيائية الكيميائية

خـلال إسـتغلال الفسـفاط، تقـوم الشركـة بإزاحـة الطبقـات الكلسـية والطينيـة الـتي تغطـي الفسـفاط، وتحولها الى شـوائب (Stérile) غـير قابلـة للاسـتعمال. طبقـة الشـارت لهـا نفـس المصـير باعتبارهـا غـير قابلـة للإسـتغلال او التسـويق التجـاري. كمـا ان اسـتعمالها المبـاشر دون تثمـين غـير ممكـن. وامـام قلـة الدراسـات والبحـوث الـتي تُعـنى بتثمـين هـذه الحجـارة الشـارتية، فإنهـا بقيـت مجـرد شـوائب لإنتـاج الفسـفاط.

كمـا يمكـن القـول ان البحـث الوحيـد الـذي انجـز، والـذي تعلـق بإمكانيـات إسـتغلال الشـارت في مجـال تصفيـة المـواد هـو للسـيد حسـين الرحيـلي مـن خـلال اعـداده لمـشروع ختـم الدراسـات الهندسـية بكليـة العلـوم سـنة 1992 تحـت عنـوان:

Valorisation des calcaires lacustres du Messinien de Ras- Jebel et des cherts d'Oum El khecheb (Bassin minier de Gafsa)

والـذي أبـرز مـن خلالـه امكانيـة تثمـين مـادة الشـارت، واسـتخراج مسـحوق سـيليسي قابـل للاسـتعمال في مجـال تنقيـة الزيـوت المسـتعملة والحوامـض الفسـفورية. وأمـاط هـذا البحـث اللثـام عـلى الإمكانـات الكبـيرة لطبقـة الشـارت الـتي يمكـن أن تتحـول بعـد تثمينهـا وفـق اسـلوب محـدد ومـن خـلال اسـتعمال طـرق كيميائيـة دقيقـة الى مـادة ذات قيمـة صناعيـة كبـيرة تمكننـا مـن الاسـتغناء عـلى توريدهـا مـن الخـارج بالعملـة الصعبـة. كمـا ان هـذا المسـحوق السـيليسي يمكـن اسـتعماله في مجـالات صناعيـة اخـرى كالخـزف والدهـن ومـواد التبليـط وغيرهـا مـن الاسـتعمالات المتعـددة.

ان اهمـال هـذه المـادة، كغيرهـا مـن المـواد الانشـائية المنتـشرة بمناطـق الحـوض المنجمـي، إنمـا هـو خـير دليـل عـلى ان الموقـف السـياسي مـن هـذه الجهـة بقـي موقفـا مرتبطـا بموقـف المسـتعمر الـذي حـصر ثـروات الحـوض المنجمـي في الفسـفاط فقـط وتحويـل الجهـة بكاملهـا الى مجـرد مواقـع للإسـتغلال الفسـفاطي، دون البحـث عـن امكانـات تنمويـة أخـرى فغـاب دور الدولـة ووفّـرت الطبيعـة والجغرافيـا كل مسـتلزماتها وشروطهـا وموادهـا الاوليـة.

في ختـام هـذا القسـم الـذي تعلـق بالمـوارد الطبيعيـة الـتي تتوفـر عليهـا مناطـق الحـوض المنجمـي، يمكننـا القـول ان المنطقـة غنيـة بـكل المـوارد الطبيعيـة والمـواد الانشـائية. وان الطبيعـة والجغرافيـا كانـت عادلـة ومنصفـة للمنطقـة، لكـن السياسـة كانـت ظالمـة، ولـم تتجـاوز المنطقـة مرحلـة الاسـتعمار المرتبطـة بإسـتغلال الفسـفاط فقـط.

بـل يمكـن القـول ان الموقـف السـياسي تجـاه المنطقـة قـد ترجمتـه حـتى مراكـز البحـث، وخاصـة الديـوان الوطـني للمناجـم الـذي حـصر الـثروة بمنطقـة الحـوض المنجمـي في الفسـفاط فقـط. وكان خـارج دائـرة البحـث امـام سـطوة شركـة فسـفاط قفصـة عـلى المجـال البحـثي بالحـوض المنجمـي، وحولـت وجهتـه كليـا لاكتشـاف مزيـد مـن مقاطـع الفسـفاط دون غـيره مـن مـواد وثـروات.

2-2- الإمكانات الايكولوجية والجيولوجية

اضافـة الى المـوارد الطبيعيـة والمـواد الانشـائية الـتي تـم التعـرض اليهـا سـابقا في هـذا التقريـر، تزخـر منطقـة الحـوض المنجمـي بالعديـد مـن المواقـع الايكولوجيـة والجيولوجيـة ذات البعـد العلمـي والأكاديمـي. كمـا وفـر الإسـتغلال الباطـني للفسـفاط بمناطـق الحـوض المنجمـي عـدد كبـير مـن الدواميـس والمواقـع تحـت ارضيـة تمثـل فضـاءات للسـياحة الايكولوجيـة ومواقـع لسـياحة المغـاور الـتي تسـتقطب اعـداد كبـيرة مـن الـزوار المحليـين والاجانـب.

فموقـع الثالجـة الواقـع بالمتلـوي والـذي اكتشـف فيـه الفسـفاط بالبـلاد لأول مـرة سـنة 1895، يعتـبر موقعـا ايكولوجيـا وجيولوجيـا متميـزا وفريـدا مـن نوعـه. اذ يحتضـن موقـع الثالجـة عـلى التركيبـة الفسـفاطية الكاملـة والـتي تمثـل انفـرادا عالميـا في هـذا المجـال. كمـا يعتـبر موقـع الثالجـة موقعـا بيداغوجيـا وأكاديميـا للتدريـس الجيولوجـي عـلى نطـاق طبيعـي. اذ مـن خلالـه يمكـن للطلبـة والباحثـين التعـرف بشـكل محسـوس عـلى كل التركيبـات الجيولوجيـة المرتبطـة بالفسـفاط. كمـا يمثـل موقـع الثالجـة اضافـة الى هـذا الجانـب العلمـي

والـدراسي، موقـع ايكولوجـي هـام مـن خـلال وجـود حلـق الثالجـة (Gorge)، وهـي عبـارة عـن فتحـات في الجبـل الصخـري يفتـح عـلى وادي الثالجـة. هـذه الخصائـص تجعـل مـن موقـع الثالجـة مكانـا قـادرا عـلى إسـتغلاله في السـياحة الجبليـة والايكولوجيـة.

كمـا ان تضاريـس الموقـع وارتفـاع طبقـات الصخـور المحيطـة بـه والفتحـات الموجـودة تجعـل منـه موقعـا لاحتضـان العربـات المعلقـة(Téléphérique)، كمـا ان وجـود سـكة القطـار الـتي تشـق الموقـع عـبر 7 أنفـاق جبليـة تجعـل مـن الموقـع قابـل للتثمـين والاسـتغلال في اوجـه ترفيهيـة وسـياحية عديـدة لـو تفـرت الارادة السياسـية المتعلقـة بتنميـة عادلـة لمناطـق الحـوض المنجمي.

كمـا يربـط القطـار منطقـة الثالجـة بالمنطقـة الفلاحيـة تبديـت ومـا توفـره هـذه المنطقـة مـن مناظـر جماليـة خلابـة ومـن غراسـات فالحيـة خـضراء تجعـل مـن المنطقـة فضـاء للسـياحة الايكولوجيـة بامتيـاز في إطـار إسـتغلال كل الإمكانـات اللوجسـتية والطبيعيـة بهـذه المواقـع.

نقـول كل هـذا عـلى موقـع الثالجـة وتبديـت رغـم مـا تعيشـه هـذه المواقـع حاليـا مـن تلـوث اذ تشـعها الميـاه الطينيـة الملوثـة الناجمـة عـن نشـاط مغاسـل الفسـفاط بـكل مـن ام العرائـس والرديـف، ممـا شـوه جمالهـا واغرقهـا في اوحـال الطـين والميـاه الملوثـة.

وبالتـالي فـان اي تثمـين لهـذه المواقـع يجـب ان يمـر حتمـا عـبر برنامـج مفصـل لإزالـة التلـوث الـذي يشـقها.

موقع الثالجة الذي تشقه المياه الملوثة

منظر عام لحلق الثالجة

آثار لتجهيزات التسلق بجبل الثالجة

كما يزخر الحوض المنجمي بعدد كبير من الدواميس والمغاور التي مثلت فضاءات للإستغلال الباطني للفسفاط اواخر القرن التاسع عشر واواسط القرن العشرين. هذه المواقع تم التخلي عنها تدريجيا الى ان تم غلق كل المناجم الباطنية سنة 1992. لكن وبعد غلقها تم اهمالها من خلال ردم مداخلها ضمانا لسلامة الناس، وتركت بدون التفكير في ادماجها في الدورة الاقتصادية والاجتماعية للمدن المنجمية.

فهذه المواقع كان يمكن ان تتحول الى مواقع لسياحة المغاور. كما يمكن ان تتحول الدواميس الكبيرة الى متاحف باطنية تحكي تاريخ الإستغلال الفسفاطي وادواته وطرقه، لتبقى ذاكرة الفسفاط محمية ومنقوشة من خلال هذه المتاحف التي تؤسس من داخل مواقع الإستغلال القديمة. كما يمكن ان تتحول هذه المعارض الى مسالك سياحية للدواميس والمغاور المنتشرة بمدن الحوض المنجمي.
كما يمكن إستغلال جزء من هذه الدواميس في انتاج الفطر الذي يتطلب مواقع ذات رطوبة مرتفعة وبعيدة عن اشعة الشمس. والفطر الطبيعي مطلوب في الاسواق العالمية بشكل كبير وبأسعار مغرية تجعل من الاستثمار في هذا الجانب مربحا للجميع.

امام اهمية هذه المواقع، فانه وجب القيام بعمل منظم يهدف اساسا الى رسم خارطة مفصلة لكل هذه المغاور والدواميس، وتحديد درجة سلامتها من اجل تحديد الدواميس والمغاور القابلة للإستغلال في المجالات التي تم التعرض اليها سابقا. والمواقع التي تتطلب حماية خاصة او غلقها بشكل محكم لعدم توفر السلامة بداخلها. وهي مسؤولية شركة فسفاط قفصة التي تملك كل المعطيات حول هذه المواقع وتتحمل المسؤولية المدنية لتأمينها.

مداخل داوميس ومغاور باطنية تم ردمها بشكل عشوائي بمنطقة كاف الشفاير بالمتلوي

2-3- المواد القابلة لإعادة الاستعمال والرسكلة

تسيطر شركة فسفاط قفصة على كل مجالات الانشطة الاقتصادية والاجتماعية بمدن الحوض المنجمي. فهذه المدن ليست الا مصدرا للإستغلال الفسفاطي بالحوض المنجمي. كما ان نشاط شركة فسفاط قفصة باعتبارها الشركة الاضخم على المستوى الوطني يفرز كميات كبيرة من المواد والنفايات القابلة لإعادة الاستعمال والرسكلة. هذه المواد التي تصرف وترمى ومنذ زمن طويل في المستودعات والمساحات الراجعة بالنظر لشركة فسفاط قفصة دون التفكير في تطويرها وجعلها مواد قابلة لان تكون مصدرا للرزق والعمل للعاطلين عن العمل في مدن تصل فيها البطالة الى مستويات كبرى تتجاوز 40 بالمائة.

من خلال المعاينة الميدانية والحوار مع عدد من مسؤولي شركة فسفاط قفصة والعارفين بخباياها، فانه يمكن تلخيص اهم المواد التي تنتجها هذه الشركة والتي يمكن ان تكون منطلقا لإنجاز مشاريع صغرى ومتوسطة لفئات هامة من معطلي سكان مناطق الحوض المنجمي فيما يلي:

كميات هامة من الخردة الحديدية، والتي تتكون من الاعمدة الحديدية والسكك التي يتم تعويضها والاسلاك الحديدية التي يتم استعمالها في عمليا الانتاج، اضافة الى مئات المعدات ووسائل النقل التي تم احالة عن الخدمة. اضافة الى مخلفات حديدية متنوعة الاحجام والاستعمالات. ويمكن تقييم كمية هذه الخردة الحديدية التي تغص بها مستودعات الشركة وفضاءاتها المنتشرة في كل المدن المنجمية بحوالي 20 ألف طن من الخردة. مع العلم ان شركة فسفاط قفصة تقوم من حين لآخر ببتات عمومية لبيع هذه الخردة وخاصة المرتبطة بالمعدات فقط.

كميـات هامـة مـن نفايـات الابسـطة الناقلـة المطاطيـة والـتي تفرزهـا الشركـة. ويمكـن القـول ان الشركـة تمتلـك الشـبكة الاطـول مـن الابسـطة الناقلـة. ممـا يجعـل الشركـة تنتـج كميـات مـن الابسـطة الناقلـة بحـوالي 2 الى 3 آلاف طـن سـنويا. وإذا أردنـا ان نحتسـب الكميـات المتراكمـة في المسـتودعات التابعـة لشركـة فسـفاط قفصـة بحـوالي 15 ألـف طـن. وتعتـبر هـذه الكميـات قابلـة للرسـكلة والرحـي لتتحـول الى مـواد محببـة قابلـة للاسـتعمال في افـران شركات الاسـمنت. كمـا أن رسـكلة هـذه النفايـات المطاطيـة سـيوفر كميـات مـن الاسـلاك الحديديـة الـتي يمكـن ان تتحـول الى خـردة حديديـة قابلـة في مسـابك صغـيرة ومتوسـطة.

كميـات مـن الاخشـاب والحاويـات الخشـبية الـتي تعلـب فيهـا التجهـيزات والمعـدات الـتي تشـتريها الشركـة منـذ سـنوات عديـدة. هـذه الكميـات مـن الخشـب يمكـن ان تسـاهم في خلـق عـدة مواطـن شـغل مـن خـلال اعـادة اسـتعمالها

كما يمكن ان تكون شركة فسفاط قفصة مصدرا لمئات من خراطيش الطباعة وآلات النسخ التي تستعملها سنويا. هذه الخراطيش بمختلف احجامها يمكن ان تتحول الى وحدات لإعادة شحنها واستعمالها مجددا من طرف مصالح الشركة في إطار اتفاقيات بين اصحاب هذه المشاريع الصغرى وشركة فسفاط قفصة.

لقد حاولنا في هذا المحور تقديم الموارد الطبيعية والإمكانات الجيولوجية والايكولوجية، والمواد الناجمة عن نشاط شركة فسفاط قفصة، والتي يمكن ان تكون مصدرا للتنمية وانجاز المشاريع خارج دائرة إستغلال الفسفاط. سؤال محوري جدير بالطرح ونحن بصدد ذكر وحصر هذه الثروات والإمكانات التنموية المتنوعة والمتعددة بمدن الحوض المنجمي: ما هي معوقات التنمية بهذه المدن خاصة من وجهة نظر سوسيولوجية؟

المحور الثالث

مقاربة سوسيولوجية للمعوقات التنموية بمدن الحوض المنجمي

مقاربة سوسيولوجية للمعوقات التنموية بمدن الحوض المنجمي

1-تقديم

منذ أن توصل **فيليب توماس سنة 1885**[1] إلى اكتشاف الفسفاط بجبال قفصة وتمغزة على مساحة تمتد على ثمانين كيلومترا من جبال الثالجة حتى ميداس، وتحديدا منذ فتح الشركات المنجمية بمدينة المتلوي سنة 1899 والرديف في 1907 وأم العرائس 1919 ومنجم مهري جبّاس قرب المكناسي سنة 1920 ومنجم المظيلة سنة 1923[2] أصبح الحوض المنجمي يعيش على واقع حياة درامية- تراجيدية جرّاء السياسات الكولونيالية أي الاستعمارية التعسفيّة كالارتكاز على الحيل القانونية وتجريد الأهالي من ممتلكاتهم ووسائل إنتاجهم التقليدية بطريقة وحشية بغاية تحقيق القيمة المضافة وذلك باشتغال البداوة عن طريق الإكراه وسياسات التراكم البدائي بالشركات الفوسفاطية لفائدة السلطة الاستعمارية.

وحتى بعد حصول تونس على استقلالها في منتصف خمسينيات القرن الماضي و»تونسة» الشركات المنجمية وتعصير الاقتصاد وتبنّي دولة الاستقلال لبراديغم التغيّر الاجتماعي بسياسات اقتصادية ذات روح ليبرالية ومن ثمّة تجربة الاشتراكية الدستورية وانهيارها خلال ستينيات القرن العشرين والعودة إلى النموذج الليبرالي المنفتح والداعي إلى الخوصصة مطلع سنة 1970 مرورا بالتحولات الهيكلية منذ 1986 بإملاء من الصناديق العالمية (صندوق النقد الدولي والبنك العالمي) وصولا إلى أيامنا هذه.

ورغم الحركات الاحتجاجية العديدة المنددة بالسياسات التنموية إلاّ أنّ القرى المنجمية لم ترى النور بعد وظلّت مسرحا للبطالة والحرمان وتفشي الأمراض وانقطاع المياه جرّاء استخراج الفسفاط. لذلك وجب الإقرار بأنّ النماذج التي نشأت في دول العالم الثالث تفتقر للقوّة الاقتصادية والتنظيمات الأيديولوجية كما هو الشأن في العديد من المناطق الأوربية فهي غير قادرة على الهيمنة، فهذه البلدان تندرج ضمن سياق التبعية الاقتصادية وتعاني الهشاشة الأيديولوجية والثقافية.[3]

إذا كانت الاستراتيجيات التنموية المنبثقة من السلطة السياسية منذ الدولة الوليدة إلى اليوم تفتقر إلى التصورات المنطقية للخروج من الأزمة السياسية والاقتصادية التي عصفت بالقرى المنجمية ولم تحقق العدالة الاجتماعية: فإلى أي مدى يمكن اعتبار أنّ النموذج الاقتصادي التونسي وحده كاف لتفسير العجز التنموي بالحوض المنجمي؟

1- Noureddin Dougui, « Histoire d'une grande entreprise coloniale : La compagnie des phosphates et du chemin de fer de Gafsa, 1897-1930 », Publications de la Faculté de la Manouba, 1995, P 21

2 - حفيظ طبابي، من البداوة إلى المنجم، الدار التونسية للكتاب، 2012، ص 151.

3- Boukraa Ridha Boukraa, « Acteurs sociaux et changement social en Tunisie (1956- 1986) », Les changements sociaux en Tunisie 1950- 2000, Sous la direction de : Laroussi Amri, Editions L'Harmattan, Paris 2007, Pages 183 à 190. P 185.

ولكن وفقا للجنرال والمؤرخ الحربي الألماني كارل فون كلاوز فيتز Clausewitzienne فإنّ «الأزمات مهما كانت أسبابها فهي تتطور وفقا لديناميكيتها الخاصّة.[4]» لذلك إذا كانت السلطة السياسية قد شرّعت باب التفاوت الجهوي والطبقية فأين يكمن إذن دور القوى الاجتماعية المحلية المنجمية من نخب سياسية ونقابية؟ ألا يمكن أن يكون لهذه النخب الدور الحاسم في استمرارية أزمة المدن المنجمية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات بطريقة رصينة، سنعتمد على القراءة السوسيو-تاريخية حتى وإن كانت وجيزة ذلك أنّ للمادة التاريخية أهميّة في التحليلات السوسيولوجية. فوفقا لعالم الاجتماع الفرنسي والمختص في علم الاجتماع التاريخي وعلم الاجتماع السياسي ميشال أوفرليه: «لا يوجد علم اجتماع جيّدbonne sociologie ما لم يكن مدعوما بقوة باستخدام التاريخ والعمل التاريخي.[5]» فلمعرفة الحاضر هو الشرط الذي لا مناص منه لفهم الماضي.[6]

2-الاستراتيجيات التنموية في تونس وتنامي الأزمة المنجمية: من الدولة الوليدة إلى الإصلاحات الهيكلية

وجب الإشارة منذ البداية على أنّه لا يمكننا الإحاطة بكل المحطات والسياقات والجزئيات وتقديم كلّ القراءات والرؤى حول النماذج التنموية التونسية منذ فجر الاستقلال إلى اليوم نظرا لغزارة الكتابات حولها. ولكننا سنحاول تقديم سنقدم قراءة سوسيولوجية لأهمّ أسباب فشل الخيارات والنماذج الاقتصادية التونسية التي عمّقت أزمة القرى المنجمية.

عموما، مرّت البلاد التونسية بثلاثة محطات مفصلية اعتمدت فيها السلطة السياسية ثلاثة نماذج تنموية، تختلف فيها البرامج والمخططات حسب كلّ محطة من المحطات ووفقا للتغيّرات السياقية المحلية والدولية.

-2-1- المرحلة الأولى: من دولة الاستقلال إلى 1969

تتميّز هذه المرحلة أولا وقبل كلّ شيء بحصول تونس على الاستقلال وتونسة الاقتصاد، وتركيز أولى الوحدات الصناعية الكبرى في البلاد. وتنقسم هذه المرحلة إلى فترتين رئيسيتين: تميّزت الأولى من عام 1956 إلى 1960 باعتماد المنهج الليبرالي في التنمية، في حين عرفت الثانية منذ سنة 1961 إلى 1969 بالتوجه نحو اعتماد اقتصاد مستوحى من النظام الاشتراكي.[7]

4- Lilian Mathieu, « Structure, dispositions, calculs, situations… La mise en cohérence de sociologie des crises politiques », In Myriam Ait-Aoudia et al, La logique de désordre, Presses de sciences, A cadémique, 2015. Pages 37 à 52. P 50.

5 - Michel Offerlé, « Histoires de protestations », In Eric Agrikoliansky et al…, Penser les mouvements sociaux, La Découverte, Paris, 2010. Pages 265 à 281. P 266.

6 - الهادي التيمومي، «الاستعمار الرأسمالي والتشكيلات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية الكادحون الخمّاسة في الأرياف التونسية 1861- 1943»، دار محمد علي الحامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس الجزء الأول ،تونس، 1999، ص 14.

7 - الهادي التيمومي، «الاستعمار الرأسمالي والتشكيلات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية الكادحون الخمّاسة في الأرياف التونسية 1861- 1943»، دار محمد علي الحامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس الجزء الأول ،تونس، 1999، ص 14.

● **السياسة التنموية من 1956 إلى 1961**

تميّزت هذه المرحلة بإرساء سياسة اقتصادية ذات روح ليبرالية أو شبه ليبرالية منفتحة على السوق الخارجية في سياق تعيش فيه البلاد التونسية على وقع أزمة اقتصادية تركتها السلطة الاستعمارية على كاهل ميزانية الدولة التونسية. كما طرحت السلطة السياسية إثر الاستقلال « استكمال السيادة وبناء مؤسسات الدولة الجديدة والنهوض الاقتصادي وحلّ المشاكل الاجتماعية الملحة وفي مقدمتها تشغيل العاطلين، وهو ما أطلق عليه **معركة البناء والتشييد**.[8]» ولتحقيق هذا الهدف عملت دولة الاستقلال على دعم الخواص من أجل حثّهم على الاستثمار وخلق مواطن شغل وتصفية الاستعمار الاقتصادي.

وبالتالي بناء وتطوير اقتصاد ليبرالي يرتكز على المؤسسات الخاصّة.[9]» فالدولة آنذاك لم يكن بإمكانها أن تقوم بكلّ المهام نظرا لمحدودية مواردها وتزايد نسق النمو الديموغرافي الذي بلغ أشده بين عامي 1956 و1958 حيث وصل إلى[10] **2،8 %** لتزداد الحاجيات الاجتماعية والاقتصادية للسكان. وهكذا وضعت الحكومة سلسلة من القوانين خلال أعوام 1957-1956 -1958، وهي قوانين تتعلق خاصّة بالقطاع الصناعي مضمونها « إجراءات تشجع على انتصاب المؤسسات الصناعية وتقديم امتيازات مالية واقتصادية للخواص والمؤسسات التي ترغب في ممارسة نشاط اقتصادي صناعي ذو جدوى بالنسبة للاقتصاد التونسي في شكل تراخيص للانتصاب تمنحهم إعفاءات جبائية وتسهيلات ذات طبيعة اقتصادية، ومن جهة أخرى يمكن أن تحصل على ضمانات من الدولة للقروض المتوسطة وطويلة الأمد التي يطلبونها لتمويل المؤسسات وشراء التجهيزات.[11] »

كما أحدثت تونس يوم 18 سبتمبر 1958 البنك المركزي التونسي الذي عوض بنك الجزائر وتونس في إصدار العملة، لتحل عملة الدينار التونسي محل الفرنك الفرنسي. وهكذا تزامنت السنوات الأولى من الاستقلال بإلغاء الوحدة الجمركية بين تونس وفرنسا خلال شهر أوت 1959. كما بعثت الحكومة التونسية عدة بنوك أخرى بغاية تقديم المساعدات على الاستثمار منها: الشركة التونسية للبنك في 26 مارس 1958 والشركة القومية للاستثمار يوم 20 جانفي 1958.[12]

علاوة على المراسيم القانونية فإنّ الخطابات البورقيبية كانت مصدرا لتشجيع البرجوازية والمبادرة الفردية، حيث أكد الحبيب بورقيبة في خطابه يوم 17 أوت 1957 على ضرورة « التضامن بين أفراد الشعب والتخلي عن الحسد والضغائن وتوخي الأخوة والتماسك بين أفراد الأمة. [13]»

8 - عبد اللطيف الهرماسي، «الدولة والتنمية في المغرب العربي. تونس أنموذجا»، سراس للنشر، تونس، 1993. ص 44.
9 - عبد المجيد بلهادي، «آراء نخبة من التونسيين في السياسات الاقتصادية للبلاد التونسية -1956 1969»، مجلّة روافد، العدد 17، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة. 2012. ص، ص -123 150. ص 124.
10 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص 140.
11- عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة... سبق ذكره. ص 125.
12 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 126.
13 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 126.

لكن هناك مفارقة لافتة للانتباه، وهي أنّ هذا الخيار شبه الليبرالي قد اتسم بتبعية أمريكية حيث تدخلت أمريكا لتقديم المساعدة الاقتصادية والفنية إلى تونس منذ 1957، ويندرج هذا التدخل وفقا للمؤرخ التونسي عبد المجيد بلهادي في إطار توجهين خارجي وداخلي بالنسبة للبلاد التونسية: »فقد أرادت الولايات المتحدة من خلال النموذج التونسي أن تعطي مثالا حيّا عن بلد لا يمتلك موارد طبيعية هامّة لكنّه يتطور وبدون ثروة بالاعتماد على رؤوس أموال وتقنيات العالم الحر، أي أنه كان من المفترض أن تمثل تونس واجهة أو نموذجا في مرحلة تخضع فيها العلاقات الدولية لتأثيرات الحرب البادرة. أما على المستوى الداخلي فدور الولايات المتحدة يندرج في إطار محاولة تطوير البرجوازية المحلية التونسية من خلال وضع الإمكانيات المالية اللازمة على ذمتها.[14]«

لو أننا أغفلنا وتجاوزنا العديد من السياقات خلال هذه الفترة، إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ نتائج هذه التجربة كانت دون المأمول. فقد واجهت الدولة عائقين اثنين، أولهما هروب الرساميل الفرنسية فبالرغم من حثّ السلطة على« بقاء الجالية الأوروبية للاستفادة من رساميلها ومهاراتها، كان التخوّف سائدا في صفوفها، ولذلك انخفضت الاستثمارات وارتفعت قيمة الرساميل المحولة إلى الخارج من 9.3 ملاين دينار سنة 1954 إلى 17 مليون دينار سنة 1955 و29.5 مليون دينار سنة 1956 و33.1 مليون دينار سنة 1957 و14.5 مليون دينار خلال السنوات 1958-1960.[15] »

أما العقبة الثانية فتعود إلى سلوك البرجوازية بعقلياتها القديمة وهي أنّ «البرجوازية التونسية الذين صاغوا لوائح مؤتمر صفاقس للحزب الدستوري قد فضّلت استثمار أموالها في اقتناء العقارات والأنشطة التجارية التي توفر أرباحا عاجلة وبأقل التكاليف، إن لم تكنزها في شراء الذهب والفضة، والتغيير الأساسي الذي حصل كان في تسابقها على وراثة عقارات وممتلكات الأجانب بأثمان بخسة وحلولها محل الجالية الأوروبية في الإقبال على منتوجات الاستهلاك المستوردة.[16]» لتكون هذه التجربة ذات « أداء ضعيف» حيث «انخفض إنتاج الفسفاط من 2،2 مليون طن إلى 2،1 مليون طن بين 1955 و1959، وانخفض إنتاج الحديد بدوره من 1،1 مليون طن إلى 0،981 مليون طن خلال نفس الفترة. أما الإنتاج الصناعي وإن حقق ارتفاعا فإنّه كان بطيئا وضعيفا، ولم يسجل الإنتاج الفلاحي ارتفاعا هاما، فإنتاج بعض المواد لسنة 1958 وهي سنة فلاحية طيبة وقع تقديره كالتالي: زيت الزيتون 132000 طن خلال موسم 1956-1958 مقارنة ب 105000 طن خلال موسم 1950-1949 كما أنّ قطاع التجارة الداخلية والخارجية لم يتطور بشكل هام أيضا.[17] فالنخبة قد جعلت من المجتمع مختبرا لتجربة أفكارها آنذاك، أي التحوّلات الفوقية لذلك فالإصلاحات الماكرو اجتماعية والمؤسساتية تبدو تقدمية وتنويرية، إلاّ أنّ هذا يعكس صورة النخبة الحاكمة التي يمكن وصفها بالاستبدادية. فعملية التحديث قد اتخذت شكلا من أشكال الاستبداد المستنير Despotisme éclairé.»[18]

14 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 130.
15 - عبد اللطيف الهرماسي. سبق ذكره. ص 47.
16 - المرجع السابق. ص 47.
17 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 128-127.

18- Ridha Boukraa, op.cit. P 187.

وهـذا مـا يفـسّر فشـل المسـار التنمـوي خـلال 1960-1956. فلقـد «كان بورقيبـة خلدونيًـا في رؤيتـه أنّ السّياسـة هـي عمـل فـرد ينفـرد في القمـة وفي إدارة الدفّـة وذلـك بعـد نجاحـه في التخلّـص مـن « صالـح بـن يوسـف» وتيـاره، متجهـا نحـو إلغـاء شرعيـة المعارضـة السياسـية باعتبارهـا عنوانـا « للفتنـة» وللخـروج عـلى الإجمـاع الوطـني الـذي يتلخّـص في شـخص الزعيـم القائـد.[19]»

- **السياسة التنموية من 1962 إلى 1969**

أمـام فشـل التجربـة التنمويـة الأولى بحثـت الحكومـة التونسـية أو بالأحـرى الرئيـس الحبيـب بورقيبـة عـن مخـرج مـن الصعوبـات والأزمـات الـتي اسـتفلحت في البـلاد خاصّـة وأن رأس المـال لـم يفلـح في خلـق التغـيرات الاقتصاديـة والاجتماعيـة الجذريـة. ليقـرر لحبيـب بورقيبـة والدسـتوريين سـنة 1962 عـلى اعتمـاد اسـتراتيجية تنمويـة جديـدة ذات بعـد اشـتراكي تكـون فيهـا الدولـة هـي المتـصرف الأوّل في المجـال الاقتصادي والاسـتثماري بقيـادة الوزيـر الأوّل أحمـد بـن صالـح الـذي أوكل لـه بورقيبـة أربـع مهـام وزاريـة في الوقـت ذاتـه (التخطيـط والزراعـة والماليـة والاقتصـاد)، المحـرّك الأبـرز لمؤسسـات الدولـة في ظـلّ خياراتهـا التنمويـة الجديـدة الـتي تبلـورت مـع مـشروع مـا سـمي بالآفـاق العشريـة للتنميـة (1971-1962).[20]

عرفـت هـذه السياسـة الاقتصاديـة بسـميات مختلفـة كالتعاضـد أو التعاضديـة والـتي تعـني: «شركـة تضـم مسـاهمين يشـاركون بشـكل متسـاو في العمـل وإدارة التعاضديـة ويتقاسـمون الأربـاح»، وعرفـت أيضـا عشريـة السـتينيات برأسـمالية الدولـة والـتي تعـني «أنّ الدولـة هـي المسـتثمر الوحيـد في البـلاد عـن طريـق مركـزة متزايـدة للاقتصـاد وإعطـاء دور أكـبر للبيروقراطيـة الـتي سـيعهد إليهـا بـإدارة رأسـمالية الدولة.»[21] « أمّـا التسـمية السياسـية فهـي مـن تصميـم الحركـة الدسـتورية والـتي أعطوهـا خصوصيـة وهـي الاشـتراكية الدسـتورية.

وهـذا إقـرار واضـح مـن قبـل النخبـة السياسـية التونسـية الحاكمـة بفشـل التجربـة الأولى خـلال النصـف الثـاني مـن الخمسـينيات حيـث الحـوا عـلى ضرورة مـرور الاقتصـاد» بإعـادة الهيكلـة لـكي يبـدأ في الازدهـار ولهـذا ينبغـي دمـج القطاعـات وإدخـال تناسـق عـلى الاقتصـاد مـن شـأنه أن يمحـوا الاختـلالات الموروثـة وتأسـيس النشـاط الاقتصـادي لا عـلى الربـح، بـل عـلى عمـل الجميـع.[22]» الجديـر بالذكـر أنّ هـذه التجربـة لقيـت تأييـدا ودعمـا مـن قبـل مجموعـة مـن الشـباب خريجـي الجامعـات آنـذاك وأنّ تونـس ليسـت بمعـزل عـن محيطهـا العالمـي فعشريـة السـتينيات كانـت «مهـد وعـصر الاشـتراكية وعـدم الانحيـاز.[23]» في العالـم.

19 - عزمـي بشـارة، الثـورة التونسـية المجيـدة. بنيـة ثـورة وصيرورتهـا مـن خـلال يومياتهـا. المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، بـيروت، 2012. ص 66.

20 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص 142.

21 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 135.

22 - عبد اللطيف الهرماسي، سبق ذكره. ص 55.

23- المازري بديرة، «التنمية والمحيط الدولي كرولوجيا أهم الأحداث في العالم وفي تونس (1956 -1986)»، التنمية في الميزان. أبعادها- مكاسبها- آفاقها. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، سلسلة علم الاجتماع -16- تونس 1990. ص -107 143. ص 110.

دون الدخـول في عديـد التفاصيـل كالإطـار القانـوني وتنظيـم التعاضديـات في الفلاحـة أو التجـارة، لقـد نجحـت هـذه التجربـة إلى حـدّ مـا في الترفيـع مـن الإنتـاج الطـاقي والمنجمـي والصناعـي، «فقـد مـرّ إنتـاج الفسـفاط مـن 1،9 مليـون طـن إلى 3،3 مليـون طـن بـين 1961 و1968.

كمـا عـاش قطـاع التجـارة الداخليـة نقلـة نوعيـة في حـين أنّ القطـاع الفلاحـي سـجّل نمـوا ضعيفـا أو سـلبيا في بعـض السـنوات بسـبب الجفـاف الـذي عاشـته البـلاد بـين 1966 و1967.[24]»

وفقـا لعبـد المجيـد بلهـادي في دراسـته الـتي ذكرناهـا سـابقا فـإنّ الحصيلـة الـتي تحققـت خـلال السـتينيات عـلى المسـتوى الاقتصـادي لا تبـدوا سـلبية كمـا سـوّق لذلـك الأطـراف المعارضـة لهـذا النمـوذج التنمـوي، فقـد أكسـبت البـلاد شـبكة هامـة مـن المؤسسـات الصناعيـة تغطـي المناطـق الداخليـة والسـاحلية ومكنتهـا مـن إنتـاج حاجياتهـا مـن المـواد الاسـتهلاكية وعملـت عـلى تطويـر قطـاع التجـارة الداخليـة والخارجيـة وحاولـت النهـوض بالقطـاع الفلاحـي.[25] لهـذه التجربـة أيضـا محدوديتهـا فهـي لـم تحقـق أهدافهـا إذ «ظلّـت نسـبة النمـو خـلال السـتينيات أقـل ممـا كان مبرمجـا (5،3 % بـين 1960 و1970) كمـا أنّ مراكمـة رأس المـال خـلال هـذه المرحلـة تمـت عـلى حسـاب الفئـات الشـعبية كمـا انتقـد الحـزب الشـيوعي التونسـي منـذ 1962 تدهـور الأوضـاع الاجتماعيـة للعمـال واعتـبر أنّ الحكومـة لـم تفـي بوعودهـا في مقاومـة التخلّـف والعدالـة الاجتماعيـة.[26]»

كمـا أنّ تراجـع الوضـع الفلاحـي نظـرا إلى فشـل «سياسـة تجميـع الأراضي الفلاحيـة» قـد سرّعـت مـن عمـق حركـة الـنزوح وسـاهمت في ارتفـاع البطالـة الـتي وصلـت إلى 220 ألـف عاطـل عـن العمـل سـنة 1966[27] وتنامـي حـركات الاحتجـاج.

فقـد عاشـت عشريـة السـتينيات عـلى واقـع العديـد مـن الحـركات الاحتجاجيـة منهـا» حـركات ذات طابـع محافـظ مناهـض لسياسـة التحديـث وحـركات أخـرى معارضـة لسياسـة التعاضـد بـدأت تتجـلى بالخصـوص سـنة 1967 وتوّسـعت بتوسّـع حركـة التعاضـد لتبلـغ أوجهـا سـنة 1969 واندلعـت بالأسـاس في المناطـق الـتي تطغـى عليهـا الملكيـات العائليـة الصغـرى والمتوسـطة وخصوصـا منطقـة السـاحل الـتي يعتبرهـا النظـام معقلـه الرئيـسي وخزّانـه الأوّل مـن الأنصـار والإطـارات. وتعاملـت السـلطة مـع هـذه التحـركات بطريقـة مختلفـة عـن الحـركات الأخـرى فقـد تميّزت بعنـف أقـلّ.[28]»
كمـا كانـت للصراعـات الداخليـة للحـزب الاشـتراكي الدسـتوري الأثـر الحاسـم في فشـل هـذه التجربـة، ويتمحـور هـذا الـنزاع بـين شـق مؤيـد للتجربـة التعاضديـة يترأسـه الوزيـر أحمـد بـن صالـح وشـق رافـض لهـا برئاسـة الهـادي نويـرة. «فـوراء النخـب الحاكمـة هنـاك دائمـا **نخـب ظـل** تنتظـر اللحظـة المناسـبة،

24 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 142-141.
25 - المرجع السابق. ص 143.
26 - المرجع السابق. ص -147 148.
27 - المرجع السابق. ص 146.
28 - فوزي السباعي، « النخب التونسية والحركات الاحتجاجية المحلية في ستينيات القرن العسرين، أيّة علاقة؟»، مجلة روافد، الأعداد 24-23-22، 2019-2018-2017، المعد الأعلى لتاريخ تونس العاصر، منوبة. ص 150-119. ص 135-134.

تعمل بطريقة مباشرة أو ضمنية على الإطاحة بالمنظومة التي همشتها، من أجل الحلول محل تلك المنظومة.[29]» وهكذا فإنّ عدم انسجام النخب السياسة (خاصّة داخل الحزب الحاكم والواحد) وتصدعاتها وصراعاتها يساهم فقط في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. لتكون النخب السياسية أحد عوائق التقدم التنموي بالقرى المنجمية. ولتعليل هذه الفكرة فقد ذكر الهادي البكّوش في إحدى شهاداته أنّه» بنهاية تجربة التعاضد تكوّنت قطيعة في النخبة التونسية، لأوّل مرّة في تونس تتصادم النخبة.[30]» علاوة على أنّ الاشتراكية الدستورية كانت ممولة برأس مال أغلبه أمريكي وغربي[31]

كما بدأ نسق هذا المورد المالي يتراجع منذ 1968، «فالموارد الخارجية قد انحطت بما قدره 13،7 مليون دينار عام 1968 وسجلت المخصصات الأمريكية والقروض السويدية حسب ترتيبها في الذكر انخفاضا قدره 7،7 و50 ملايين دينار ولا بد من التذكير بأنّ صندوق النقد الدولي تدخل بين 1966 و1968 لضبط برنامج استقرار للضغط على التمويلات».[32] كما أنّ نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات هي فترة استنفاذ السياسة الفوردية في العالم. لا يفوتنا أنّ صراع المعسكرين السوفياتي والأمريكي قد أثر سلبا على الدوّل المستقلة حديثا. خاصّة في مسالة المديونية حيث أنّ الاشتراكية هي نقيضة التمويلات غير السيادية كما أنّ هذا التوجه الاشتراكي كان دون صراع طبقي هو أحد أسباب تعثر التجربة والتخلّف التنموي بتونس والحوض المنجمي.

2-2 المرحلة الثانية: من 1970 إلى 1986

كما ذكرنا أعلاه، فإنّ العوامل الداخلية والخارجية كانت وراء مآل الفشل الذي آلت إليه التجربة الاشتراكية. كما أنّ الحركات الاحتجاجية المتصاعدة وخاصّة مظاهرة الوردانين في 26 و27 جانفي 1969 تعتبر من أبرز التحركات الشعبية ضدّ السياسة التعاضدية بل هي السبب المباشر للتراجع عن هذه السياسة.[33] ليتنصل الحبيب بورقيبة من مسؤوليته في فشل سياسة التعاضد ملقيا أسباب الفشل على أحمد بن صالح.[34] لتتّبع البلاد التونسية منذ سنة 1970 سياسة اقتصادية ليبرالية جديدة بقيادة الوزير الأوّل الهادي نويرة (1980-1970). فبعد احتكار الدولة لدواليب الاقتصاد وتقديم نفسها كبديل للقطاع الخاص، أو كما يطلق عليه عبد اللطيف الهرماسي ب «الإصلاح الفوقي وزحف الدولة» اتجهت نحو تحرير المبادرة الخاصّة وتعميق الاندماج في السوق الرأسمالية العالمية، وذلك من خلال «إصدار القانون عدد 37 المؤرخ في 27 أفريل 1972 الذي يدفع نحو الاستثمار الخاص ويعطي أولويّات وأفضليّات للبرجوازية من أجل تدعيم الصناعات التصديرية القادرة على تعديل الميزان التجاري.[35]»

29 - عدنان المنصر، « سنوات الرمل. تفكّر في معارك الانتقال الديمقراطي في تونس -2011 2014»، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2021، ص 63.

30- فوزي السباعي، سبق ذكره. ص 141.

31 - المازري بديرة. سبق ذكره. ص 110.

32 - عبد المجيد بلهادي، آراء نخبة. سبق ذكره. ص 147.

33 - فوزي السباعي، سبق ذكره. ص 131.

34- عبد المجيد بلهادي، السياسة الاقتصادية بالبلاد التونسية (1980-1970). دراسة في الأسس والنتائج، مجلّة روافد، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، العدد التاسع عشر، 2014. ص -11 36. ص 15.

35- المولدي قسّومي، المنظمة النقابية لأرباب العمل التّونسيّين. الأطوار والأدوار. تقديم: الهادي التيمومي، دار نقوش عربية، تونس، 2018. ص 125.

وتـأتي هـذه التشريعـات مـع اسـتمرارية الـدور المهيمـن للدولـة وللسـلطة السياسـية. وهكـذا «انتـصرت حكومـة الهـادي نويـرة إلى مبـادئ اقتصـاد السـوق وجعلـت مـن الأعـراف شريـكا اقتصاديـا فعليّـا للدّولـة، وقـد تعـزّزت مكانتهـم (الأعـراف) بظهـور الاتفاقيـة الإطاريـة منـذ 19 مـارس 1973 الـتي رسـمت الملامـح الأولى للتعاقـد الاجتماعـي الـذي أسـس الشراكـة بـين الدولـة والأطـراف الاجتماعيـة (اتحـاد الشـغل واتحـاد الأعراف).»[36]

فعقـد السـبعينيات هـو عقـد التوجـه نحـو اقتصـاد السـوق واعتنـاق المذهـب الليـبرالي وذلـك بعـد «حـلّ التعاونيـات والتفويـت في الأراضي الزراعيـة الـتي كانـت عـلى ملـك الدولـة نحـو الخـوّاص إضافـة إلى مراجعـة السياسـة الجبائيـة، وتعديـل السياسـة الجمركيـة، وتخفيـض المراقبـة عـلى الصـادرات. وتسـلّمت البرجوازيـة المحليّـة المشـعل، لتضـع البـلاد واقتصادهـا عـلى سـكة الرأسـمالية العالميـة[37]» الخاضعـة إلى المنافسـة الفرنكو-أمريكيـة في سـياقات غابـت فيـه أدوار المعسـكرات السـوفياتية وبالتـالي التبعيـة. فالاختيـار لـم يكـن نابعـا مـن ضرورة اقتصاديـة للقطـع مـع التجربـة التعاضديـة، «بـل أنّ الجانـب السـياسي (داخـل الحـزب الدسـتوري) كان حاسـما في ترجيـح كفّـة التمـشّي الليـبرالي، فالقاعـدة الماديـة لإنجـاح هـذا النمـوذج أي الرأسـمال الخـاص الوطـني الـذي أوكلـت لـه مهمـة الاسـتثمار وخلـق موطـن شـغل لـم يكـن متوفـرا أو ضعيفـا، لذلـك وقـع التعويـل عـلى الرأسـمال الأجنـبي. [38]» وهكـذا تحـوّل العديـد مـن إطـارات الدولـة إلى مقاولـين.

حققـت السياسـة الليبراليـة طفـرة تنموية خـلال المنتصف الأول مـن السـبعينيات، في حين أنّ المنتصـف الثاني مـن نفـس العشريـة قـد سـجّل تراجعـا ملحوظـا. فقـد سـجّل الإنتـاج الفلاحـي ارتفاعـا رغـم التراجـع الـذي حصـل سـنة 1973 نتيجـة التقلبـات المناخيـة[39] ويعـود هـذا التحسّـن إلى عوامـل مناخيـة وأهميّة الاسـتثمارات الـتي وجهـت للقطـاع الفلاحـي. «كمـا سـجّل قطـاع الصناعـة وخاصـة الصناعـات التحويلية نموا خـلال النصف الأول مـن السـبعينيات، خاصّـة أنّهـا اسـتحوذت عـلى نصيـب هـام مـن الاسـتثمارات، إذ رصـد لهـا حـوالي 1085 مليـون دينـار، وتضاعـف الاسـتثمار الخـاص لتصـل مسـاهمته في تمويـل هـذا القطـاع إلى 42 % مقابـل 21 % في العشريـة السـابقة، وهـو مـا أدى إلى ارتفـاع المؤسسـات الصناعيـة، فبـين 1973 و1979 وافقـت وكالة النهـوض بالاسـتثمارات عـلى حـوالي 7500 مؤسسـة. كمـا سـجّلت عـدة مؤسسـات وشركات خاصّـة أو عموميـة ارتفاعـا هامـا في إنتاجهـا[40]» حيـث سـجّلت البـلاد ارتفاعـا في أسـعار النفـط والفسـفاط في السـوق العالميـة، وسـاد البـلاد منـاخ اجتماعـي هـادئ بعـد وقـف سياسـة التعاضـد وامتصـاص الحـراك والغضـب الشـعبي،[41]

36 - المرجع السابق. ص 125.
37 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص 145.
38- عبد المجيد بلهادي، السياسة الاقتصادية...، سبق ذكره. ص 24-23.
39 - لمعرفـة الأرقـام في القطـاع الفلاحـي بـني سـنوات 1972 و1974 يمكـن للقـارئ العـودة إلى: عبـد المجيـد بلهـادي، السياسـة الاقتصاديـة...، سـبق ذكـره. ص 31.
40 - المرجع السابق. ص 31.
41- عائشة التائب، سبق ذكره. ص 147.

بعـد أن ارتفـع معـدّل النمـو الاقتصـادي السـنوي 7،2 % مقابـل 4،6% في السـتينيات[42] لتنعكـس هـذه المعطيـات عـلى الحيـاة الاجتماعيـة حيـث تراجعـت نسـب الفقـر وتحسّـن مسـتوى العيـش بارتفـاع الدخـل الفـردي خـلال النصـف الأوّل مـن السـبعينيات.

لكـن لهـذه السياسـة الاقتصاديـة حدودهـا، فوفقـا لعبـد المجيـد بلهـادي فـإنّ المنهـج المعتمـد في السـبعينيات لـم يمكّـن مـن بنـاء صناعـة وطنيـة قويّـة قـادرة عـلى المنافسـة الخارجيـة. فقـد ظلّـت في مجملهـا صناعـات صغـرى ومتوسـطة مثـل النسـيج والملابـس والأحذيـة والصناعـات الغذائيـة الـخ. »وهـذه الصناعـات تحمـل في طياتهـا خـلالا هيكليـا بحكـم ارتباطـه بالتصديـر وخاصّـة نحـو أوروبـا، فبمجـرد أن وضعـت الـدول الأوروبيـة إجـراءات حمائيـة تأثـر قطـاع الصناعـات التصديريـة التونسـية وخاصّـة منـذ سـنة 1976[43]

لـئن زاد حـظ الاسـتثمار المنتـج، إلاّ أنّ خاصيّـة الفـروع المنتجـة الـتي أعطاهـا الرأسـمال الخـاص الأولويـة باعتبارهـا فـروع تحقـق أربحـا مرتفعـة لكـن عـلى حسـاب حاجيـات البـلاد ومناعـة الاقتصـاد: وهـو الأمـر بالنسـبة لزراعـة الباكـورات المعـدّة للتصديـر، وصناعـات النسـيج والخياطـة والأحذيـة الموجهـة للتصديـر، والمرهونـة في نموّهـا بالظـرف الاقتصـادي في بلـدان السـوق الأوروبيـة المشـتركة، وهـو مـا أكدتـه أزمـة تصدير المنسـوجات بدايـة مـن عـام 1976 عندمـا اتخـذت هـذه البلـدان إجراءاتهـا الحمائيـة، وكذلـك الأمـر بالنسـبة للصناعـات التركيبيـة المقامـة في إطـار عقـود للمقاومـة بالوكالـة.[44] « كمـا عاشـت الفلاحـة عـلى واقـع »نسـبة نمـو ضعيفـة تقـدر ب 1،2 % سـنة 1979 نتيجـة ظـروف مناخيـة غـير ملائمـة لينعكـس ذلـك عـلى تلبيـة حاجيـات البـلاد مـن الغـذاء، كمـا سـاهمت هـذه الفـترة في الاختـلالات بـين الجهـات فأكـثر مـن ثلاثـة أربـاع الاسـتثمارات وظفـت في الشريـط السـاحلي وخاصّـة في الصناعـة والسـياحة، عـلاوة عـلى مـا سـجلته البـلاد مـن ارتفـاع في الأسـعار وارتفـاع التداين الخارجـي إلى 40،3 % مـن الناتـج الداخـلي الخـام وركـود الصناعـة وخاصّـة النسـيجية وبقـاء حـوالي 73.500 مـن الناشـطين في حالـة بطالـة[45] » .

سرّعـت هـذه المعطيـات الـتي ذكرناهـا بإيجـاز ودون تقديـم عديـد الأرقـام الـتي تبرهـن وجـود الأزمـة[46] في تنامي حـركات الاحتجـاج منـذ أواخـر السـبعينيات ومطلـع الثمانينـات، فقـد فشـل هـذا النمـوذج التنمـوي في كسـب ثقـة المجتمـع، كمـا أنّ اسـتراتيجية السـبعينيات الـتي راهنـت عـلى «عقلنـة السـلوك الاقتصـادي لـدى المواطـن التونسـي بهـدف تغيـير حضـوره في المشـهد التنمـوي، مـن حضـور سـلبي في نمـط تنميـة تقليـدي سـمته التـواكل والانكمـاش، إلى حضـور أكـثر فعاليـة قوامـه المبـادرة والإقـدام وعـدم انتظـار عطايـا الدولـة وهباتهـا. غـير أنّ الأيـام بيّنـت أنّ ذلـك ظـلّ سـجين الشـعارات المرفوعـة الـتي لـم تجـد لهـا صـدى يذكـر في واقـع النـاس وحياتهـم.

42- عبد اللطيف الهرمايى، سبق ذكره. ص 84.
43 - عبد المجيد بلهادي، السياسة الاقتصادية...، سبق ذكره. ص 34.
44 - عبد اللطيف الهرمايى، سبق ذكره. ص 85-84.
45 - عبد المجيد بلهادي، السياسة الاقتصادية...، سبق ذكره. ص 35-34.
46 - يمكن للقارئ العودة إلى دراسة: عبد المجيد بلهادي، السياسة الاقتصادية...، سبق ذكره.

ليحتفظ الأفراد بنظرتهم التقليدية للدولة منتظرين منها وفاءها بما وعدت به عشية الاستقلال من رفاه وتنمية وتحسين مستوى العيش وتوفير العمل لكل طالب له.[47]» ليضحي بورقيبة بالوزير الأوّل الهادي نويرة ويحل محلّه الوزير الأوّل محمد مزالي خلال النصف الأوّل من الثمانينات مستغلا بورقيبة شعبية هذا الأخير وتكوينه الفلسفي حالما بإعادة الثقة بين السلطة السياسية – البورقيبية- والمجتمع التي تمزّقت جرّاء الفشل الاقتصادي والتنموي والصراع بين النخب. كما تعهد محمد مزالي بإنجاز إصلاحات شاملة، «لكن شيئا من ذلك لم يحدث، ومنعت كواليسُ التكالب على الحكم، (غير المعلن) وارتفاع نسق المناورات بين الكتل والأشخاص المتصارعين على الوصول إلى سدّة رئاسة الجمهورية، الوزير الأوّل الجديد من التفرغ لشؤون التنمية وإدارة البلاد وإنجاز ما وعد به.[48] « لتظلّ تقريبا نفس الاستراتيجيات والاكراهات السلطوية وبقيت الدولة تقدم نفسها في سياق ليبرالي على أنّها فاعل اقتصادي بدلا من فاعل سياسي، فقد أصبحت تهتم بمجالات التصرف والإدارة أكثر من التحولات الاجتماعية الحداثية وقد ساهم هذا الموقف في تطوّر الحركة الأصولية التي استغلت الفراغ الأيديولوجي، كما أثارت «السياسة الاقتصادية التقييدية» restrictive صعود الحركات النقابية والاجتماعية (يوم الخميس الأسود 26 جانفي 1978، أحداث الخبز جانفي 1984...)[49] وهكذا تبخّرت التنمية مطلع الثمانينات في سياق احتد فيه الصراع على « من يكون خليفة الزعيم المريض» لينجح زين العابدين بن علي في الوصول إلى رئاسة الجمهورية في 07 نوفمبر 1987. فما الذي تغيّر بعد الانقلاب على زعيم الأمّة – التونسية-؟

3-2 المرحلة الثالثة: الإصلاح الهيكلي وتأزم التنمية

عاشت البلاد التونسية على واقع أزمة اقتصادية واجتماعية حادّة خلال المنتصف الأوّل من الثمانينات لتختار السلطة السياسية طريق سياسة الاقتراض ولكن بشروط مجحفة وذلك في «إطار تطبيق برنامج إصلاح هيكلي سنة **1986** طبقا لإملاءات وتوصيات المؤسسات المالية العالمية وعلى رأسها صندوق النقد الدولي والبنك العالمي المكلّفة بنشر الاختيارات النيوليبرالية التي وقع تصميمها في إطار ما يسمى «بوفاق واشنطن»[50]. وتتمثل هذه الإملاءات في تحرير التجارة وإرساء منطقة تبادل حرّ للمواد المصنعة مع الاتحاد الأوربي، واعتماد سياسة تأهيل المؤسسات الصناعية ومسار الخصخصة.[51]

لينطلق برنامج التخصيص منذ سنة 1987 متسما بالبطء والتردد حتى سنة 1998، إذ تراوح المعدّل السنوي للمؤسسات التي وقع تخصيصها بين 6 و10 وبلغت محاصيل التخصيص معدّلا سنويا يناهز 31.7 مليون دينار فقط، كما أنّ جلّ المؤسسات التي وقع تخصيصها كانت من النوع المتوسط وذات المردود الرديء لتشهد حركة التخصيص تحولا نوعيا ملحوظا منذ عام

47 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص 150-149.

48 - المرجع السابق. ص 152.

49 - Ridha Boukraa, op.cit. P 189.

50 - عبد الجليل البدوي، «الإشكاليات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية في ظلّ مرحلة الانتقال الديمقراطي بتونس من أجل بديل تنموي»، سلسلة قضايا الإصلاح، عدد 36، 2017، ص 62.

51 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص156.

1998 ليتصاعد عدد المؤسسات التي وقع تخصيصها كما شهدت تنوعا قطاعيا وإجرائيا.[52]

شمل برنامج الإصلاح الهيكلي شركة فسفاط قفصة في سياق يساهم فيه هذا القطاع في خلق القيمة المضافة بالجهة حيث يمثّل قرابة 70 % من جملة الدخل الخام الجهوي ويساهم القطاع في خلق مواطن شغل بنسبة 10 % تقريبا (قبل سنة 2011) من مجموع المشتغلين بالجهة سواءا كان تشغيلا مباشرا أو عبر المناولة. ويعود هذا التفاوت بين نسبة التشغيل والقيمة المضافة إلى الاستعمال المكثف لرأس المال في إطار برنامج إعادة هيكلة شركة الفسفاط منذ أواسط الثمانينات والذي شمل تعصير استخراج الفسفاط بإغلاق المناجم تدريجيا.[53] وهكذا انخفض عدد العمال بسرّكة الفسفاط بين سنوات 1984 و2004 من 14259 إلى 6223 عامل في سياق وصلت فيه معدلات البطالة إلى مستوى مقلق للغاية خلال عام 2004 فقد بلغت 38،5 % بأم العرائس و26،7 % بالرديف و21،2 بالمتلوي و28،4 % بالمظيلة.[54] ، كما عمدت خطّة التعديل الهيكلي إلى إنشاء صندوق إعادة توجيه وتنمية المراكز المنجمية **Le Fonds de réorientation et de développement de centres miniers** سنة 1991 وذلك بغاية تمويل المشاريع الصغرى وتعويض الأعداد العمالية التي كانت تستقبلها الشركة ولكن ظلّ نشاط هذا الصندوق هامشيا، حيث استفاد منه حوالي 1500 مستفيد اعتبروا أنّ الاعتمادات لا تلبي الحاجيات الاجتماعية.[55]

وتكمن المفارقة بأنّ الحوض المنجمي الذي بعث من أجله هذا الصندوق لم يحض إلاّ ب 28 % من المشاريع المنجزة في إطار هذا الصندوق و5،7 % من حجم الاستثمارات و57 % من عدد مواطن الشغل المحققة وذلك إلى حدود سنة 2005. أما مدينة قفصة فقد استفادت ب 70 % من جملة المشاريع و94 % من حجم الاستثمارات وحوالي 44% من عدد مواطن الشغل المحدثة في إطار هذا الصندوق (وقع انجاز 50 مشروع فقط من جملة 119 وقع قبولها والموافقة عليها من طرف الصندوق). وتوزعت المشاريع في قطاعات مختلفة كالآتي: 26% مشاريع فلاحية، 26 % صناعية، 38 % خدمات و10 % سياحة وصناعات تقليدية.[56]» علما وأنّ أغلب الحاصلين على تمويلات صغرى في إطار الصندوق كانت وفق منطق زبائني أو عروشي.

52 - جمال الدين الزيادي وآخرون، إشكالية التخصيص والتنمية: التجربة التونسية نموذجا، منشورات الاتحاد العام التونسي للشغل، قسم التشريع والدراسات بالتعاون مع مؤسسة فريدريش إيبارت، تونس 2001. ص 27.

53 - عبد الجليل البدوي، التشغيل والتنمية بولاية قفصة. الواقع والآفاق، منشورات الاتحاد العام التونسي للشغل، رؤى عمالية، قسم التشريع والنزاعات والدراسات والتوثيق، تونس، نوفمبر 2010. ص 79_80.

54 - Zouheir Ben Jannet, ' Jeunes, Etat et dynamique de la révolution en Tunisie. Enquête dans le Bassin-Minier de Gafsa ' , in, Christiana Constantopoulou (S/D), Récits de la crise : mythes et réalités de la société contemporaine, collection logiques sociales, Paris, l'Harmattan, 2017,Pages 277 à 302. P 284.

55- Amine Allal, 'Réformes néolibérales, Clientélismes et protestations en situation autoritaire. Les mouvements contestataires dans le bassin minier de Gafsa En Tunisie (2008)', Politique africaine 177, no. 1 2010, Pages 107 à 125. P 118.

56 - عبد الجليل البدوي، التشغيل والتنمية...، سبق ذكره. ص 90.

لـئن كان برنامـج الإصـلاح الهيـكلي قـد سـاهم في تقلـص عـدد العمـال وتعويـض هـذا النقـص بالسـاعات الإضافيـة داخـل مقاطـع اسـتخراج الفسـفاط وتوسـع عـدد العاطلـين وسـاهم في تراجـع الـدور الاجتماعـي والاقتصـادي الـذي كانـت تلعبـه شركـة الفسـفاط بالجهـة مـن توزيـع للمـاء والكهربـاء بصفـة مجانيـة أو بأسـعار رمزيـة وتوفـير المرافـق الصحيّـة (لتتراجـع هـذه الخدمـات منـذ أن تـم سـلعنتها بالكامـل عـبر تحويلهـا إلى مؤسسـات وطنيـة عموميـة، كشركـة الكهربـاء والغـاز، شركـة توزيـع الميـاه ووزارة الصحـة...)

وتدعـم الحيـاة الثقافيـة والرياضيـة. إلاّ أنّـه قـد حققـا نمـوا مطـردا في إنتـاج الفسـفاط حيـث انتقـل مـن 3،826 مليـون طـن في عـام 1974 إلى 6،224 مليـون طـن في عـام 1983 لينخفـض مـع أزمـة الثمانينـات إلى 5،384 مليـون طـن سـنة 1984 وإلى 4،530 مليـون طـن سـنة 1985[57] ليعـود في الارتفـاع زمـن الإصـلاح الهيـكلي مـن 6 ملايـين طـن خـلال التسـعينيات ليصـل إلى حـوالي 8 ملايـين طـن سـنة 2010.[58] وقـد عرفـت أسـعار النفـط أو المحـوّل ارتفاعـا مدهشـا، فبالمقارنـة مـع سـنة 2005، عرفـت أسـعار منتوجـات الفسـفاط ومشـتقاته ارتفاعـا بنسـبة 11 %، وفي سـنة 2007 نسـبة 47 %. وعرفـت أسـعار هـذه المـواد قفـزة كبـيرة منـذ أكتوبـر 2007 إلى حـدّ أنّ أسـعار الثلاثيـة الأولى مـن سـنة 2008 تجـاوزت 125 % مقارنـة بنفـس الثلاثيـة مـن السـنة السـابقة (2007) ومقارنـة بمعـدّل سـنة 2005 فـإنّ أسـعار شـهر مـاي 2008 قـد تضاعفـت بثـلاث مـرات ونصـف.[59] فالحـوض المنجمـي هـو «جـرح يـنزف وثـروات تسـتنزف».

« فالصناعـات الاسـتخراجية تتعـارض تمامـا مـع العدالـة الاجتماعيـة نظـرا لمخلفاتهـا الكارثيـة عـلى المسـتويين الاجتماعـي والبيـئي، فهـي عبـارة عـن مناطـق خُرّبـت عـبر النشـاط الاسـتخراجي والمعالجـة الكيميائيـة ويسـكنها أنـاس تمـت التضحيّـة بأجسـادهم وصحتّهـم وأراضيهـم ومياههـم في سـبيل الحفـاظ عـلى تراكـم رأس المـال، وهـو مـا يتناسـب مـع الطابـع العنـصري للرأسـمالية[60]».

كمـا أنّ مـا ذكرنـاه سـابقا حـول الاختـلالات بـين الجهـات ظـلّ مسـتمرا، فالشريـط الغـربي المكـون مـن جندوبـة، الـكاف، القصريـن، قفصـة، تـوزر، قبـلي وتطاويـن الـتي تضـم 17،6 % مـن سـكان البـلاد لـم يشـهد إلاّ بعـث 3،64 % مـن مجمـوع المؤسسـات الـتي وقـع بعثهـا سـنة 2009، مقابـل 3،48 % في الشريـط الوسـطي (باجـة، زغـوان، سـليانة، القـيروان وسـيدي بوزيـد) الـذي يحتـوي عـلى 16% مـن سـكان البـلاد وبقيـة المؤسسـات أي قرابـة 93 % وقـع بعثهـا في الشريـط السـاحلي الـذي يحتـوي عـلى 66،4 % مـن سـكان البـلاد (سـنة 2009).[60]

ليكـون الحـوض المنجمـي ومنطقـة قفصـة عمومـا ضمـن المناطـق المحرومـة، المفتقـرة للبنيـة التحتيـة

57 - محمـد الجديـدي، المـوارد الطاقيـة والمنجميـة عامـل للاندمـاج الاقتصـادي التكامـلي المغـاربي، آفـاق ومراحـل بنـاء المغـرب العـربي، الجامعـة التونسـية، مركـز الدراسـات والأبحـاث الاقتصاديـة والاجتماعيـة، سلسـلة علـم الاجتمـاع، عـدد 14، تونـس 1989. ص -11 59. ص 43.

58 - عبد الجليل البدوي، التشغيل والتنمية...، ص 80.

59 - حفيّظ طبابي، انتفاضة الحوض المنجمي بقفصة 2008، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2012، ص 62.

60 - عبد الجليل البدوي، التشغيل التنمية...، سبق ذكره. ص 99.

والمرافق الصحيّة والمؤسسات الصناعية ذات الطاقة التشغيلية العالية. فالإقلاع إذن لا يندرج في إطار برنامج الإصلاح الهيكلي.[61]

تجدر الإشارة إلى أن عبء الدين الخارجي في تونس هو الأكبر مقارنة بباقي الدول العربية، حيث بلغت على سبيل المثال في عام 1994 نسبة خدمة الديون إلى إجمالي الصادرات من السلع والخدمات حوالي 18،4 %، وهي من أعلى نسب خدمة الديون الخارجية في الوطن العربي. كما بلغ إجمالي ديون تونس بحسب إحصائيات البنك المركزي التونسي سنة 2006 حوالي 57،8 مليار دينار، أي ما يعادل 140،4 % من الناتج الداخلي الخام.[62]

تمكنت سياسة الإصلاح الهيكلي من تحقيق ارتفاع نسبي في المؤشرات العامة للنمو [63] لكنّها أثرت سلبا على عديد القطاعات مثل السياحة والفلاحة، وكانت لها تداعيات سلبية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجماعات السكانية المنجمية خصوصا والتونسية عموما.

فقد توسعت جرّاء هذه السياسة خارطة الفقراء والعاطلين وعمقت في الفجوة بين الفرصة وما مدى تحقيقها. فطموح الفرد لا يتلاءم مع واقعه الاجتماعي مما سبب حالة من الإحباط واليأس، كما أنّ الأزمة الاقتصادية تثير التوتر بين الطموحات ودرجات الرضا، فيحدث الإحباط النسبي عندما تتوسع الفجوة بين الطموحات وما مدى فرص تحقيقها.[64] فالإحباط أو الحرمان النسبي هو « إدراك الأطراف الفاعلين للتناقض بين توقعاتهم وقدراتهم المتعلقة بالقيم.

وتتمثل توقعات القيم بالسلع وظروف الحياة التي يعتقد البشر أنّ لهم حقا فيها، أمّا قدرات القيم فهي السلع والظروف التي يظنون أنّهم قادرون على الحصول والاحتفاظ بها.[65]»

فيقدم الاحتجاج من منظور الحرمان / الإحباط النسبي تعبيرا على « وضعية غير سويّة من الناحية العاطفية والاجتماعية، مضمونها أنّ الناس تقارن نصيبها من السلع والخدمات وحظوظ الحياة، لا بما كانت عليه من عشر سنوات، بل بما حصل عليه الاخر خلال نفس المدّة، في نفس البلد أو في بلدان

61- Mohamed Aziz TAGINA, L'exclusion sociale et marginalisation spatiale dans le sud-ouest Tunisien : Le cas de Gafsa, Revue Tunisienne de sciences sociales, Publication du C.E.R.E.S, no 109, 29ème année, Tunis, 1992. Pages 227 à 204. P 203.

62 - عائشة التائب، سبق ذكره. ص 159.

63 - أنظر دراسة عائشة التائب، سبق ذكره.

64 - François Dubet, 'Frustration relative et individualisation des inégalités', Revue De L'OFCE, vol 1, no 150, 2017, Pages 11 à 26. P 16.

65 - تيد روبرت غير، « لماذا يتمرد البشر؟»، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2004، ص، 67، 68.

قريبة أو مجاورة.[66]» وبالتالي الأزمة النفسية-الاقتصادية، ولذلك تناولت نظرية الحرمان النسبي «العامل النفسي كمتغيّر وسيط بين العوامل الاقتصادية وانعكاساتها السياسية، من منطلق أنّ الأبعاد النفسية للحرمان الاقتصادي، يكون لها دور أساسي في حفز الثورة والعصيان أو العنف.[67]»

وهكذا اندلعت أطول انتفاضة في تاريخ تونس المعاصر وهي « انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008» جرّاء سياسات شرّعت لباب التفاوتات الطبقية وساهمت في إرساء مشاعر اليأس لدى كلّ الفئات والطبقات بطرق مختلفة. لكن حتى الاحتجاجات تمّ ردعها بمطرقة القمع من ناحية وسندان فتح آليات للتشغيل الهشّ من جهة أخرى (المناولة، الحضائر...) ليكون البحر الأبيض المتوسط أفضل نافذة للهروب من واقع مغرق في الهشاشة والفقر والاستياء، حيث انخرط العديد من شباب الحوض المنجمي خلال النصف الثاني من سنة 2008 في رحلات الهجرة غير النظامية التي تنطلق من مدينة زوارة الليبية ثمّ جزيرة لمبادوزا الإيطالية.

استنتاجات

مرّت السياسات التنموية في تونس بثلاثة مراحل رئيسية، حيث اعتمدت السلطة السياسية على سياسة اقتصادية معيّنة في كلّ مرحلة، إلاّ أنّ هناك عوامل داخلية وخارجيّة حالت دون التقدم الاقتصادي وأثّرت سلبا في مسار اشتغال التجارب التنموية التونسية.

اعتمدت تونس خلال فترة الاستقلال وعقد الستينيات كباقي الدول العربية تقريبا التي تحصّلت على استقلالها آنذاك خططا طموحة للتوسع التعليمي والصناعي» ونتيجة لذلك نمت طبقتان جديدتان في الأوطان العربية وهما الطبقة المتوسطة الحديثة والطبقة العاملة الجديدة. وفي ذاك كان التخطيط المركزي والسيطرة على السياسات الاجتماعية هما السمة الغالبة على معظم الدول العربية. إلاّ أنّ العقدين التاليين (السبعينيات والثمانينات) شهد مزيجا من السياسات المتقطعة والمشوشة. أو ما يعرف بسياسة الانفتاح الاقتصادي الليبرالي.[68] «وهذه السياسة الأخيرة شكّلت عائقا أمام التقدم التنموي بتونس والحوض المنجمي. فالبرجوازية التونسية والعربية عجزت عن حلّ المسائل الاجتماعية والوطنية

66- عبد الواحد أوامن، « تاريخ الحركات الاحتجاجية بني المفهوم والنظريات»، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي: دراسة في متغيّرات الاستقرار واللاستقرار للأنظمة السياسية، إعداد وتأليف: المصطفى بوجعبوط، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، رقم تسجيل الكتاب .VR 2016 ،B. 33690، ص -22 44، ص 37.

67 - الحبيب استايتي زين الدين، « الفعل الاحتجاجي في المغرب وأطروحة الحرمان النسبي: في الحاجة إلى تنويع المقاربات التفسيرية» عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 22، المجلّد السادس، خريف 2017، ص 165، 186، ص 169.

68 - صامويل هانتنجتون، « الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين»، ترجمة: عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993. ص 18.

«وعجزها هذا هو عجز بنيوي تاريخيّ، فهي لا تستطيع الانتقال إلى نمط رأسمالي مستقل، فانتقالها من البرجوازيّة التقليديّة إلى البرجوازية الصغيرة، لم يجدد إلاّ مأزقها التاريخي، لأنّ هذا التجديد لم يكن إلا استبدالا طبقيّا في نمط الإنتاج الكولونيالي نفسه الذي يحكم حركة البرجوازيات العربية.»[69] كما أنّ برنامج الإصلاح الهيكلي والتبادل الحرّ مع الاتحاد الأوروبي هو « تبادل غير متكافئ»، فالنظام الرأسمالي العالمي وفقا **لأندريه غندر فرانك** هو نظام يقوم على «التبادل الاحتكاري» الذي يؤمّن نقل الفائض الاقتصادي من المناطق الخاضعة (الأقلاك) إلى المراكز الامبريالية (المتروبول).

وهذا النظام هو الذي يتحكّم في توزيع السلطة السياسية وفي أشكال تنظيم الإنتاج والبنى الطبقية للمناطق المختلفة. وبناء عليه، فإنّ فالآليات التي تطلق التطور في المتروبول هي نفسها الآليات التي تسبب التخلّف في الأقلاك.»[70] وتأتي هذه التبعية في ظل سياق حصر فيه العقل السياسي العربي رغم التغيّرات العالمية وبعض التحولات الجزئية المحلية بين ثالوث القبيلة والغنيمة والعقيدة.[71]

وجد المنوال التنموي في تونس نفسه بين حالتين:» تميزت الأولى بتحقيق النمو دون التنمية أو ما يعبّر عنه بتنمية التخلّف، وكانت الثانية حالة تنمية دون نمو من خلال وجود منوال تنموي تابع ومرتبط بما تفرضه المؤسسات المالية العالمية التي تحبس بلدان الجنوب في بلدان التبعيّة.[72] « وهكذا فإنّ «تقدم المركز يحتّم تخّلف المحيط، وتخلّف المحيط ضرورة لتقدم المركز،[73]» كما تكونت في هذا السياق أقلية محليّة محظوظة تحتكر ثمار التنمية مقابل تفقير الريف والأحياء الشعبية والمناطق الداخلية وتردي الخدمات العمومية الخ،» فبرجوازيات المحيط ذات مصلحة في استمرار علاقات التبعية، وذات مصلحة في بقاء البنى قبل الرأسمالية لبلدانها.[74]»

إنّ السياسات التنموية منذ دولة الاستقلال إلى اليوم كانت ولا زالت في طليعة العوامل التي شكّلت عائقا أم التطور التنموي بالحوض المنجمي، فالسياسات التي غابت عنها الإرادة الوطنية وقدرتها على التحكّم في الشروط الماديّة لإعادة إنتاج المجتمع لا يمكنها أن تصنع التغيّرات الجذرية التطورية،

69 - مهدي عامل، «مناقشات وأحاديث في قضايا حركة التحرر الوطني وتميّز المفاهيم الماركسيّة عربيّا»، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990، ص 14.

70 - عصام الخفاجي، « سمير أمني: في نقد حلم انكسر»، عمران للعلوم الاجتماعية، العدد 27، المجلّد السابع، شتاء 2019. ص -5 24. ص 12.

71 - محمد عابد الجابري، « العقل السياسي العربي. محدداته وتجلياته»، (نقد العقل العربي: 3)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة 2000.

72 - المولدي قسّومي، « استئناف البناء الوطني من منظور العقد الاجتماعي. أيّ دور للاتحاد العام التونسي للشغل؟»، الاتحاد العام التونسي للشغل في مسار البناء الوطني (-1946 2014)، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر (جامعة منوبة) بالاشتراك مع الاتحاد العام التونسي للشغل، تنسيق وجمع النصوص: مروان العجيلي، محمد فوزي السعداوي، المولدي قسّومي، عبد المجيد بلهادي. ص 145-105. ص 131.

73 - عصام الخفاجي، سبق ذكره. ص13.

74 - المرجع السابق. ص 13.

بـل تحقـق فقـط التغـيّرات الرجعيـة. وهـذه التبعيـة اسـتمرت في سرديـات النزاعـات بـين النخـب السياسـية الـذي أشـبه مـا يكـون ب «صراع الديكـة» وفي سـياقات تصاعـدت فيهـا أصـوات الشـعوبية. وهكـذا ظـلّ الحـوض المنجمـي مسرحـا للمأسـاة والحيـاة اليوميـة التراجيديـة مـن خـلال مـا يعانيـه مـن حرمـان اقتصـادي واجتماعـي وبيـئي وصحـي وثقـافي ورياضي الـخ وذلـك حـتى بعـد مـرور عـشرة سـنوات مـن مسـار انتقـالي لا يـزال مرتبـكا وهشّـا. فنسـبة الفقـر بمدينـة المتلـوي وفقـا لإحصائيـات سـنة 2014 قـد وصلـت إلى 22 %، ونسـبة التمـدرس 97 % ونسـبة الأميّـة 13،6 %. أمّـا نسـبة البطالـة فتقـدر بحـوالي 35،9 %، أمـا مدينـة أم العرائـس فنسـبة الفقـر: 24 %، ونسـبة التمـدرس 97%، نسـبة الأميّـة 25،7%، أمّـا نسـبة البطالـة فتقـدرّ بحـوالي 37 %. في حـين كانـت نسـبة الفقـر في المظيلـة تقـدّر ب 19 %، نسـبة التمـدرس: 95 %، نسـبة الأميّـة: 15،4 %، أمّـا نسـبة البطالـة 24،8 % وهـي مـرّة ونصـف نسـبة المعـدّل الوطـني، رغـم أنّهـا النسـبة الأضعـف بالمقارنـة مـع بقيّـة مـدن الحـوض المنجمـي، كمـا أنّ نسـبة البطالـة بالنسـبة لحامـلي الشـهادات العليـا بالمدينـة تتجـاوز 39 %. أمّـا الرديـف فنسـبة الفقـر: 22 %، نسـبة التمـدرس: 97 %، نسـبة الأميّـة: 13،5 %، أمّـا نسـبة البطالـة فتقـدر بحـوالي 39 % وهـي الأرفـع بمنطقـة الحـوض المنجمـي، وهـي أكـثر مرتـين مـن المعـدّل الوطـني، كمـا أنّ نسـبة البطالـة بالنسـبة لحامـلي الشـهادات العليـا بالمدينـة تتجـاوز 46 %، وهـي ثـاني أكـبر نسـبة عـلى المسـتوى الوطـني بعـد تطاويـن.[75]

لكـن كيـف كانـت ردود فعـل القـوى الاجتماعيـة المحليـة بالمـدن المنجميـة حـول السياسـات التنمويـة وتنامـي المظلوميـة

3- الفاعلون المحليون: بين النضالية وثنائية العروشية والزبونية

إنّ التغـيرات الاجتماعيـة لا تعمـل مـن تلقـاء نفسـها بـل هنـاك مـن يحرّكهـا، ويمكـن أن نطلـق عليهـم اسـم الفاعليـين في التغيـير، Les agents du changement[76] وقـد يكونـون أفـرادا أو نخـب، أو مجموعـات تنظيميـة مثـل الأحـزاب السياسـية أو النقابـات أو المنظمـات أو جمعيـات أو الحـركات الاجتماعيـة بصفـة عامـة.

3-1 النخب المحليّة وأزمة المدن المنجمية

يُنظـر إلى النخـب عمومـا انهـم عوامـل للتغيـير. وتمـت دراسـة دورهـم في التغيـير السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي مـن قبـل العديـد مـن المؤلفـين الذيـن حاولـوا تحديـد تأثيرهـم عـلى توجـه ومسـار تاريـخ الشـعوب الـتي تتشـارك معهـم في نفـس المصـير.[77]

75 - حسـني الرحيـلي، «المـاء والعدالـة الاجتماعيـة بالحـوض المنجمـي»، المـشروع الإقليمـي «مـن أجـل عدالـة اجتماعيـة في منطقـة الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا» ، مؤسسـة فريدريـش إيـبرت، 2018. ص 71-65.

76 - Guy Roche, « Introduction à la sociologie générale », vol 3, le changement social, Editions HMH, Montréal, (Québec), Canada, 1968. P26.

77 - Augustin Mariro, « **BURUNDI : De la Nation aux Ethnies ou la Naissance d'une Elite Tribalisée** », Bureau régional de l'UNESCO à Dakar (BREDA). B.P 3311, Dakar, Sénégal, 1998. P 9.

وتعتبر المدرسة الإيطالية بين سنوات 1884 و1911 مع كلّ من غايتانو موسكا Gaetano Mosca وفيلفريدو باريتو Vilfredo Pareto وروبرت ميشلز Robert Michels ، هي المدرسة التي صاغت في وقت مبكر أسس فكرة « النخبة» والمعالم الأساسية لنظرية تفسيرية لتاريخ المجتمعات والتغيّر الاجتماعي للحكومات عن طريق فكرة تسمى « الطبقة الحاكمة» أو « طبقة النخبة». وقد تمت مناقشة فكرة ونظريات النخبة وتفسيرها بشكل مكثّف ومختلف من قبل علم الاجتماع الألماني والفرنسي والأمريكي أيضا.[78]

ووفقا **لغير روشي Guy Rocher** في كتابه الذي ذكرناه سابقا، فإنّ النخب تتوزع نحو نخب تقليدية، أيديولوجية، رمزية، كاريزماتية، ملكية propriété، تكنوقراطية ... كذلك تنوع المدرسة الأنجلو-ساكسونية منذ منتصف الثمانينات في تعريفات وتصنيفات النخب، كالنخب الإدارية والعسكرية، والقضائية، والمالية، والدينية والإعلامية والسياسية والصناعية والنقابية وكبار الملاكين grands propriétaires.[79] فالنخبة وفقا **لباريتو** « متواجدة في جميع قطاعات النشاط البشري» وأنّ كل مجموعة اجتماعية تطور نخبها الخاصة، فهي إذن نخب متعددة.[80] وأمام هذه الأصناف من النخب فإننا سنحلل في قراءتنا هذه النخب السياسية والنقابية المنجمية ودورها في المسائل والقضايا التنموية.

- **النخب النقابية**

للحوض المنجمي موروث نقابي منذ العهد الكولونيالي، وعاش على وقع العديد من التحركات العمالية قبل دخول الحركة النقابية المنظمة، فالواقع الانقسامي بين مجموعات عرقية مختلفة لم يمنع من بروز بوادر وعي جنيني بين السكان التونسيين الذين جمعت بينهم ضرورة مواجهة تعسف الشركة ومصادرتها لأراضيهم، بين العمال المغاربة وخصوصا الطرابلسية والقبائل للتصدّي للتجاوزات والامتيازات.[81] « فعلى الرغم من غياب إطار تنظيمي إلّا أنّ العمّال اختاروا طريق النضال ضدّ سياسات تعسفيّة مارستها شركة استعمارية. ولكن اتسمت هذه الحركات بانعزالها من ناحية وقصر مدّة استمرارها من ناحية أخرى، كما تنوعت أشكالها وأسبابها.[82]

كما عرف الحوض المنجمي أولى محاولات التنظيم النقابي خلال العشرينيات مع نقابات الكنفدرالية العامة للشغل CGT وجامعة عموم العملة التونسية إثر زيارة محمد على الحامي لقفصة والمتلوي في النصف الثاني من ديسمبر 1924. غير أنّ تجربة جامعة عموم العملة التونسية الأولى مع محمد علي الحامي والثانية مع بلقاسم القناوي قد انتهت في صائفة 1938.[83]

78- Isabelle Berrebi- Hoffman, « **Notre critique, L'autodestruction des élites, Retour sur Mosca et Pareto** », Sociologies pratiques, vol 2, no 21, 2010. Pages 127 à 135. P 127.

79- William Genieys, « **Nouveaux Regards sur les élites du politiques** », Revue française de science politique, vol 56, no 1, 2006. Pages 121 à 147. P 128.

80 - Isabelle Berrebi- Hoffman, Op.cit. P 129.

81 - حفيظ طبابي، « **عمّال مناجم قفصة في العهد الاستعماري**»، الدار التونسية للكتاب، تونس2015. ص 90.

82- أنظر، حفيظ طبابي، عمّال مناجم...،المرجع السابق. ص 90.

83- أنظر: علي المحجوبي، « **الحركة النقابية التونسية الشغيلة بني النضال الاجتماعي والنضال السياسي**»، دار النشر: نظر، أريانة، تونس، 2015.

بعد نسق من التحركات والنضالات غير المؤطرة، وبعد محولات للتنظيم النقابي في سياق استعماري في سياق عارضت فيه الكنفدرالية العامة للشغل العمال من تكوين نقابات مستقلة، جاء الاتحاد الجهوي بقفصة الذي انعقد مؤتمره يوم 16 ماي 1946 وعينت أثناء الهيئة الإدارية الوقتية المتألفة من 13 عضوا (11 موظفا و1محامي و1 فلاح) التي عهدت لها مهمة تنظيم النقابات بجميع المناطق ومن أهما منطقة المناجم.[84]

وبعد زيارة لفرحات حشاد لمنطقة المناجم في 20 جوان 1946 صحبة أحمد التليلي وبعد الجهود الكبرى التي بذلها المناضل الوطني أحمد التليلي الكاتب العام لفرع جامعة الموظفين بقفصة وقابض البريد بالرديف في استدراج عمال المناجم إلى صف الاتحاد العام التونسي للشغل حيث تغلّب على عوائق العروشية والعائلية والأيديولوجية، وهكذا تمّ تأسيس عدّة نقابات خلال شهري جوان وجويلية 1946، من بينها نقابة منجم الرديف في 1946-06-23 ونقابة المتلوي 1946-06-23، ونقابة المنجم بأم العرائس ومنجم المظيلة يوم 06 جويلية 1946.[85]

تجاوزنا أحداثا كثيرة يمكن اعتبارها مهمة في تاريخ الحركة النقابية المنجمية، ولكن يمكن القول أنّ الحركة العمالية قبل التأطير والحركة العمالية زمن التنظيم النقابي قد لعبت أدوارا تاريخية ووطنية في مقاومة التفاوتات الاجتماعية والطبقية وفي مقاومة السلطة الاستعمارية. كما خاضت الحركة النقابية بالمدن المنجمية عدّة تحركات نضالية خلال الفترة البورقيبية وبعدها، فلم تقتصر تحركاتها فقط في المطلبية الاجتماعية للعمّال بل كانت شريكا ومؤطِرا بل ومنظما للحركات الاحتجاجية المنددة بالحرب الصهيونية-الفلسطينية والأمريكية-العراقية، وشاركت في جلّ التحركات الشعبية وكان الملجأ الأخير للحرية زمن الاستبدادية، كما كان الاتحاد المحلي بالرديف فاعلا رئيسيا في انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008 وفي ثورة 17 ديسمبر 14-2010 جانفي 2011.

إنّ الحركة النقابية بالمدن المنجمية ساهمت في ترجيح الكفّة السياسية بالمنطقة وجعلت من نفسها شريكا وفاعلا أساسيا من خلال خلق توازنات محليّة بينها وبين الحزب الدستوري أو التجمع الديمقراطي وقاومت تغوُّل هذا الأخير في كلّ المجالات تقريبا. كما أنّ تمركزها بمقاطع استخراج الفسفاط لعب دورا اقتصاديا واجتماعيا محليّا، فقد أتت بالعديد من المكاسب المادية لعمال الشركة الفسفاطية. فلئن كان الليبراليون يتهمون النقابات على أنّها معطل للتقدم التقني والتحديث الاقتصادي وقد تمّ الاستماع إلى هذه المحاكمات في مناسبات عديدة، إلاّ أنّه في أوقات « التقلبات الاقتصادية» يسعى أرباب العمل إلى تقليص الأجور ويميل العمال إلى الحفاظ على مقدرتهم الشرائية من خلال ساعات عمل إضافية وهذا السبب جعل من الحركة النقابية لها أهدافها الأولية كمقاومة انخفاض الأجور والمطالبة بالزيادة بها وتقليص ساعات العمل، وكان لهذا الموقف أثرا للاستقرار وتقليص الانكماش.[86]

84 - عبد المجيد بلهادي، « الاتحاد العام التونسي للشغل في الجهات. أضواء على الهياكل وقضايا العمال 1946-1957»، منشورات الاتحاد العام التوتسي للشغل، تونس 2020. ص 127.

85 - المرجع السابق. ص 129.

86 - Dominique Andolfatto, Dominique Labbé, « Sociologie des syndicats », La Découverte, 3ème édition, Paris, 2011. P 6.

لكـن للحركـة النقابيـة المنجميـة حدودهـا، فعـلى الرغـم مـن نشـأتها في وقـت مبكـر ورغـم إرثهـا التاريخـي والنضـالي والثقـافي، إلاّ أنّ القيـادات النقابيـة المحليـة خاصّـة في قطـاع المناجـم ظلّـت وفـق تقسـيمات عروشـية لا تأخـذ بعـين الاعتبـار الكفـاءة النقابيـة أو الانتمـاءات السياسـية. فـإذا كانـت هنـاك أربعـة مصـادر للقـوة النقابيـة تتمثـل الأولى في «القـوة البنيويـة» La puissance structurelle والثانيـة «القـوة التنظيميـة» والثالثـة «القـوة أو المـوارد المؤسسـية» Les ressources institutionnelles والرابعـة «القـوة المجتمعيـة» النابعـة مـن «القـدرة الخطابيـة» La capacité discursive[87] وهـي الطريقـة الـتي تديـر بهـا النقابـات التعـاون مـع فاعلـين وتنظيمـات أخـرى.

فالحركـة النقابيـة بالمـدن المنجميـة لديهـا شـكل آخـر مـن أشـكال القـوة النقابيـة ويمكـن أن نطلـق عليـه «تعبئـة المـوارد العروشـية»؛ فتشـكيل النقابـات المنجميـة لهـا ميكانيزماتهـا الخاصّـة: يمكـن إسـتثناء بعـض القائمـات الـتي ترشـحت دون خلفيـة قبليـة وقـد تكـون ذات خلفيـة سياسـية ونقابيـة بحتـة، لكـن الاغلبيـة مـن الفـرق المختلفـة داخـل العـرش الواحـد تختـار ممثلهـا أو ممثليهـا بـكلّ مقطـع، كمـا أنّ الاختيـار لا يكـون عشـوائيا، فعـادة يجـب عـلى المتقـدم للترشـح أن تتوفـر فيـه عـلى الأقـل بعـض المواصفـات النقابيـة مثـل الكاريزمـا والتكويـن النقـابي أو السـياسي أو أن يكـون لديـه رأس مـال اجتماعـي أو علائقـي وثقـافي. وهـذا الشـكل مـن التوافقـات يخضـع للأعـراف منـذ نشـأة النقابـات بالقـرى المنجميـة. فالنقابـة منـذ النشـأة بالحـوض المنجمـي «لا تجـد نفسـها أمـام أفـراد وإنمـا أمـام مجموعـات قبليـة أو عرقيـة متجانسـة إلى حـدّ مـا وأكـثر صلابـة منهـا، لـكي تتوسـع الحركـة النقابيـة وتتحـوّل إلى قـوّة منظمـة، كان عليهـا أن تعـترف ضمنيـا بالتوازنـات القبليـة والعرقيـة الموجـودة وأن تأخذهـا بعـين الاعتبـار سـواءًا في تركيبـة الهيـاكل النقابيـة أومـن أجـل مراعـاة مصالـح المجموعـات عنـد الانتـداب أو توزيـع الإعانـات».[88]

ومـن هـذا المنظـور يمكـن القـول بـأنّ التاريـخ ليـس مـا مـضى بـل مـا بقـي فينـا بعـد كلّ مـا مـضى.[89] فالحركة النقابيـة الـتي حققـت نجاحـات اقتصاديـة واجتماعيـة وسـاهمت في القضايـا الوطنيـة لـم تفلـح تقريبـا في تفكيـك البـنى القبليـة والعرقيـة والتغيـير مـن ملامـح المجتمـع ولـم تتمكـن مـن أن تكـون النسـخة الجديـدة لهيـاكل التأطـير والتضامـن القديمـة. فاختيـار وانتخـاب النقابيـين بشركـة الفسـفاط هـو بالأحـرى اختيـار نـواب العـروش وليـس نـواب كلّ العمـال، (رغـم أنّ أغلـب النقابيـين بالمنجـم يدافعـون عـلى كلّ العمـال مهمـا كانـت فرقتـه) وهـذا السـلوك الانتخـابي ليـس سـلبيا أو «تخلّفـا» كمـا يصفـه العديـد، بـل إنّ التوافقـات قبـل صنـدوق الانتخـاب هـو أرقى أشـكال الديمقراطيـة.

لكـنّ هنـاك مسـألة وجـب عـدم التغافـل عنهـا، وهـي طريقـة تنـاول المسـألة القبليـة. فهنـاك مـن يتقـدم للترشـح باسـم العـرش ولكنّـه حامـل لمـشروع تغيـيري، معتـبرا أنّ التغيـير هـو داخـلي وليـس خارجـي وأنّـه بطـيء وعميـق وليـس سريعـا، فالترشـح باسـم القبيلـة ليسـت إلاّ محطـة للدخـول إلى اكتسـاب الشرعيـة

87 - Baptiste GIRAUD, Karl YON, Sophie BEROUD, « **Sociologie politique du syndicalisme** », ouvrage sous la direction d'Anne- Marie et Olivier Martin, Edition Armand Colin, Paris, 2018. P 47-48.

88 - حفيظ طبابي، عمال مناجم...، سبق ذكره. ص 350.

89 - عدنان المنصر، سبق ذكره. ص 21.

النقابية ومن ثمّ يبدأ التغيير والصراع الداخلي والدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وإرساء ثقافة بديلة للثقافة السائدة. ورغم محاولات البعض إلاّ أنّها لم تنجح في تغيير الأفكار السائدة ولكنّها نجحت في تحقيق بعض المطالب الاجتماعية والمهنية.

أمّا الطريقة الثانية لتناول المسألة القبلية فهي أنّ عديد النخب النقابية بالشركة الفسفاطية تقدّم نفسها فقط كنواب للعرش، وتثير خطابات (دائما ما تكون بين النقابي وعرشه فقط) جوهرها مصلحة القبيلة في المنح والمساعدات الاجتماعية والساعات الإضافية والارتقاء في السلّم المهني وتوفير فرص أكثر لأبناء العشيرة أثناء الانتداب بالشركات المنجمية. لكنّ الحركة النقابية ترفض الاستناد إلى المعطى القبلي علنا. وهذه الخطابات والممارسات المنكمشة قبليًا، والتي ليست لها أهداف ورؤية شاملة وعميقة للتغيير متجاهلة القضايا البيئية والصحية والبنية التحتية وطرح حلول تنموية بديلة لا يمكنها أن تكون حركة نقابية أو اجتماعية أو مجموعات ضغط تنتج التحول النوعي بالمجتمع المحلّي.

فهي، أوّلا، تدعو بصفة مباشرة أو غير مباشرة إلى الانقسام وليس للوحدة داخل الشركة الواحدة، ثمّ تفتح الباب لممارسة السلوك الزبائني بين العامل والنقابي، ليدافع هذا الأخير في بعض الأحيان على أحد أو البعض من أبناء قبيلته للمشاركة في الدورات التكوينية الهادفة للارتقاء في السلم المهني في وقت قد يكون فيه أحد العاملين من عشيرة أخرى له الاستحقاق ولكنّه لم يرتقي مهنيًا بسبب الزبائنية والعروشية. وهذه ممارسة نجد شبيهها في العديد من المصالح الشخصية الأخرى. كما أن هذا السلوك يساهم في استمرارية النزاعات القبلية (نزاع انتخابي وتمثيلي وليس عنيفا) وتنامي النزعة الزبائنية.

كما كانت النقابات المحلية المنجمية والجهوية بقفصة أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008، فبعد اكتسابها (النقابة) لقوّة تنظيمية وديموغرافية من حيث عدد المنخرطين، عملت السلطة السياسية على احتوائها حتى لا تكون مصدر قلق لهم وأوكلت للقيادة الجهوية زمن الرئيس زين العابدين بن علي مهمة «رجال الإطفاء» أثناء الاضطراب الاجتماعي.

وهكذا أعادت هذه المعطيات الصراعات حول مسألة استقلالية الاتحاد والصراع بين النقابات الصفراء والنقابات الحمراء وطالب العديد من النقابيين بالرديف بضرورة استقلالية الاتحاد. كما كانت النقابات المنجمية شريكا أساسيا في عمليات الانتداب بشركة الفسفاط لتستعمل نفوذها وقربانها للسلطة السياسية وتقترح أبناءها ثمّ أقربهم دمويا وعرقيا وآخرون لتبادل بعض المصالح وآخرون عن طريق الارتشاء للانتداب والدخول في الشركات المنجمية.

كما أنّ صندوق إعادة وتنمية المراكز المنجمية (منذ نشأته إلى ما قبل سنة 2011) لا يخلو من المحسوبية والزبونية حيث توزعت أغلب المشاريع على غير القرى المنجمية، فقد تدخل الاتحاد الجهوي للشغل بقفصة باتفاقية وديّة مع شركة الفسفاط بغاية اختيار الأشخاص المعنيين بالتوظيف والاستفادة من هذا الصندوق، كما تمّ الاتفاق على تعويض 20 % من المتقاعدين بسنّ مبكرّة من

شركة الفسفاط بعمال آخرين يكون اختيارهم حسب الأولويات الاجتماعية وأبناء العمال الذين توفوا داخل مقاطع العمل، أو أبناء العمال الذين طالتهم إعاقة جرّاء حادث شغل.

ومن المفارقة أنّ هذه الاتفاقيات أصبحت في قبضة أقلية منتمية للمركزية النقابية والجهوية للاتحاد، وهذا ما يفسّر أنّ الكاتب الجهوي للاتحاد الشغل أنتُخب نائبا بالبرلمان تحت راية التجمع الدستوري الديمقراطي وفي نفس الوقت كان يرأس شركات التعاقد مع شركة الفسفاط Patron de sociétés sous-traitantes de la CPG[90] أو ما يمكن أن نطلق عليه برئيس المناولي. فقد لجأت سڑكة فسفاط قفصة إلى المناولة في عملية الإنتاج وفي تحقيق عديد الخدمات (نقل وشحن الفسفاط، أشغال متعلّقة بأحواض تخزين المياه الطينية، أشغال مدنيّة كالتشجير...) «وقد مثّلت المناولة أكثر من 20% من مصاريف التكلفة على طن الفسفاط المباع، وقد نتج عن هاته المناولة انتشار أنماط التشغيل الهشّة مع ضعف الأجور بالمقابل فتستفيد شركات المناولة من مرابيح طائلة. وغالبا ما يقع بعث هاته الشركات من طرف مستفيدين يقع اختيارهم باعتماد منطق زبائني وباعتبار درجة ولائهم للسلطة الحاكمة أو انتمائهم القبلي أو الحزبي أو الفئوي.[91] »

فالمركزية الجهوية بقفصة منذ التسعينيات تقريبا والتي تُنتخب من قبل الكتاب العامين للاتحادات المحلية والكتاب العامين للنقابات الأساسية وأعضاء المكتب التنفيذي الجهوي (أو من يفوضهم) قد ساهمت في تعزيز السلوك الزبائني وكانت حليفا استراتيجيا للسلطة السياسية، فقد قبلت بأنماط التشغيل الهشّة بل وصارت بقبضتها كما كانت الفاعل الرئيسي والأوّل في إطفاء لهيب نار الاحتجاجات، حيث جمّدت نشاط بعض النقابيين بالرديف وهم زعماء انتفاضة الحوض المنجمي 2008.

إنّ الحركة النقابية المنجمية التي خاضت أشواطا نضالية تاريخية، تمّ تشويهها من قبل بعض النخب والقيادات المحليّة الذين مارسوا سلوكيات مخالفة للقيم النقابية، كما أنّ مسألة الولاء والقبيلة لا تزال مستمرة حتى بعد سنة 2011، وذلك على الرغم من تقلّص قوّة الحركة النقابية المنجمية كما كانت عليه في السابق، فعلى سبيل المثال تمكنت نقابات التعليم الثانوي والابتدائي من الفوز بانتخابات المكتب المحلّي بالرديف سنة 2018 وتولت القيادة المحليّة وذلك بعد بروز فاعلين جدد يتمثلون في نقابي شركة البيئة والغراسة وبالتالي نتج عن ذلك تغيّر قطاعي على رأس المكتب المحلي وهذا ما يفسّر تراجع الحركة النقابية المنجمية ولكن مع استمرارية حضور الحميميات القرابية والعروشية.

عموما لا يمكننا أن نعمّم هذه الممارسات ف العديد من النقابيين في الحوض المنجمي وفي قطاعات مختلفة تمسّكوا بالقيم النقابية التي نادى بها محمد علي الحامي وفرحات حشّاد إلى يومنا هذا، وقد كانوا في طليعة الحركات والمبادرات التي تدافع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية. لكن بحكم التركيبة الاجتماعية المنجمية كانت الغلبة لمفاهيم القبلية في الممارسة النقابية التي تنتج الولاء

90- Amine Allal, op.cit. P 118

91 - عبد الجليل البدوي، التشغيل والتنمية...، سبق ذكره. ص 88-87.

والزبونية وبالتالي الفساد والمحسوبية. فأصبحت هذه المعطيات عائقا أمام التقدم التنموي بالحوض المنجمي. فالحركات الاجتماعية المؤطَّرة والمنظمة والموحدة والحاملة للهوية ولأهداف ولمشروع وأفكار ورؤية تطورية ليست طوباوية متجاهلة مفاهيم الولاء والقبيلة متمسكّة بنموذج التغييرات الجذرية التطورية وحدها التي تنتج تحولات نوعية وتطورية تنموية.

● النخب السياسية

توجد العديد من الأحزاب السياسية التاريخية بالقرى المنجمية التي كافحت ضدّ النزعة الاستبدادية وكانت رفيقا للحركات الاحتجاجية حاملة تصورات وتطلعات وخيارات تنموية وثقافية وسياسية بديلة، (على الرغم من نقدها فكريا) خاصّة الأحزاب اليسارية الشيوعية-الماركسية والاشتراكية والقومية. فقد لعبت أدوارا في التحركات النقابية التي أتت بمكاسب اجتماعية واقتصادية، وشاركت في الحركات الاجتماعية المنددة بالعدوان الأمريكي والصهيوني على الأوطان العربية، وانخرطت وساهمت في تأطير انتفاضة 2008 وقدّمت هذه الأحزاب العديد من السجناء منهم الموظفين والشباب الطلاب المنخرطين في الاتحاد العام لطلبة تونس.

لكن في سياق الفسيفساء العرقية بالقرى المنجمية، استطاعت العديد من النخب السياسية الأخرى خاصّة تلك المنخرطة والتابعة للشعب الدستورية والمكاتب المحليّة للتجمع الدستوري الديمقراطي زمن الدولة التسلطية من «اللعب» على التمثّلات الجمعية للجماعات السكانية. فعند اقتراب المحطات الانتخابية البلدية والبرلمانية تسارع هذه النخب قبل سنة 2011 ونخب أخرى تابعة لأحزاب أخرى أو بشكل مستقل بعد سنة 2011 إلى اعتناق الخطاب القبلي وتجميع العشيرة بغاية الحصول على أصوات انتخابية ويكون الخطاب تنويريا في الساحات العامة لكنّه قبليا في الفضاءات المغلقة ليتم إعلاء صوت القبيلة فوق صوت الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتنموية بغاية الفوز بالهيئات البرلمانية أو المجالس البلدية أو مجالس التصرف.

ولكنّها تظلّ خطابات مؤقتة مرتبطة بالمحطات الانتخابية وتختفي بعدها. وهكذا يمكننا أن نميّز بين القبليّة كولاء Tribalisme وبين النزعة القبليّة Tribalisation، «فالقبليّة تمثل تجسيدا لا واعيًا للقبيلة، سرعان ما يتحوّل إلى نزعة تهدف إلى إعلاء الانتماء القبلي، وجعل هوية المجتمع المحلي تغلب على الهويات الأخرى، ذلك بأنّ النزعة القبليّة هي توجه مقصود، يهدف إلى مأسسة اشتغال البناء القبلي في المجتمع، انطلاقا من سلسلة إجراءات تهدف إلى تغليب الولاء للبنية القبليّة وهويتها الثقافية والاجتماعية على الولاءات الأخرى».[92] إنّ الحوض المنجمي يعيش على واقع توظيف البنى القبلية، ولا يعيش على واقع القبليّة كولاء.

92 - محمد نجيب بوطالب، « **الظواهر القبليّة والجهوية في المجتمع العربي المعاصر. دراسة مقارنة للثورتني التونسية والليبية**»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2012. ص 41.

فالنخب السياسية المحليّة هي التي تطفئ وتثير مسألة العروشية، وتنتشر النزعة القبليّة عادة في الفترات التي يتأزم فيها وجود القبيلة «لذلك يلاحظ اشتغالها كبنية اجتماعية، ولا سيّما حينما تحاصَر تلك البنى، ويصبح وجودها غير مرغوب فيه بوصفها علامة من علامات الماضي. ويزيد في عملية تأجيجها عدم قدرة المجتمع المدني البديل على تحقيق اندماج جميع المواطنين وكلّ الجهات في المشروع الجديد.»[93]

إنّ انسياق النخب السياسية واستدراج الأصوات الانتخابية عن طريق حشد الموارد العروشية وغياب الرؤية والتصورات الفكرية السياسية والتنموية البديلة ييسّر تخلّف الحوض المنجمي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. فهذه النخب السياسية التي حكمتها ثنائية الولاء والعروشية لا يمكنها خلق حلول تنموية بل تكون الجدار الفاصل بين التنمية وفرص تحقيقها. كما أنّ الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت بالقرى المنجمية خاصّة بعد سنة 2011 سرّعت من انتشار النزعة الزبائنية، ذلك أنّ العديد من النخب السياسية المحليّة خاصّة تلك التي قدّمت ترشحها للهيئات البرلمانية استطاعت برومانسية كلامها والبعض الآخر بتاريخ نضالها أن تكسب أصواتا وخزّانا انتخابيا ونجحوا في الوصول إلى الهيئات البرلمانية بعد أن قدموا وعودا بالتشغيل للفقراء والمهمشين تحكمها ثنائية الصوت/ التوظيف. «أي أنك تنتخبني لتتحصل على وظيفة». وهذه الممارسات تتحرك وفق ثالوث المعرّب باعتباره مسبّغاً للمعروف، والزليم من حيث هو طالب المعروف، والوسيط ناقلا للسلعة أو الخدمة.[94]

لكن أحيانا يكون الفرد السياسي «رافضا لأشكال الزبونية والمحسوبية، ولكنّه بمجرد أن يكلّف بمسؤولية كبيرة أو صغيرة، حتى تتدافع في الآن نفسه مختلف الهياكل الاجتماعية التقليدية وفي مقدمتها الأسرة والعرش، ليقبل إقناعا أو إكراها، بأن يعيّن عددا من أبنائهما في مختلف مواقع الوظيفة.»[94] ولكن المفارقة تكمن في أنّه حينما يثور الفقير فإنّه يكنس كلّ ما يعترض طريقه.

استنتاجات

إنّ ثنائية العروشية والزبونية ليست خاصيّة بالمدن المنجمية، وليست سلوكيات فطرية، بل تاريخية بالأساس. «فكل ما يتشكل عبر التاريخ يتفكك عبر التاريخ. ويمكن اعتبار إحدى علامات بدايات التحول والتفكك ومؤشراتها، تلك اللحظة التي يدخل فيها التاريخ بكل ثقله واستمراريته واستراساله، في توترات ظاهرة وخفية مع راهن المجتمع وحاضره ومتغيره ».[95] فالزبونية التي يمكن أن نعرفها على أنّها «جمهورية تبادل الغنيمة مقابل الولاء أيّا كانت هويته. وهي كذلك علاقة تباديّة تبني على مبدأي اللامساواة واللاتكافؤ. وهي ظاهرة قديمة ميّزت المجتمعات

93 - المرجع السابق. ص 42.

94 - المنصف ونّاس، « **الشخصية التونسية. محاولة في فهم الشّخصية العربية**»، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الثالثة، 2014. ص 162.

95 - الحبيب استايتي زين الدين، « **الحركات الاحتجاجية في المغرب ودينامية التغيير ضمن الاستمرارية**»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2019. ص 44.

الإقطاعية عامّة والمجتمعات العربية خاصّة»[96]. فهي ظاهرة منذ الدولة الحسينية تقريبا وزادت من عمقها دولة الاستقلال التي كانت تختار إطاراتها السياسية وفقا لمبدأ الزبونية والولاء والمناطقية والعائلية. فدولة الاستقلال التي نددت بالظاهرة القبليّة والولائية وحاولت تفكيكها من خلال الخطابات السياسية ونشر الأيديولوجية التحديثية مارستها بأشكال غير علنية أو غير مباشرة أو مباشرة. «فالوزير قد يعمد في كل مرة يتعرّض فيها إلى الإبعاد إلى التعويل على الخدمة المقدّمة للزعيم (بورقيبة) وتعمد اختيار السلعة الرمزية المناسبة مهما اختلفت الأشكال التي تجلت فيها، بشكل يذكرنا بصورة الفلاّح المراكشي الحامل في الصندوق الخلفي لدراجته النارية دجاجة كان تخيّرها من قنّ دجاجة ليحملها كهدية للموظّف المكلّف بتوزيع القروض الفلاحية، أو القائم على توزيع دورات مياه الريّ داخل الجمعية المائية»[96].

على سبيل المثال فإنّ «قبيلة الهمامة» هي المسيطرة على جهة قفصة خلال فترة الاحتلال وقبلها وهي إحدى أكبر قبائل الإيالة عددا وأشدّها بأسا والمنتميّة للصف الحسيني، وقد شكّلت عبر التاريخ مخزونا بشريّا تعتمد عليه سلطة البايات عند الضرورة باعتبارها قبيلة مخزنيّة. «وعندما زحفت الجيوش الفرنسية للبلاد التونسية ومع تخاذل الباي، انقلبت هذه القبيلة ضد سلطة العائلة الحسينية وأنظّمت إلى المقاومة»[97].

ولكن بعد حصول تونس على الاستقلال وجدت هذه المجموعات نفسها على هامش المؤسسات الاجتماعية مقصيّة من الحياة السياسية والمشاركة في قرارات السلطة السياسية وهذا ما ولّد شعورا بالضيم والحرمان وساهم في بروز الحميميات من وقت لآخر خاصّة في أوقات الأزمات وفي ديناميكية الاحتجاجات. وهكذا فإنّ السلطة قد ساهمت في استمرارية المعطيات والنزاعات المناطقية والجهوية.

على الرغم من استمرار بعض مرتكزات بنية العروشية بالحوض المنجمي، من خلال استمرار الأعراف في توزيع المهام النقابية عبر مفعول العروشية، أو في المجالس البلدية، أو النوادي الرياضية واستمرار ظاهرة أراضي العروش، إلاّ أنّ ذلك لا يمثّل تهديدا لبنية المجتمع الجديدة التي تميّزت بالاندماج بين المجموعات السكانية ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، فوجود القبيلة في تونس قد تعرّض لعملية تفكيك حقيقي، قضى على مرتكزاتها المادية والسياسية والعسكرية.[98] ولكن الإقصاء والتهميش الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وانتشار الحرمان والاختلالات التنموية بين الجهات يؤسس لضعف الاندماج لدى المجموعات السكانية مما ينتج عنه بعض حالات النزاع بين قبائل متجاورة ومتعايشة في بعض الأحيان.

96 - حافظ عبد الرحيم، سبق ذكره، ص 31.

97- محمد الحمّاص، « الاستعمار الفرنسي وقبائل الوسط والجنوب بالبلاد التونسية 1950-1881. جلاص، الهمامّة، الفراشيش، أولاد سعيد، ورغمّة (الودارنة)، المهاذبة»، مركز النشر الجامعي، منوبة، الطبعة الرابعة، 2014. ص 76.

98 - محمد نجيب بوطالب. سبق ذكره. ص 111.

إنّ أطروحة الحرمان والتهميش من قبل السلطة السياسية وحدها غير كافية للتفسير، فعجز النخب المحلية السياسية والنقابية في تغيير الذهنية واستمرار التشغيل بالشركات المنجمية عن طريق نظام المحاصصة القبليّة أو التشغيل بشركات البيئة والغراسة واكتساب قطعة أرض فلاحية عن طريق الولاء والزبونية من قبل بعض الفاعلين السياسيين أو النقابيين المحليين، وارتكاز هذين الأخيرين على البنية القبليّة أيام الحملات الانتخابية ساهم في التخلّف التنموي بالحوض المنجمي وشكّل عائقا أمام التقدم الاقتصادي والاجتماعي بالجهة. بل أنّ سياسة السلطات السياسية واستراتيجيات النخب المحليّة يفسّر عودة السياق القبلي بشراسة بعد الثورة على الساحة الاجتماعية المنجمية « من خلال تلك الأحداث التي فاجأت جميع التونسيين، وهي أحداث العنف بالمتلوي يوم 04 جوان 2011 وذلك بعد خروج إشاعة مفادها أنّ شركة فسفاط قفصة ستنتدب عددا هاما من قبيلة ما على حساب قبيلة أخرى، لتثير هذه الإشاعة حالة من الفوضى أسفرت عن 12 قتيلا و150 جريحا علاوة على تضرر المحلات التجارية بين نهب وحرق. »

ان هذه العوائق السوسيولوجية للتنمية بمدن الحوض المنجمي ليست وحدها التي حولت وضع المنطقة الى خراب وتهميش وفقر، بل ان التلوث الكبير الذي افرزه إستغلال الفسفاط وعلى جميع الاصعدة البيئية والبشرية والجمالية، قد عمق جراح منطقة الحوض المنجمي، وجعل العيش بها نضالا يوميا لا يختلف عن النضال من اجل التحرر والانعتاق.

لذلك فان نجاح اي عملية تنموية بالجهة عبر إستغلال واستعمال الإمكانات الطبيعية وغير الطبيعية المتوفرة بالجهة، والتي تم استعراضها بإطناب سابقا في هذا الكتاب، يبقى مرتبطا ببرنامج جدي وعملي لإزالة التلوث بمنطقة الحوض المنجمي في إطار المصالحة البيئية والاجتماعية بين شركة فسفاط قفصة وسكان المنطقة، وبالتالي تتمكن الشركة من استعادة حاضنتها الاجتماعية التي فقدتها عبر الزمن.

المحور الرابع

ازالة التلوث بمنطقة الحوض المنجمي

ازالة التلوث بمنطقة الحوض المنجمي

1- مقدمة:

حول التلوث الناجم عن نشاط شركة فسفاط قفصة منذ أكثر من 130 عاما، المنطقة الى فضاء بيئي منكوب، عبر الاضرار الكبير بمكونات المحيط والبيئة بكل جوانبها من ماء وهواء ومناظر جمالية عامة وجبال وهضاب. اضافة الى تراكم كميات ضخمة من النفايات والشوائب وفضلات المغاسل على مساحات شاسعة من مدن الحوض المنجمي. لقد شكل التلوث بمرور الزمن الى عائق اساسي للتنمية.

فتصريف أكثر من 12 مليون متر مكعب من المياه الطينية سنويا بمجاري الاودية قد أضر بشكل تدريجي بالموارد المائية بالجهة، اضافة الى تشويه شبه كلي للمساحات التي يمر بها على طول يتجاوز 140 كلم من الرديف جنوبا الى شط الغرسة غربا مرورا بأم العرائس وتبديت والثالجة والقويفلة، لتستقر هذه المياه بشط الغرسة.

كما تم تغيير طبوغرافية الحوض المنجمي، بسبب إستغلال وتحويل جبال بكاملها من مواقعها، وتكديسها بمواقع اخرى وتحولها الى مصادر للغبار والتلوث الهوائي.

اضافة الى كمية النفايات الاخرى التي يفرزها نشاط شركة فسفاط قفصة، والتي تم استعراضها بالمحاور السابقة بهذا الكتاب.

فهل محكوم على منطقة الحوض المنجمي ان تبقى تحت وطأة هذا التلوث؟ ام ان شركة فسفاط قفصة مطالبة وبشكل جدي بإعداد وتنفيذ برنامج متكامل لإزالة التلوث الناجم عن نشاطها في إطار تصالحها الفعلي مع محيطها الطبيعي والبشري؟

2- برنامج تفصيلي لإزالة التلوث:

من خلال نوعية التلوث واهميته، يمكننا تقسيم برنامج ازالة التلوث الناجم عن شركة فسفاط قفصة الى ثلاث اقسام:

- قسم يتعلق بالمياه الطينية الملوثة
- قسم متعلق بالنفايات الناجمة عن نشاط الشركة والتي يمكن رسكلتها وتثمينها
- قسم متعلق بالشوائب ومواقع الإستغلال السطحية
- قسم متعلق بمواقع الإستغلال الباطنية (الدواميس والمغاور)

2-1- ازالة التلوث المائي

يمثل التلوث المائي أحد اهم انواع التلوث الناجم عن نشاط شركة فسفاط قفصة. وتفرز مغاسل الفسفاط (11 مغسلة بالحوض المنجمي) حوالي 12 مليون متر مكعب من المياه الطينية الملوثة سنويا. ويقع تصريف هذه المياه الملوثة في مجاري الاودية لتستقر في النهاية بشط الغرسة من ولاية توزر.

لقد سبق لشركة فسفاط قفصة الانطلاق في انجاز مشروع الاحواض الطينية، وذلك منذ 2005، وكان الهدف من هذه الاحواض الطينية ايقاف تصريف المياه الملوثة في المحيط الطبيعي والعمل على رسكلة أكبر كمية ممكنة منها لإعادة استعمالها في غسل الفسفاط.

لقد تم انجاز الحوض الطيني بالمظيلة كتجربة اثبتت نجاحها منذ 2006، ولقد مكنت هذه التجربة من اعادة رسكلة كمية هامة من المياه وصلت الى حدود 30ل/ث. مما جعل شركة فسفاط قفصة تتخلى عن إستغلال بئر عميقة كانت تزود مغلسة صهيب.

كما انطلقت الشركة في انجاز احواض طينية بكل من ام العرائس والرديف وكاف الدور المركزي والمتلوي (منطقة السبسب). الا انه وبعد 14 جانفي2011، وامام تعطل شبه كلي ولسنوات متواصلة لنشاط استخراج الفسفاط، فان الشركة لم يكن بوسعها تقنيا وماليا المواصلة في انجاز هذا المشروع.

لذلك نقترح مستقبلا مواصلة انجاز خطة المشروع والتي تتكون من:

- انجاز الحوض الطيني بالرديف وربطه بالمغسلة عبر قنوات بطول لا يقل عن 12 كلم
- تهيئة الحوض الطيني بأم العرائس الذي كان من المفترض دخوله طور الإستغلال سنة 2010
- اعادة انجاز وتهيئة الحوض الطيني بكاف الدور وازالة العوائق الفنية المتعلقة بضخ الماء
- اكمال انجاز الحوض الطيني بمنطقة السبسب بالمتلوي، والذي يعد الاكبر من حيث المساحة حيث تبلغ حوالي 900هك
- مواصلة إستغلال الحوض الطيني 2 بالمظيلة بعدما تم إستغلال الحوض الطيني الاول

وفق التقديرات الاولية، فان إستغلال هذه الاحواض الطينية سيمكن شركة فسفاط قفصة من اعادة استعمال حوالي 6 مليون متر مكعب من المياه، اي حوالي 40 بالمائة من كمية المياه المستغلة حاليا من الموائد الجوفية.
وبالتالي توفير كلفة ملايين من الامتار المكعبة من المياه، والتي ستنعكس ايجابا على الكلفة النهائية للفسفاط التجاري، مما يجعل الشركة أكثر تنافسية في الاسواق العالمية.

كما يمكن تقدير كلفة هذا المشروع بحوالي 25 مليون دينار، مع العلم ان شركة فسفاط قفصة لها الإمكانات اللوجستية والتقنية لإنجازه بإمكاناتها الذاتية.

كما يتطلب انجاز هذا المشروع بكل مكوناته ثلاث سنوات، اي انه بعد ثلاث سنوات يمكننا القول ان شركة فسفاط قفصة ستتمكن من اعادة استعمال 6 مليون متر مكعب من المياه، وايقاف تصريف هذه المياه في المحيط الطبيعي، وما يعنيه ذلك من امكانية تجدد العناصر الطبيعية واعادة الحياة للعديد من الانظمة البيئية بالمنطقة. كما سيمثل هذا المشروع التخلي التدريجي عن استعمال مياه الموائد الجوفية لغسل الفسفاط، واستعمالها في مجالات الفلاحة والماء الصالح للشرب ومجالات تنموية اخرى بالمنطقة.

بالتوازي مع انجاز هذا المشروع المتعلق بإعادة استعمال المياه الطينية، فانه وجب التفكير الجدي في:

- نقل مغاسل الفسفاط الاربعة بالمتلوي الى خارج مناطق العمران، او تعويضها بمغسلة ام الخشب التي هي في طور الدراسات المتقدمة لإنجازها.
- نقل مغسلتي ام العرائس الموجودتان بقلب المدينة الى موقع آخر، إما على الطريق الرابطة بين المتلوي وام العرائس، او قرب وادي ام العرائس اين يوجد الحوض الطيني
- نقل مغسلة المظيلة المدينة التي بدا السكان يحيطون بها من كل الجهات الى موقع قريب من مصنع المجمع لكيميائي التونسي.

2-2- النفايات القابلة للرسكلة والتثمين

يفرز نشاط شركة فسفاط قفصة العديد من النفايات الصلبة القابلة للرسكلة والتثمين. ويمكن تلخيص اهم هذه المواد كما ونوعا كما يلي:

الابسطة الناقلة المطاطية: وهي نفايات صلبة من المطاط تفرز من خلال استبدال الابسطة الناقلة للفسفاط بكامل مواقع الإستغلال والمغاسل ومواقع شحن الفسفاط الخام والتجاري. وتمتلك شركة فسفاط قفصة اطول بساط ناقل في البلاد بحوالي 1500كلم من الابسطة الناقلة. يقع تغيير دوري سنوي لحوالي ثلث طول هذه الابسطة الناقلة. مما يعني ان الشركة تفرز سنويا حوالي 3150 طن من الابسطة المطاطية القابلة للرسكلة. كما ان كمية الابسطة الناقلة المخزنة في مستودعات الشركة وفضاءاتها المفتوحة تقدر بحوالي 15 ألف طن. دون احتساب الكميات التي لم تعد قابلة للاستعمال لتآكلها بعامل الرطوبة والاهمال.

العجلات المطاطية: تستعمل شركة فسفاط قفصة معدات وتجهيزات من النوع الثقيل سواء للإستغلال او الشحن او النقل. وتكون هذه المعدات غالبا مجرورة عبر عجلات مطاطية. وتفرز الشركة انواع متعددة من العجلات المطاطية المستعملة بمعداتها والتي تصل اوزان بعضها الى 3.5 طن

للعجلة الواحدة. ويمكن تقييم كمية العجلات المطاطية المفرزة سنويا من طرف شركة فسفاط قفصة بحوالي 750 طن.

انطلاقا مما سبق ذكره، يمكن القول ان الشركة تنتج سنويا ما بين 4000 و4500 طن

من النفايات المطاطية متعددة الأنواع والمصادر. هذه النفايات التي تتميز بأحجامها الكبيرة قابلة لان تتحول الى وقود مستعمل من طرف شركات الاسمنت خاصة. وسنتطرق بالتفصيل لهذا الموضوع في المرحلة القادمة من هذه الدراسة.

وبالتالي فان شركة فسفاط قفصة مطالبة بالتقليص من هذه النفايات ذات الاحجام الكبيرة من خلال مساعدة باعثين على اعادة استعمال ورسكلة هذه النفايات لإعادة استعمالها بمصانع الاسمنت مثلما هو معمول به في جل البلدان.

نفايات الاخشاب: نفايات الاخشاب هي نفايات ترجع الى مرحلة الإستغلال الباطني للفسفاط عبر الدواميس. وكانت هذه الاخشاب تستعمل كأوتاد لتثبيت الدواميس ومنعها من السقوط اثناء استخراج الفسفاط. وبعد التخلي عن هذه الطريقة في الإستغلال وغلق كل المناجم الباطنية، تم تجميع اكوام ضخمة من الاعمدة الخشبية المستعملة وغير المستعملة في مستودعات الشركة وفضاءاتها المكشوفة. ونظرا لما اصبحت تمثله هذه الاكوام من خطر على سلامة المواقع الموجودة بها، اضافة الى تكاثر الزواحف بها، فانه بات من الاجدر على شركة فسفاط قفصة تسليم هذه الاعمدة الخشبية والتي تعد بالمئات، ان لم نقل بالآلاف الى متخصصين في الخشب والنجارة لإعادة استعمالها وتثمينها وخلق ثروة من ورائها.

نفايات الحديد والخردة: تمثل نفايات الخردة والنفايات الحديدية أحد اهم النفايات الصلبة التي تفرزها شركة فسفاط قفصة من خلال نشاطها بجميع مراحله. وتتكون هذه النفايات من الاعمدة الحديدية وبقايا السكك الحديدية التي توجد داخل مواقع الانتاج والشحن. كما تتكون من بقايا المعدات التي لم تعد صالحة للاستعمال من شاحنات وجرارات وتراكسات وسيارات وعربات مجرورة مختلفة الاحجام والاستعمالات. كما تعتبر بقايا الابسطة الناقلة المتكونة اساسا من اعمدة حديدية مختلفة الاحجام والطول من اهم النفايات الحديدية من حيث الكمية والجودة في اعادة استعمالها او تثمينها. وتقدر الكميات من الحديد والخردة المنتشرة منذ سنوات بشكل عشوائي بمناطق الانتاج بالحوض المنجمي بحوالي 40 ألف طن.

هذا منجم من الحديد وجب على شركة فسفاط قفصة تجميعها واستعمال الآلات الضاغطة لتقليص حجمها ونقلها الى مواقع يمكن اعادة استعمالها في افران لإعادة انتاج مواد حديدية قابلة للاستعمال من جديد. كما ان هذه الخطوة ستمكن الشركة من تنظيف العديد من المواقع وجعلها قابلة للإستغلال في مجالات أكثر جدوى وفاعلية لكونها حاليا مجرد مقابر للنفايات الحديدية وغيرها.

3-2- الشوائب ومواقع المقاطع السطحية

الإستغلال السطحي للفسفاط عبر مقاطع مكشوفة، حتم تحويل كميات كبيرة من الحجارة من مواقعها، لتسهيل استخراج طبقات الفسفاط. ولقد كان من نتائج هذه الطريقة في الإستغلال انتاج حوالي 100 مليون طن من الشوائب (Stériles)، التي يقع تكويمها قرب مواقع الانتاج في شكل جبال جديدة تعوض منظر الجبال الطبيعية التي تم مسحها من طبوغرافيا المكان.

وامام اتساع رقعة الإستغلال بكل المواقع الثمانية المنتشرة بمدن الحوض المنجمي، اصبحت هذه الاكوام والجبال من الشوائب تمثل مصدرا لتصاعد الغبار وشكل من اشكال تشويه تناسق المناظر الجمالية العامة بالمناطق المستغلة. كما تسببت هذه الشوائب وطريقة الإستغلال بشكل عام في تغيير جذري ولا عودة له للطبوغرافيا الطبيعية، مما سيكون له تداعيات كبيرة في المستقبل على مكونات المحيط الطبيعي والبشري.

لذلك فان شركة فسفاط قفصة مطالبة في السنوات القادمة بوضع برنامج محكم وفعلي لإعادة ادماج مناطق الإستغلال في محيطها الطبيعي من خلال:

- برنامج تشجير ضخم لكل الاكوام وجبال الشوائب المنتشرة بمناطق الإستغلال
- اعادة تهيئة مواقع الإستغلال عبر ردمها من جديد بكميات الشوائب الناجمة عن نشاط المغاسل
- تشجير مواقع الإستغلال بعد ردمها وتهيئتها

إذا عدنا لسنوات 2006 / 2009، فإنه يمكن القول ان شركة فسفاط قفصة قد شرعت في تطبيق برنامج تشجير طموح، في إطار مشروع الشركة للحصول على شهادة « ايزو14001 « البيئية. فكان ان قامت الشركة بغراسة حوالي 60 ألف شجرة بالعديد من مواقع الشوائب بحي الطرابلسية بالمتلوي وبمنطقة كاف الشفاير ومداخل مغاسل الفسفاط بالمتلوي. وكانت نسبة نجاح التشجير قد تجاوزت 70 بالمائة رغم صعوبة التركيبة البيدولوجية لأكوام الشوائب وقلة مياه الري.

يمكن انجاز برنامج متكامل لتشجير مواقع الشوائب وفضلات المغاسل المنتشرة على احزمة الاحياء السكنية مثل حي الطرابلسية بالمتلوي، والاحياء السكنية المتاخمة لمغسلتي ام العرائس ومناطق العرق الاصفر بالرديف.
لتنفيذ هدا البرنامج، وجب القيام بما يلي:

- تفعيل نشاط الاعوان المحسوبين على شركات الغراسة والبيئة الذين ليس لهم اي نشاط سوى الحصول على اجور في آخر الشهر. من خلال انجاز منابت للأشجار الغابية والاشجار المثمرة التي تتطابق مع طبيعة التربة والمناخ بالمنطقة. والعمل على تشجير 500 ألف شجرة في السنة والعناية بها

- تقسيم اعوان شركات الغراسة والبيئة بكل المدن المنجمية على فرق عمل، فرق تعمل بالمنابت، وفرق تعمل على نقل الاشجار الى مواقع التشجير، وفرق تقوم على التشجير والري وصيانة المناطق المشجرة وحمايتها

بهذا البرنامج الواجب اعداده من طرف شركة فسفاط قفصة وتوفير التمويلات اللازمة له، يمكننا في ظرف لا يتجاوز 5 سنوات، تشجير 2.5 مليون شجرة بمناطق الحوض المنجمي. مما يحولها الى مناطق غابية بامتياز، وينقلها من مواقع جرداء قاحلة الى مواقع خضراء تغير من نوعية المناخ وإطار عيش السكان الذين قهرهم ولسنوات واقع التلوث والجفاف وقساوة الطبيعة. بهذه الطريقة يمكننا القول ان البرنامج سيخرج اعوان شركات الغراسة والبيئة من حالة البطالة الفنية التي يعيشونها منذ سنوات. ويجعلهم يشعرون بقيمة الاجور التي يتقاضونها.

بالتوازي مع هذا المشروع، فان شركة فسفاط قفصة مطالبة بنقل كميات الشوائب المتاخمة للعديد من الاحياء (حي الطرابلسية ومناطق مغاسل الفسفاط الاربعة بالمتلوي، والاحياء المتاخمة لمغسلتي ام العرائس ومغسلة المظيلة المدينة)، الى المقاطع السطحية التي تم إستغلالها او التي بصدد الإستغلال وذلك لتهيئتها وردم الحفر الناجمة عن استخراج طبقات الفسفاط وتشجيرها في إطار البرنامج السالف ذكره.

ومن خلال المعاينات الميدانية، فان الكميات المطلوب نقلها من الاحياء تقدر بحوالي 1.5 الى مليوني طن. وهي كميات ليست بالكبيرة بالنسبة لطبيعة وحجم الإمكانات اللوجستية التي تمتلكها شركة فسفاط قفصة. ويمكن إستغلال الاراضي التي سيقع تنظيفها قرب الاحياء كمنتزهات وفضاءات للترفيه تنجز بالتعاون بين بلديات هذه المناطق وشركة فسفاط قفصة في إطار مصالحة اقتصادية واجتماعية وبيئية بين شركة فسفاط قفصة وسكان الحوض المنجمي

2-4- تهيئة المناجم الباطنية

قبل إستغلال الفسفاط عبر مقاطع سطحية مكشوفة، بقيت شركة فسفاط قفصة أكثر من 90 سنة تستخرج مادة الفسفاط عبر مناجم باطنية تسمى دواميس. واغلق آخر منجم باطني بالمتلوي سنة 1992. لكن غلق هذه المناجم الباطنية مثل والى حد الآن مشاكل حقيقية على مستوى سلامة المساكن المبنية فوقها خاصة بمنطقة الرديف اين تم سقوط عدد من المساكن في الدواميس الموجودة تحتها (حادثة انهيار جزء من موقع Z6 الباطني الذي يمر تحت حي المغرب العربي كأكبر الاحياء السكنية ببلدية الرديف).

كما ان ترك هذه الدواميس دون تهيئة ودراسات معمقة حول خصوصياتها الجيوتقنية ودرجة ثباتها، يجعلها قابلة للسقوط والانهيار في اي وقت.

لذلك فانه بات من المؤكد ان تتحمل شركة فسفاط قفصة مسؤوليتها في هذا الجانب وتقوم بما يلي:

- جرد كامل للدواميس التي كانت مستغلة طيلة الفترات السابقة بكل المدن المنجمية
- رسم خريطة دقيقة لمواقعها ومدى قربها من مواطن العمران
- دراسة معمقة لكل داموس على المستوى الجيوتقني ودرجة ثباته

بناء على اخذه المعطيات، يتم اعداد برنامج مفصل ومحدد زمنيا متعلق بما يلي:

- الردم والغلق محكم لكل الدواميس التي تمثل خطر الانهيار، وضمان عدم انزلاق المباني التي فوقها، او اخراج السكان من المواقع التي تمثل خطرا والتعويض لهم بمساكن جديدة في اماكن آمنة.
- تحديد الدواميس البعيدة عن مواطن العمران والتي تتمتع بدرجة ثبات عالية. هذه الدواميس يمكن ان تستغل إما كمناطق لإنتاج الفطر الطبيعي خاصة وان الفطر ينمو في مناطق رطبة ومظلمة وهي خصائص الدواميس الباطنية، او تهيئتها كفضاءات للسياحة الايكولوجية والجيولوجية.
- غلق الدواميس الموجودة خارج مناطق العمران والتي تمثل خطرا على من يغامر بدخولها، مثل الدواميس المنتشرة ببراشيم وزمرة بالرديف، والدواميس الموجودة بكاف الشفاير بالمتلوي.

03

القسم الثالث:

معالجة وتحليل نتائج الاستبيان واقتراح مشاريع تنموية

مقدمة

بعدما تبين خلال القسم الثاني من الدراسة، بان جهة الحوض المنجمي لا تفتقر الى الموارد الطبيعية ولا الى الماء لكي تحتضن تنمية عادلة ومتوازنة ومتحررة من الفسفاط. فان التحدي الاكبر يبقى كيف يمكن ان نحول هذه الموارد الطبيعية والطاقات البشرية الى تنمية حقيقية تقطع مع مركزتها حول مادة الفسفاط، التي تحول من نعمة الى نقمة على الجهة ككل. اذ لم تعد شركة فسفاط قفصة قادرة على ان تلعب دور المشغل الرئيسي. ولم تكن قاطرة للتنمية بسبب الخيارات والسياسات العرجاء التي تم اتباعها منذ 1956كتواصل للسياسات الاستعمارية، والتي انبنت على اعتبار الفسفاط بقرة حلوب وجب استنزافها وموارد الجهة المائية وتركها بعد ذلك لمصيرها.

لذلك وجب اتباع طريقة اخرى لتأسيس خيار تنموي متحرر من الفسفاط، أكثر تشاركية وأعمق بحثا وأكثر التصاقا بإمكانات الجهة الطبيعية والبشرية من ناحية، وبحاجيات السكان وتطلعاتهم من جهة اخرى. اضافة الى الاخذ بعين الاعتبار الموقع الجغرافي الحدودي لمناطق الحوض المنجمي والذي يمكن ان يكون عاملا مهما في التنمية بالجهة ككل.

في هذا الإطار، قدمنا في تقرير المرحلة الثانية كل مقومات التنمية بالجهة، وعدّدنا كل الموارد الطبيعية الموجودة بمناطق الحوض المنجمي، اضافة الى ما يمكن ان توفره شركة فسفاط قفصة من مواد وامكانات تنموية اخرى بعيدا عن الفسفاط.

كما ان البعد التشاركي في اعداد مخرجات هذه الدراسة، أوجب علينا منهجيا وعلميا اولا التحاور مع كل الاطراف المتدخلة في المجال التنموي من بلديات ومنظمات وجمعيات المجتمع المدني المحلي والجهوي، وثانيا القيام باستبيان ميداني، لتقصي ومعرفة راي عينة نموذجية من سكان مدن الحوض المنجمي حول اشكالات واقع التنمية والمسؤول عنها من ناحية، ومدى معرفتهم بإمكانات جهتهم التنموية خلاف الفسفاط ومن الاطراف التي يجب عليها تحمل عبء التنمية في المستقبل حتى لا تندثر هذه المدن بإيقاف استخراج الفسفاط.

لذلك فان هذه المرحلة الثالثة من الدراسة، ستشتمل على محورين اساسين هما:

-محور اول يخصص لمعالجة وتحليل الاستبيان الميداني

-محور ثاني يخصص لاقتراح جذاذات مشاريع تنموية متعددة ومختلفة لتغيير وجه المناطق المنجمية تنمويا في المستقبل القريب والبعيد

المحور الاول

معالجة وتحليل الاستبيان الميداني

معالجة وتحليل الاستبيان الميداني

1- مقدمة

تخضع الدراسات العلمية لأسلوب منهجي مترابط ومحدد ودقيق. حيث يبدأ الباحث بوضع خطة بحثه، بمعنى الإطار العام لموضوع الدراسة بما في ذلك الأساليب والتقنيات المراد اعتمادها، وعينة البحث التي تتركز حولها الدراسة، بدقة حتى يتجنب الوقوع في الأحكام المسبقة وحتى يكون أكثر علمية في تحليلاته. وهو عامل أساسي لاستخلاص النتائج الموضوعية وإيجاد الحلول وتجاوز الصعوبات وإحداث التغيير.

ولابد أن نشير هنا إلى أن إنجاز أي دراسة يمرّ بمراحل مرتبطة ببعضها البعض، إذ أن كلّ خطوة يخطوها الباحث تكون مقسمة إلى مراحل دقيقة حتى يتمكن فيما بعد من استخلاص جملة من الاستنتاجات وطرح الحلول حسب النتائج المتوصّل إليها. فكان لابد لنا في دراستنا لظاهرة العنف بالمجتمع التونسي أن نتقيّد بأسلوب منهجي، محاولين عدم الحياد عن العلمية والموضوعية والمصداقية.

وانطلق بناء خطة العمل بتحديد أولويات البحث، بداية بوضع الخطوط العريضة للدراسة وخاصة تحديد طبيعة الدراسة التي سنقوم بإنجازها والغاية المراد الوصول إليها من اعتمادنا لطبيعة معينة على أخرى. وقد وقع الاختيار على الاستبيان الميداني لكونه الأكثر ارتباطا بالواقع واحتكاكا بالسكان، إذ ما يهمنا هو موقف المواطنين بجميع فئاتهم **من عملية التنمية والمستفيدين منها، ومن المسؤول عن فشل الخيارات التنموية بجهة الحوض المنجمي. باعتبار ان التنمية هي موضوع الدراسة التي نحن بصدد اعدادها**

ولتسهيل جمع المعطيات الكمية وتحليلها، قمنا باستخدام برنامج التحليل الإحصائي **SPSS**. وبعد اختيار الأساليب التقنية حدّدنا العينة البحثية أو مجتمع الدراسة، تلاها اختيار التقنية البحثية الملائمة مع الدراسة الميدانية ألا وهي تقنية الاستبيان.

2-تحديد عينة البحث

بعد تحديد موضوع البحث لابد من تحديد عينة بحثية. ولابد للباحث هنا أن يطرح تساؤلات حول كيفية اختيار العينة. ما هي الفئات التي يستهدفها البحث؟ وما مدى أهمية هذه الفئة في الدراسة؟

وباعتبار أنه يجب ان تكون العينة معبرة بشكل جيد على المجتمع المعني بالدراسة. فإننا اخترنا ان يكون الاستبيان بكل مدن الحوض المنجمي، ويجب ان يشمل الفئات المعنية أكثر من غيرها بالتنمية والمستقبل، وبالتالي فان الاستبيان سيكون موجه اساسا لفئة الشابات والشبان، دون اقصاء بقية الفئات.

3- الاطار المنهجي والعلمي للاستبيان الميداني

ارتأينا في بحثنا هذا ان نعتمد تقنية الاستبيان كتقنية لجمع المعلومات والآراء، ومن ثمة تحليلها، باعتبار أنّ استمارة الاستبيان من أهم وأكثر أدوات جمع المعلومات والبيانات استخداما في البحوث الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بحاجيات السكان وتطلعاتهم، وذلك نظرا لقلة تكلفة استخدامها من جهة وسهولة استخدامها ومعالجة البيانات التي نحصل عليها من جهة أخرى. وهي ببساطة قائمة أسئلة توجه للأفراد ليقوموا بالإجابة عليها بغية الحصول على معلومات حول موضوع معين.

ويعد الاستبيان في ابسط مفاهيمه مجموعة أسئلة تعد إعدادا محددا، وتوجه الى العينة المستهدفة. ويتم ذلك بدون مساعدة الباحث للأفراد سواء في فهم الأسئلة وخاصة في تسجيل الإجابات، وذلك لضمان مبدأ الحيادية العلمية والموضوعية في دراسة الظاهرة.

الملاحظ أنه لا يمكن الفصل بين تقنيات البحث العلمي باعتبار أنها مجموعة من الأساليب التقنية المترابطة فيما بينها. فتقنية الملاحظة هي أولى عمليات الإدراك للمبحث المراد دراسته. إذ تنطلق أولى خطوات البحث العلمي بإدراكنا للظاهرة وملاحظتنا لكونها ظاهرة جديرة بالدراسة لأهميتها في الوسط المجتمعي. ثم انطلاقا من الملاحظة يمكن المرور إلى تقنية المقابلة أو الاستبيان لتجميع المعطيات الكمية حولها. ولأن استمارة الاستبيان ترتبط بنطاق استقصائي واسع، فهي تتطلب إجراء تقنيا موازيا يتمثل في تحديد عينة بحث تكون ممثلة لمجتمع الدراسة.

يمكن الحديث هنا عن نوع الاستبيان المراد اعتماده في دراستنا **ألا وهو الاستبيان الموجه**، وهي تقنية تقوم أساسا على الالتقاء المباشر بالمبحوث وذلك تلافيا لعائق الأمية وبغية التغطية الكافية للعينة ولبيئتها الاجتماعية لتمكين للباحث من تدوين بعض الملاحظات التي قد تساعده في عملية التحليل فيما بعد،

4-تقنية الاستبيان:

إنّ تحديد التقنيات التي سيتم اعتمادها في دراستنا هو تحديد يخضع لطبيعة الدراسة أوّلا وأخيرا، وباعتبار أن الدراسة التي سنقوم بها هي دراسة ميدانية، يجب أن تكون التقنية متلائمة مع طبيعة المبحث. ولذلك تم اعتماد تقنية الاستبيان. وهي من التقنيات التي يعتمدها الباحثون في دراساتهم الميدانية، لكونها تعتمد على لقاء مباشر بين الباحث والمبحوث أو عينة البحث والإجابة على أسئلة الاستمارة. وهي تقنية أيضا يمكن اعتمادها في الدراسات الإحصائية.

ثم حددنا الأسئلة التي سيتم توجيهها لمجتمع الدراسة وفقا لجملة من المؤشرات، باعتبار أنّ طبيعة الاستبيان **هو استبيان موجه** وله أهداف محددة ألا وهي مستقبل التنمية بمدن الحوض المنجمي.

ولقد تم تحديد المحاور التالية بالاستبيان (انظر المصاحيب):

- المعطيات العامة حول المستجوب دون ذكر الاسماء
- واقع التنمية بجهة الحوض المنجمي
- امكانات التنمية بالجهة
- تمويل وانجاز التنمية

5- برنامج التحليل الإحصائي SPSS:

بما أنّ الدراسة هي دراسة ميدانية تقوم على جملة من المعطيات التي يصعب تحليلها دون الاعتماد على أسلوب أو تقنية محددة فقد ارتأينا استخدام برنامج التحليل الإحصائي **SPSS**. وهو منظومة تم إنجازها لتسهيل عملية تحليل المعطيات الكمية على الباحث. إذ بالإمكان تحميل استمارة الاستبيان ضمن هذا البرنامج وتحميل إجابات المستجوبين وتحويلها إلى أرقام، ومن ثمة يصبح بالإمكان استخلاص النتائج وتقديم الحلول التي تتناسب مع طبيعة المجتمع وموضوع الدراسة.
يمكن القول إذن أن ما تتطلبه الدراسة حتى تكون علمية هو التقيد بجملة من الخطوات الدقيقة أو ما يطلق عليه بخطة العمل، حتى لا يكون عملنا ارتجاليا واعتباطيا. ويعد ما قمنا بإنجازه حتى هذه اللحظة من تحديد للإطار النظري والمنهجي الذي تتنزل فيه الدراسة بحثا ما قبليا للعينة ومجالها.

انطلاقا من طبيعة الدراسة ومجال انجازها الزمني، فإننا قمنا بعدد اجمالي من الاستبيانات يقدر ب 800 استبيانا موزعين كما يلي: مدينة الرديف: 200 استبيان، ومدينة ام العرائس: 200 استبيان، ومدينة المتلوي:200 استبيان، ومدينة المظيلة200: استبيان.

بعد انجاز الاستبيان، وادخال كل المعطيات التي تضمنها (والتي تقدر بحوالي 91200 معلومة او امكانية جواب) ببرنامج التحليل الإحصائي SPSS، قمنا بتحديد اهم خصائص العينة المستوجبة.

6- تشخيص عام للعينة المستجوبة

سنحاول تشخيص العينة المستوجبة بكل المدن المنجمية والمقدرة ب 800 اناثا وذكورا. كما سنحاول لاحقا تشخيص العينات المصغرة المتعلقة بكل مدينة والمقدر عددها ب 200.

- **توزيع العينة حسب الجنس:**

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	405	50,6	50,6	50,6
	أنثى	395	49,4	49,4	100,0
	Total	800	100,0	100,0	

وفـق الجـدول، فـان نسـبة الانـاث الاتي شـاركنا في الاسـتبيان بلغـت 49.4 % مقابـل 50.6 % للذكـور، وهـي نسـبة تقـارب نسـب الانـاث والذكـور بالنسـيج الاجتماعـي المنجمـي.

- **توزيع العينة حسب المستوى التعليمي:**

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لا شيء	17	2,1	2,1	2,1
	ابتدائي	88	11,0	11,0	13,1
	ثانوي	392	49,0	49,0	62,1
	عالي	301	37,6	37,6	99,8
	لا اجابة	2	,3	,3	100,0
	Total	800	100,0	100,0	

يتبـين مـن خـلال هـذا الجـدول ان نسـبة المسـتجوبين ذوي التعليـم الثانـوي والعـالي يتجـاوز 86 % وهـو مـا يؤكـد عـلى ارتفـاع نسـبة التمـدرس بمنطقـة الحـوض المنجمـي. كمـا ان نسـبة التعليـم العـالي تعتـبر هامـة، اذ تتجـاوز 37 % بالعينـة المسـتجوبة. امـا بالنسـبة لنسـبة الاميـين فإنهـا لـم تتجـاوز 2.1 %.

- **توزيع العينة حسب المهنة:**

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	معطل	489	61,1	61,1	61,1
	عامل	95	11,9	11,9	73,0
	موظف	151	18,9	18,9	91,9
	إطار	22	2,8	2,8	94,6
	متقاعد	37	4,6	4,6	99,3
	لا إجابة	6	,8	,8	100,0
	Total	800	100,0	100,0	

مثل المعطلين حوالي 61.1 % من العينة المستجوبة، وهو ما يعكس الواقع الحالي للبطالة في الجهة، وخاصة لدى الشباب الحامل للشهادات الجامعية.

- **توزيع العينة حسب الشريحة العمرية:**

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	20-30	456	57	57	57
	31-40	187	23.4	23.4	80.4
	41-50	88	11	11	91.4
	51-60	42	5.2	5.2	96,6
	+60	27	3.4	3.4	100,0
	Total	800	100,0	100,0	

من خلال الجدول، يمكن القول ان العينة المستجوبة شبابية بامتياز. اذ مثلت الشريحة العمرية 20-30 سنة حوالي 57 % من جملة المستجوبين. كما ان الفئة العمرية 31-40 حاضرة بقوة بحوالي 23.4 %. مما يعني ان الفئة العمرية 20-40 مثلت حوالي 80.4 % من العدد الاجمالي للعينة العامة بمدن الحوض المنجمي الاربعة. وهو ما يعني ان النسيج الاجتماعي بالحوض المنجمي شبابي بامتياز وان التركيبة العمرية لهذه المدن تعبر عن المستقبل أكثر من تعبيرها عن الماضي.

ويمكن ابراز التركيبة العمرية للعينة المستجوبة بالرسم البياني التالي:

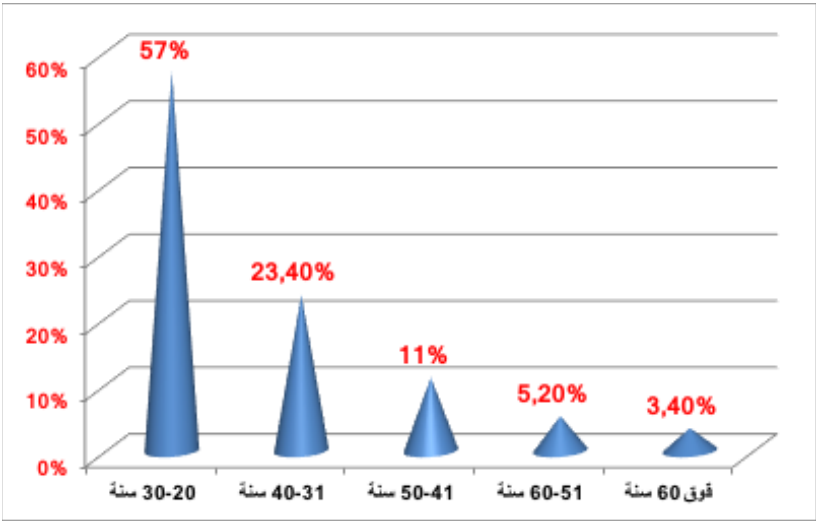

- توزيع العينة حسب الحالة المدنية:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	أعزب/عزباء	497	62,1	62,1	62,1
	متزوج(ة)	282	35,3	35,3	97,4
	أرمل(ة)	8	1,0	1,0	98,4
	مطلق(ة)	9	1,1	1,1	99,5
	لا إجابة	4	,5	,5	100,0
	Total	800	100,0	100,0	

من خلال هذا الجدول، يتبين ان 62.1% من العينة غير متزوجات او متزوجون. وهو ما يؤكد الطابع الشبابي للعينة وارتفاع نسبة البطالة في صفوفهم. ذلك ان الزواج مرتبط في هذه المجتمعات التقليدية والمحافظة بالعمل والاستقرار.

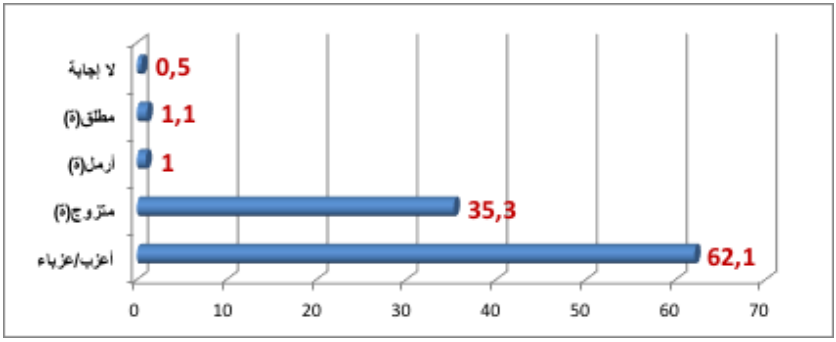

- توزيع العينة حسب الجنس والمستوى التعليمي:

لا شيء		المستوى الدراسي					Total
		ابتدائي	ثانوي	عالي	لا اجابة		
الجنس	ذكر	11	67	181	144	2	405
	أنثى	6	21	211	157	0	395
Total		17	88	392	301	2	800

من خلال هذا الجدول المقاطع ما بين الجنس والمستوى التعليمي للعينة العامة المستجوبة، يمكننا القول ان نسبة التمدرس الاعلى أي تعليم عالي وثانوي لدى الاناث ارفع. وهو ما يؤكد ارتفاع نسبة الاناث في المعاهد الثانوية والجامعات.

وهي ظاهرة عامة على المستوى الوطني. أي ان الاناث أكثر رهانا على التعليم في مجتمعنا أكثر من الذكور. ذلك ان المرأة وانطلاقا من وضعيتها الدونية في مجتمعنا الذكوري لا يمكنها افتكاك حقوقها الا بالتعليم.

- **توزيع العينة حسب الحالة المدنية والمهنة:**

Effectif

أعزب/عزباء		الحالة المدنية					Total
		متزوج(ة)	أرمل(ة)	مطلق(ة)	لا إجابة		
المهنة	معطل	408	78	1	2	0	489
	عامل	36	54	0	3	2	95
	موظف	43	104	0	4	0	151
	إطار	7	15	0	0	0	22
	متقاعد	1	28	7	0	1	37
	لا إجابة	2	3	0	0	1	6
Total		497	282	8	9	4	800

يتبين بوضوح ان المهنة هي المحددة في الحالة المدنية. فعلى 489 معطل، 78 فقط متزوجون، اي ان 85 % من المعطلين غير متزوجين. اما الموظفين فانه على 151 مستجوب، 104 منهم متزوجون. لذلك فان الوضعية الاقتصادية للفرد في المدن المنجمية هي التي تحدد له حالته الاجتماعية والمدنية.

بعد هذا التشخيص المعمق للعينة المستجوبة، عبر العديد من المؤشرات والمؤشرات المتقاطعة، فانه يمكن القول ان العينة قد جسدت بشكل كبير حقيقة النسيج الاجتماعي والاقتصادي والمدني لمدن الحوض المنجمية.

7- معالجة و تحليل الاستبيان

بعد تحديد خصائص العينة المستجوبة، والتي تؤكد انها تعبر بشكل واضح على واقع النسيج الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمدن الحوض المنجمي. فإننا سننطلق في معالجة وتحليل الاستبيان الميداني لكل مدينة على حدة، بهدف ابراز الاختلافات والتقاطعات بينها في مجال التنمية وامكاناتها والعوامل والاطراف التي تسببت طيلة عقود من الزمن في تردي الاوضاع التنموية والاجتماعية بهذه المدن المنجمية، رغم ثرائها وعدالة الطبيعة التي وهبتها كل مقومات التنمية.

1-7- معالجة وتحليل الاستبيان بمدينة الرديف

قبل تحليل ومعالجة نتائج الاستبيان المتعلق بمدينة الرديف، سنحاول تشخيص مختصر للعينة المستجوبة بالرديف (200 استجواب)

- **تشخيص العينة:**

تتميز العينة المستجوبة بالرديف حسب الجنس بارتفاع نسبة الاناث المستجوبات مقارنة بنسبة الذكور. فكانت نسبة الاناث 53%، مقابل 47 % للذكور فقط مثلما يوضحه الجدول التالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	94	47,0	47,0	47,0
	أنثى	106	53,0	53,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما بالنسبة لتوزيع العينة حسب المستوى التعليمي، فان المستجوبين من التعليم العالي يمثلون 48 %، مقابل 42 % للتعليم الثانوي و9 % فقط للابتدائي. يمكننا القول ان العينة بالرديف تختلف في هذا الجانب مثل التوزيع حسب الجنس عن العينة العامة للاستبيان.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ابتدائي	18	9,0	9,0	9,0
	ثانوي	85	42,5	42,5	51,5
	عالي	97	48,5	48,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما توزيع العينة حسب المهنة، فان معالجة الاستبيان قد بينت ان 68.5 % من المستجوبين معطلين، وهي نسبة قريبة من نسبة العينة العامة للاستبيان.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	معطل	137	68,5	68,5	68,5
	عامل	14	7,0	7,0	75,5
	موظف	34	17,0	17,0	92,5
	إطار	3	1,5	1,5	94,0
	متقاعد	11	5,5	5,5	99,5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- **معالجة وتحليل الاستبيان**

امـام تعـدد الاسـئلة الـتي تـم طرحهـا بالاسـتبيان وتعـدد امكانـات الاجابـة عنهـا (حـوالي 22800 امكانيـة اجابـة). فانـه مـن المسـتحيل معالجـة وتحليـل كل الاسـئلة والاجوبـة. لذلـك سـنحاول ان نركـز عـلى اهـم الاسـئلة والاجابـات الموجهـة لأهـداف الاسـتبيان، والمتعلقـة بواقـع التنميـة بالجهـة ومعوقاتهـا والاطـراف المسـؤولة عـن فشـلها. اضافـة الى امكانـات التنميـة ومصـادر تمويلهـا والاطـراف المعنيـة بهـا.

- هل توجد تنمية؟

اجمـع 99.5 % مـن المسـتجوبين بالرديـف عـلى غيـاب التنميـة بالمنطقـة، مقابـل الاجابـة بنعـم مـن طـرف مسـتجوب وحيـد.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	1	,5	,5	,5
	لا	199	99,5	99,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

وهـذا الاجمـاع الكبـير يؤكـد عـلى ان التنميـة بمنطقـة الرديـف ليـس لهـا وجـود، رغـم الـشروع في إسـتغلال الفسـفاط منـذ 1902.

- كيف يتمظهر غياب التنمية؟

انحـصرت مظاهـر غيـاب التنميـة وفـق المسـتجوبين في ثـلاث مظاهـر، التهميـش بنسـبة 43.5 %، والفقـر بحـوالي 34.5 %، والبطالـة بحـوالي 21.5 %. ويمكـن اعتبـار الاجابـات تعبـيرا عـن فهـم جيـد لمـن تـم اسـتجوابهم حـول تمظهـرات غيـاب التنميـة. كمـا ان اعتبـار التهميـش أكـبر تمظهراتهـا يعـد الاقـرب للواقـع لان غيـاب التنميـة همـش المنطقـة والسـكان وجعلهـا طـاردة لهـم.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	في البطالة	43	21,5	21,5	21,5
	في الفقر	69	34,5	34,5	56,0
	في التهميش	87	43,5	43,5	99,5
	غير معني بالسؤال	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة؟

يمكن اعتبار هذا السؤال أحد اهم واعقد الاسئلة في الاستبيان، نظرا لحساسيته وارتباطه بدور شركة فسفاط قفصة في المنطقة. لذلك ستكون الاجابة عليه مهمة جدا في تحليل واقع التنمية ومستقبلها في الجهة.اعتبر 64.5 % من المستجوبين ان شركة فسفاط قفصة هي المشغل الوحيد بالمنطقة. اي انها تمثل مصدر التنمية الوحيد. كما اعتبر 34.5 % ان شركة فسفاط قفصة لا تعني لهم شيئا. وهي فئة الشباب التي يتراوح عمرها ما بين 20 و30 سنة. وهي الفترة التي اغلقت فيها شركة فسفاط قفصة ابواب الانتداب وتحولت الى بقرة حلوب لصالح من هم في السلطة.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	المشغل الوحيد	129	64,5	64,5	64,5
	لا تعني شيئا	69	34,5	34,5	99,0
	لا اجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- هل الدولة موجودة؟

حضور شركة فسفاط قفصة ودورها يحيلنا حتما للتساؤل عن مدى حضور الدولة بمنطقة الرديف. وبعد معالجة نتيجة الاستبيان حول هذا السؤال، يمكن القول ان 99.5 % من الاجابات كانت اما ان الدولة غائبة ام ان وجودها عقيم (63.5 % لا وجود لها و36 % وجودها عقيم). وهي نتيجة جد منطقية في مدينة لا وجود لمجالات تشغيل الا شركة فسفاط قفصة.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	1	,5	,5	,5
	لا	127	63,5	63,5	64,0
	وجود عقيم	72	36,0	36,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

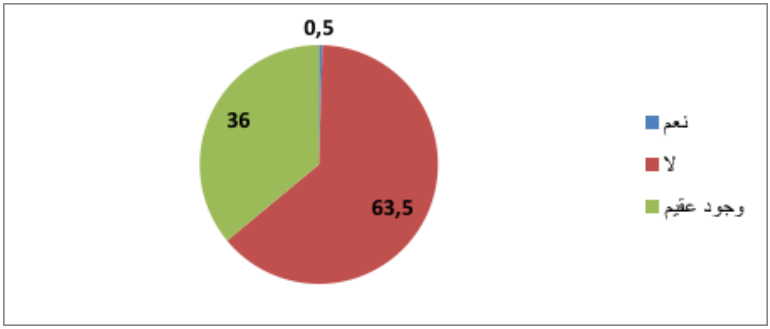

- من المسؤول عن التخلف التنموي؟

اعتبر 64.5 % من العينة المستجوبة ان التخلف التنموي مسؤولية السلطة الحاكمة. غير ان الاستبيان اظهر وجود أطراف اخرى متسببة في التخلف التنموي وهي النقابات بنسبة 14.5 % والنخب المحلية بنسبة 16 %، وهي نسب محترمة تؤكد ان هذه الاطراف يمكن ان تكون مسؤولة عن التهميش في فترات مهمة من تاريخ هذه المناطق المنجمية. في حين لم يحمل المستجوبون المسؤولية لشركة فسفاط قفصة الا في حدود 5 % فقط منهم. وهو ما يعني ان السكان يقيمون بشكل جيد مهام الشركات ودور الدولة او السلطة في المجال التنموي.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	السلطة	129	64,5	64,5	64,5
	شركة فسفاط قفصة	10	5,0	5,0	69,5
	النخب المحلية	32	16,0	16,0	85,5
	النقابة	29	14,5	14,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- كيفية اختيار المرشح في الانتخابات:

رغم عدم وجود علاقة بين موضوع الاستبيان والانتخابات، فإننا أدرجنا هذا السؤال لمعرفة القاعدة التي ينتخب على اساسها السكان مرشحيهم سواء في مجلس نواب الشعب او المجالس البلدية. اذ ان قاعدة الاختيار تحمل اصحابها نتائج اختيارهم في المجالات التنموية. معالجة الاجابات حول هذا السؤال تم تلخيصها بالجدول التالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الرابطة الدموية	52	26,0	26,0	26,0
	وعود	12	6,0	6,0	32,0
	متحزب (ة)	33	16,5	16,5	48,5
	قناعة بالبرنامج	42	21,0	21,0	69,5
	غير معني بالسؤال	61	30,5	30,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

يتبين من الجدول ان 30.5 % من العينة لم تشارك في الانتخابات وهي اغلبها من الفئة الشبابية (20-30 سنة). كما ان الاختيار على قاعدة الرابطة الدموية يمثل 26 % اي قرابة الثلث، وهو اختيار يؤكد الطابع القبلي والعروشي للتركيبة العلائقية الاجتماعية بالمدينة. كما يظهر ان نسبة التحزب بالعينة محترمة. وهو عادي بالنسبة لمدينة الرديف المعروفة ببنيتها السياسية النضالية القديمة.

- تنمية بدون فسفاط؟

يمثل هذا السؤال محور اهداف الدراسة. اذ انه وفي المرحلة الثانية من الدراسة، وبالاعتماد على المعاينات الميدانية والدراسات المعمقة التي انجزت حول المدن المنجمية. تم التأكيد على وجود امكانات كبيرة للتنمية خارج الفسفاط. لكن نريد استبيان آراء السكان حول هذا الموضوع، وهل هم فعلا مقتنعون بان امكانات التنمية بدون فسفاط متوفرة بالجهة ام لا؟

بعد معالجة نتائج الاستبيان حول هذا السؤال تبين ان 71 % من العينة المستجوبة يؤكدون امكانات تنمية بدون فسفاط. في حين 29 % لا يرون تنمية خارج الفسفاط. وبالتالي يمكن القول ان غالبية سكان الحوض المنجمي لهم قناعة بان مدنهم تتوفر على امكانات تنموية غير الفسفاط قادرة على تغيير وجه المنطقة على المدى المتوسط والبعيد لو توفرت الارادة السياسية.

هل يمكن الحديث عن تنمية بدون الفسفاط؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	142	71,0	71,0	71,0
	لا	58	29,0	29,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ما هي امكانات التنمية؟

كانت الاجابات على هذا السؤال متنوعة، ويمكن تلخيصها بالجدول التالي:

ما هي هذه الإمكانات؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	مواد إنشائية	82	41,0	41,0	41,0
	فلاحة	53	26,5	26,5	67,5
	منطقة حرة حدودية	10	5,0	5,0	72,5
	غير معني بالسؤال	54	27,0	27,0	99,5
	لا إجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

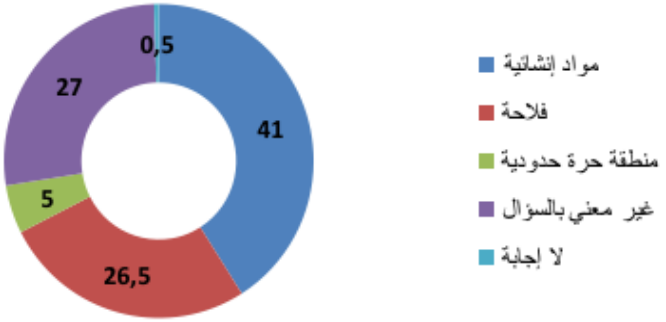

المواد الانشائية والفلاحة ومنطقة حرة حدودية، كلها امكانات تنموية يقرها سكان مدينة الرديف لانطلاق تنمية حقيقية متحررة من سلطة الفسفاط. الا ان العملية ليست مرتبطة بوجود الإمكانات التنموية بل بالسياسات والخطط العملية لتفعيلها واقعيا.

كما تم تعداد المواد الانشائية في اجابات عن السؤال الموالي من الاستبيان، ويمكن حصرها وفق الاجابات في الرمال والكلس والطين والجبس. ولعل اهم مادة انشائية كان عليها اجماع الطين. اما الفلاحة، فان اغلب الاجابات اكدت على ارتباطها بالأراضي الفلاحية والماء. وهي امكانات تتطلب عمل كبير من طرف الدولة لتحرير الاراضي من الطابع العروشي والملكيات المشاعة وغيرها من اشكال تعطيل الارض بمدن الحوض المنجمي لعقود كبيرة.

كما اكدت نسبة كبيرة من العينة على فشل المشاريع الفلاحية بالجهة، وذلك مرتبط اساسا بنقص الماء من ناحية وضعف دعم الدولة للأنشطة الفلاحية بالمنطقة.

كما تم اجماع على وجود امكانات سياحية بالمنطقة متمثلة خاصة في الجبال والدواميس القديمة وانظمة ايكولوجية خصوصية.

- من يمول التنمية؟

مثلما ذكرنا سابقا، ليس المهم وجود امكانات طبيعية للتنمية. بل المهم من سيمول التنمية ودور الدولة في ذلك؟

من خلال معالجة الاجابات حول هذا السؤال، يتبين ان الاجابات انقسمت بين الدولة وشركة فسفاط قفصة والخواص مع اعطاء النسبة الاكبر للخواص ثم الدولة فشركة فسفاط قفصة. يلخص الجدول التالي نسب هذه الاجابات:

من يمول التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الدولة	66	33,0	33,0	33,0
	شركة فسفاط قفصة	51	25,5	25,5	58,5
	الخواص	75	37,5	37,5	96,0
	الشراكة	8	4,0	4,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

غير ان التحليل المعمق، يحيلنا الى ان اغلب الاجابات حملت تمويل التنمية للدولة او لشركتها بنسبة مجمعة تساوي 58.5 %، اي ان السكان لا يرون ممول للتنمية بجهتهم الا الدولة او شركة فسفاط قفصة. ذلك ان القطاع الخاص لم يكن له دور لا في السابق ولا حاضرا في مجال التنمية. كما ان القطاع الخاص لا يغامر في فضاءات مهمشة تنمويا. بل يتبع الدولة ان تدخلت.

- كيف ترى دور السكان في تحقيق التنمية؟

نحاول من خلال هذا السؤال معرفة راي السكان حول دورهم او ما يجب ان يفعلوه لتحقيق التنمية بمنطقتهم. وبعد معالجة الاجابات، تبين ان 47.5 % من العينة يعتبرون الحوار مدخلا للسكان لتحقيق التنمية. فيما يقر 30 % منهم بالاحتجاج و22.5 % يعتبرون ان ايقاف نشاط الفسفاط وسيلة ناجعة لدفع السلطة لتحقيق التنمية.

كيف ترى دور السكان في تحقيق تنمية بالمنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الاحتجاج	60	30,0	30,0	30,0
	الحوار	95	47,5	47,5	77,5
	إيقاف نشاط الفسفاط	45	22,5	22,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- دور الاطراف المحلية والمجتمع المدني في التنمية؟

حاولنا من خلال الاسئلة 9و 11 و12 من عنصر تمويل وانجاز التنمية معرفة آراء المستجوبين حول الاطراف التي يمكن ان يكون لها دور في التنمية وخاصة السلطة المحلية والاتحاد العام التونسي للشغل وجمعيات المجتمع المدني.

بعد معالجة الاجابات حول هذه الاسئلة، يمكن تلخيصها في الجداول التالي:

هل للسلطة المحلية دور في التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	79	39,5	39,5	39,5
	لا	121	60,5	60,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للاتحاد العام التونسي للشغل دور في التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	32	16,0	16,0	16,0
	لا	168	84,0	84,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للمجتمع المدني دور في انجاز التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	173	86,5	86,5	86,5
	لا	27	13,5	13,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال هذه الجداول، يمكننا القول ان اغلب العينة لا يرون للسلطة المحلية اي دور في تحقيق التنمية (نسبة 60.5 %)، كما ان 80 % من المستجوبين لا يرون اي دور للاتحاد العام التونسي للشغل في مستقبل التنمية بالجهة. وهو موقف يمكن ان يترجم حالة الغضب الشعبي تجاه النقابات وضد الدور السلبي الذي اصبحت تلعبه خاصة بعد 14 جانفي 2011 محليا وجهويا.

لكن تم اجماع بحوالي 86.5 % من المستجوبين على اهمية دور المجتمع المدني وجمعياته في تحقيق التنمية. وهي ثقة تترجم اهمية هذا المجتمع المدني والثقة التي بدا يكتسبها لدى فئات واسعة من السكان.

7-2- معالجة وتحليل الاستبيان بمدينة ام العرائس

سنحاول قبل تحليل ومعالجة نتائج الاستبيان المتعلق بمدينة ام العرائس، تشخيص مختصر للعينة المستجوبة (200 استجواب)

- **تشخيص العينة:**

تتميز العينة المستجوبة بأمر العرائس حسب الجنس بارتفاع نسبة الاناث المستجوبون مقارنة بنسبة الذكور. فكانت نسبة الاناث 57.5 %، مقابل 42.5 % للذكور فقط مثلما يوضحه الجدول التالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	85	42,5	42,5	42,5
	أنثى	115	57,5	57,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما بالنسبة لتوزيع العينة حسب المستوى التعليمي، فان المستجوبين من التعليم الثانوي يمثلون النسبة الاكبر بحوالي 55.5 %، مقابل 29.5 % فقط للتعليم العالي و13 % للابتدائي. وهو ما يجعل العينة بأمر العرائس متطابقة مع خصائص العينة العامة للاستبيان.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لا شيء	3	1,5	1,5	1,5
	ابتدائي	26	13,0	13,0	14,5
	ثانوي	111	55,5	55,5	70,0
	تعليم عالي	59	29,5	29,5	99,5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما توزيع العينة حسب المهنة، فان معالجة الاستبيان قد بينت ان 62 % من المستجوبين معطلين، وهي نسبة متطابقة مع نسبة العينة العامة للاستبيان.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	معطل	124	62,0	62,0	62,0
	عامل	27	13,5	13,5	75,5
	موظف	34	17,0	17,0	92,5
	إطار	6	3,0	3,0	95,5
	متقاعد	7	3,5	3,5	99,0
	لا إجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- **معالجة وتحليل الاستبيان:**

امـام تعـدد الاسـئلة الـتي تـم طرحهـا بالاسـتبيان وتعـدد امكانـات الاجابـة عنهـا (حـوالي 22800 امكانيـة اجابـة). فانـه مـن المسـتحيل معالجـة وتحليـل كل الاسـئلة والاجوبـة الممكنـة. لذلـك سـنحاول ان نركـز عـلى اهـم الاسـئلة والاجابـات الموجهـة لأهـداف الاسـتبيان، والمتعلقـة بواقـع التنميـة بالجهـة ومعوقاتهـا والاطـراف المسـؤولة عـن فشـلها. اضافـة الى امكانـات التنميـة ومصـادر تمويلهـا والاطـراف المعنيـة بهـا.

- هل توجد تنمية؟

اجمـع 98.5 % مـن المسـتجوبين بـأم العرائـس عـلى غيـاب التنميـة بالمنطقـة، مقابـل الاجابـة بنعـم مـن طـرف مسـتجوب وحيـد وفضـل اثنـين عـدم الاجابـة.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	1	,5	,5	,5
	لا	197	98,5	98,5	99,0
	لا اجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هـذا الاجمـاع يؤكـد عـلى ان التنميـة بمنطقـة ام العرائـس ليـس لهـا وجـود، رغـم ثـراء المنطقـة بالفسـفاط والمـاء والاراضي الفلاحيـة.

- كيف يتمظهر غياب التنمية؟

كانـت نسـب مظاهـر غيـاب التنميـة متقاربـة وانحـصرت في ثـلاث فقـط، اذ كانـت البطالـة بنسـبة 32 %، والفقـر بحـوالي 34 % والتهميـش بنفـس نسـبة الفقـر. وهـو مـا يعـني ان المسـتجوبين يتقاسـمون مظاهـر غيـاب التنميـة بنفـس النسـب تقريبـا. ممـا يؤكـد ان السـكان يقيمون بشـكل جيـد واقعهـم التنمـوي ومظاهره.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	في البطالة	64	32,0	32,0	32,0
	في الفقر	68	34,0	34,0	66,0
	في التهميش	68	34,0	34,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة؟

يمكـن اعتبـار هـذا السـؤال أحـد اهـم واعقـد الاسـئلة في الاسـتبيان، نظـرا لحساسـيته وارتباطـه بـدور شركـة فسـفاط قفصـة في المنطقـة. لذلـك سـتكون الاجابـة عليـه محـددة في تحليـل واقـع التنميـة ومسـتقبلها في الجهـة.

اعتبر 59 % من بمنطقة ام العرائس ان شركة فسفاط قفصة هي المشغل الوحيد بالمنطقة. اي انها تمثل مصدر التنمية الوحيد. كما اعتبر 41 % ان شركة فسفاط قفصة لا تعني لهم شيئا. وهي غالبا مواقف فئة الشباب التي يتراوح عمرها ما بين 20 و30 سنة. وهي الفترة التي اغلقت فيها شركة فسفاط قفصة ابواب الانتداب.

ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	المشغل الوحيد	118	59,0	59,0	59,0
	لا تعني شيئا	82	41,0	41,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- هل الدولة موجودة؟

حضور شركة فسفاط قفصة ودورها، يحيلنا حتما للتساؤل عن مدى حضور الدولة بمنطقة ام العرائس. وبعد معالجة نتيجة الاستبيان حول هذا السؤال، يمكن القول ان 96.5 % من الاجابات كانت اما ان الدولة غائبة ام ان وجودها عقيم (63 % لا وجود لها و 33.5 % وجودها عقيم). وهي نتيجة جد منطقية في مدينة لا وجود لآثار الدولة في التنمية والتشغيل والمرتفق العامة.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	7	3,5	3,5	3,5
	لا	126	63,0	63,0	66,5
	وجود عقيم	67	33,5	33,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

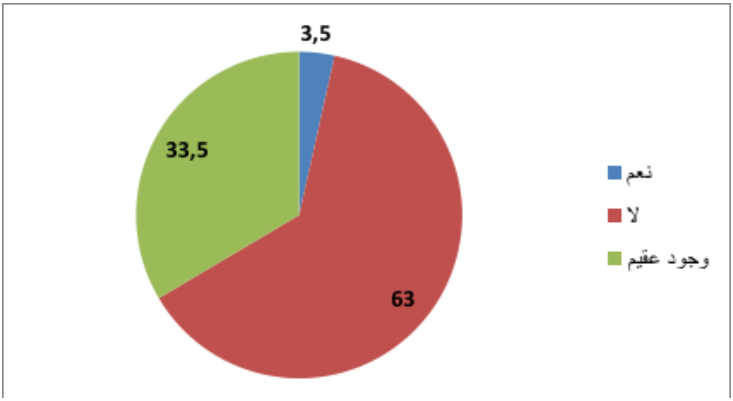

- من المسؤول عن التخلف التنموي؟

اعتبر 64.5 % من العينة المستجوبة بالرديف ان التخلف التنموي مسؤولية السلطة الحاكمة. فان المستجوبين بأم العرائس قد خالفوا هذا التوجه ولم يحملوا السلطة مسؤولية التخلف التنموي الا 27 % فقط منهم. اما الاطراف الرئيسية للتخلف التنموي بعينة ام العرائس فإنها النخب المحلية والنقابات. اذ اعتبر 44 % من العينة ان النقابات هي المسؤولة، في حين تم تحميل المسؤولية للنخب بنسبة 24 %. ولكن تم التأكيد من خلال النسبة الضعيفة لمسؤولية شركة فسفاط قفصة على التخلف التنموي، والتي لم تتجاوز 5 بالمئة، على ان السكان لا يطالبون الشركة بالتنمية.

التخلف التنموي مسؤولية من؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	السلطة	54	27,0	27,0	27,0
	شركة فسفاط قفصة	10	5,0	5,0	32,0
	النخب المحلية	48	24,0	24,0	56,0
	النقابة	88	44,0	44,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- كيفية اختيار المرشح في الانتخابات:

أدرجنا هذا السؤال لمعرفة القاعدة التي ينتخب على اساسها السكان مرشحيهم سواء في مجلس نواب الشعب او المجالس البلدية. اذ ان قاعدة الاختيار تحمل اصحابها نتائج اختيارهم في المجالات التنموية. معالجة الاجابات حول هذا السؤال تم تلخيصها بالجدول التالي:

في حالة نعم، كيف اخترت؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الرابطة الدموية	62	31,0	31,0	31,0
	وعود	41	20,5	20,5	51,5
	متحزب(ة)	15	7,5	7,5	59,0
	قناعة بالبرنامج	22	11,0	11,0	70,0
	غير معني بالسؤال	60	30,0	30,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

يتبين من الجدول ان 30% من العينة لم تشارك في الانتخابات، اغلبها من الفئة الشبابية (20-30 سنة). كما ان الاختيار على قاعدة الرابطة الدموية يمثل 31 % اي قرابة الثلث، وهو اختيار يؤكد الطابع القبلي للتركيبة الاجتماعية بأم العرائس.

- تنمية بدون فسفاط؟

يمثل هذا السؤال محور اهداف الدراسة. اذ انه وفي المرحلة الثانية منها، وبالاعتماد على المعاينات الميدانية والدراسات المعمقة التي انجزت حول المدن المنجمية. تم التأكيد على وجود امكانات كبيرة للتنمية خارج الفسفاط. لكن نريد معرفة آراء السكان حول هذا الموضوع، وهل هم فعلا مقتنعون بان امكانات التنمية بدون فسفاط متوفرة بالجهة ام لا؟

بعد معالجة نتائج الاستبيان حول هذا السؤال تبين ان 81.5% من العينة المستجوبة يؤكدون امكانية التنمية بدون فسفاط. في حين 18 % فقط لا يرون تنمية خارج الفسفاط. وبالتالي يمكننا القول ان غالبية سكان الحوض المنجمي لهم قناعة بان مدنهم تتوفر على امكانات تنموية غير الفسفاط قادرة على تغيير وجه المنطقة على المدى المتوسط والبعيد لو توفرت الارادة السياسية.

هل يمكن الحديث عن تنمية بدون الفسفاط؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	163	81,5	81,5	81,5
	لا	36	18,0	18,0	99,5
	لا إجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ما هي امكانات التنمية؟

كانت الاجابات على هذا السؤال متنوعة، ويمكن تلخيصها بالجدول التالي:

ما هي هذه الإمكانات؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	مواد إنشائية	77	38,5	38,5	38,5
	فلاحة	67	33,5	33,5	72,0
	سياحة	5	2,5	2,5	74,5
	منطقة حرة حدودية	13	6,5	6,5	81,0
	غير معني بالسؤال	37	18,5	18,5	99,5
	لا إجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

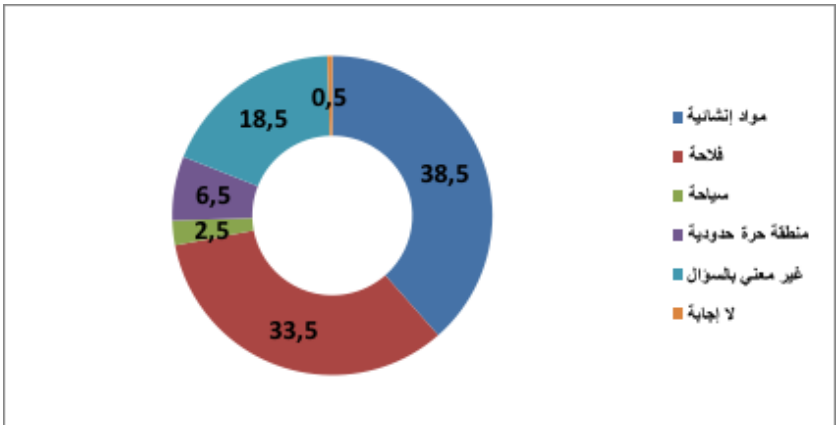

من خلال الجدول السابق والرسم البياني، تعتبر المواد الانشائية والفلاحة والمنطقة الحرة الحدودية، كلها امكانات تنموية يقرها سكان مدينة ام العرائس لإنجاز تنمية حقيقية متحررة من سلطة الفسفاط. الا ان العملية ليست مرتبطة بوجود الإمكانات التنموية بل بالسياسات والخطط العملية لتفعيلها.
كما تم تعداد المواد الانشائية في اجابات عن السؤال الموالي من الاستبيان، ويمكن حصرها وفق الاجابات في الرمال والكلس والطين والجبس. ولعل اهم مادة انشائية كان عليها اجماع هي الرمال ويأتي الطين في المرتبة الثانية من حيث الاهمية لدى المستجوبين.

اما الفلاحة، فان اغلب الاجابات اكدت على ارتباطها بالماء، الذي يعتبره السكان مصدر مهدورا من طرف شركة فسفاط قفصة التي تستغل كميات كبيرة منه لغسل الفسفاط وتصريف مياهها الملوثة لتلويث ما تبقى من الماء في جوف الارض؟

كما اكدت نسبة كبيرة من العينة على فشل المشاريع الفلاحية بالجهة، وذلك ارتباطا بنقص الماء من ناحية، وضعف دعم الدولة للأنشطة الفلاحية بالمنطقة.

كما تم اجماع على وجود امكانات سياحية بالمنطقة متمثلة خاصة في الجبال والدواميس القديمة.

- من يمول التنمية؟

مثلما ذكرنا سابقا، ليس المهم وجود امكانات طبيعية للتنمية. بل المهم من سيمول التنمية ودور الدولة في ذلك؟

من خلال معالجة الاجابات حول هذا السؤال، يتبين ان الاجابات حصرت تمويل التنمية بين الدولة وشركة فسفاط قفصة، مع اعطاء النسبة الاكبر للشركة. وهي نتيجة مخالفة كليا لما ذهب اليه المستجوبون بالرديف الذين اعطوا النسبة الاكبر للقطاع الخاص. يلخص الجدول التالي نسب هذه الاجابات بالنسبة لام العرائس:

من يمول التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الدولة	88	44,0	44,0	44,0
	شركة فسفاط قفصة	95	47,5	47,5	91,5
	الخواص	5	2,5	2,5	94,0
	الشراكة	12	6,0	6,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال الجدول، يتبين ان نسبة من حملوا الدولة مسؤولية تمويل التنمية تقدر بحوالي 44 %، في حين ان نسبة تحمل شركة فسفاط قفصة للتنمية قدرت بحوالي 47.5 %. مما يعكس صورة نمطية على ان شركة فسفاط قفصة هي الدولة فعليا بالمنطقة. اما بالنسبة للخواص فهم ومن خلال نسبتهم الضعيفة التي لم تتجاوز 2.5 %، خارج الادوار التنموية في المستقبل بالمنطقة.

- كيف ترى دور السكان في تحقيق التنمية؟

من خلال هذا السؤال، نريد التعرف على راي السكان حول دورهم او ما يجب ان يفعلوه لتحقيق التنمية بمنطقتهم. وبعد معالجة الاجابات، تبين ان **42.5 % من العينة يعتبرون الحوار** مدخلا للسكان لتحقيق التنمية. فيما يقر 20 % منهم بالاحتجاج و37 **% يعتبرون ان ايقاف نشاط الفسفاط وسيلة ناجعة** لدفع السلطة لتحقيق التنمية. وتعتبر هذه النسبة مرتفعة وتؤشر على ان الوضع الاجتماعي بالمنطقة متشنج وقد فقد الثقة في الحوار مع السلطة حول المسائل المرتبطة بالتنمية والتشغيل.

كيف ترى دور السكان في تحقيق تنمية بالمنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الاحتجاج	40	20,0	20,0	20,0
	الحوار	85	42,5	42,5	62,5
	إيقاف نشاط الفسفاط	74	37,0	37,0	99,5
	لا إجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- دور الاطراف المحلية والمجتمع المدني في التنمية؟

حاولنا من خلال الاسئلة 9 و11 و12 من عنصر تمويل وانجاز التنمية معرفة آراء المستجوبين حول الاطراف التي يمكن ان يكون لها دور في التنمية وخاصة السلطة المحلية والاتحاد العام التونسي للشغل وجمعيات المجتمع المدني.

بعد معالجة الاجابات حول هذه الاسئلة، يمكن تلخيصها في الجداول التالي:

هل للسلطة المحلية دور في التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	28	14,0	14,0	14,0
	لا	171	85,5	85,5	99,5
	لا إجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للاتحاد العام التونسي للشغل دور في التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	27	13,5	13,5	13,5
	لا	173	86,5	86,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للمجتمع المدني دور في انجاز التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	149	74,5	74,5	74,9
	لا	50	25,0	25,0	99.5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0		100,0

من خلال هذه الجداول، يمكننا القول ان اغلب العينة لا يرون للسلطة المحلية اي دور في تحقيق التنمية (نسبة 85.5 %)، كما ان 86.5 % من المستجوبين لا يرون اي دور للاتحاد العام التونسي للشغل في مستقبل التنمية بالجهة

وهـو موقـف يمكـن ان يترجـم حالـة الغضـب الشـعبي تجـاه النقابـات وضـد الـدور السـلبي الـذي لعبتـه ولازالـت في مجـال التنميـة والتشـغيل بالمنطقـة.

لكـن تـم اجمـاع بحـوالي 74.5 % مـن المسـتجوبين عـلى اهميـة دور المجتمـع المـدني وجمعياتـه في تحقيـق التنميـة. وهـي ثقـة تترجـم اهميـة هـذا المجتمـع المـدني والثقـة الـتي بـدا يكتسـبها لـدى فئـات واسـعة مـن السـكان.

3-7- معالجة وتحليل الاستبيان بمدينة المتلوي

قبـل تحليـل ومعالجـة نتائـج الاسـتبيان المتعلـق بمدينـة المتلـوي، سـنقوم بتشـخيص مختـصر للعينـة المسـتجوبة (200 اسـتجواب)، والتعـرف عـلى مـدى مطابقتهـا للعينـة العامـة للاسـتبيان.

- **تشخيص العينة:**

تتميـز العينـة المسـتجوبة بالمتلـوي حسـب الجنـس بتطابقهـا مـع العينـة العامـة في مـا يخـص الجنـس. مـن خـلال ارتفـاع نسـبة الذكـور المسـتجوبون مقارنـة بنسـبة الانـاث. فكانـت نسـبة الذكـور 51%، مقابـل 49 % للإنـاث فقـط مثلمـا يوضحـه الجـدول التـالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	102	51,0	51,0	51,0
	أنثى	98	49,0	49,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

امـا بالنسـبة لتوزيـع العينـة حسـب المسـتوى التعليمـي، فـان المسـتجوبين مـن التعليـم الثانـوي يمثلـون النسـبة الاكـبر بحـوالي.48 %، مقابـل 41.5 % للتعليـم العـالي و2 % فقـط للابتـدائي. وهـو مـا يجعـل العينـة بالمتلـوي متطابقـة مـع خصائـص العينـة العامـة للاسـتبيان في هـذا المجـال.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لا شيء	4	2,0	2,0	2,0
	ابتدائي	17	8,5	8,5	10,5
	ثانوي	96	48,0	48,0	58,5
	عالي	83	41,5	41,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

امـا توزيـع العينـة حسـب المهنـة، فـان معالجـة الاسـتبيان قـد بينـت ان 60.5 % مـن المسـتجوبين معطلـين، وهـي نسـبة قريبـة مـع نسـبة العينـة العامـة للاسـتبيان في عنـصر المهنـة.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	معطل	121	60,5	60,5	60,5
	عامل	23	11,5	11,5	72,0
	موظف	38	19,0	19,0	91,0
	إطار	6	3,0	3,0	94,0
	متقاعد	12	6,0	6,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- معالجة وتحليل الاستبيان:

امـام تعـدد الاسـئلة الـتي تـم طرحهـا بالاسـتبيان وتعـدد امكانـات الاجابـة عنهـا. فانـه مـن المسـتحيل معالجـة وتحليـل كل الاسـئلة والاجوبـة الممكنـة. لذلـك سـنحاول ان نركـز عـلى اهـم الاسـئلة والاجابـات الموجهـة لأهـداف الاسـتبيان، والمتعلقـة بواقـع التنميـة بالجهـة ومعوقاتهـا والاطـراف المسـؤولة عـن فشـلها. اضافـة الى امكانـات التنميـة ومصـادر تمويلهـا والاطـراف المعنيـة بهـا.

- هل توجد تنمية؟

حـول الاجابـة عـلى هـذا السـؤال بالنسـبة لعينـة الاسـتجواب بالمتلـوي، يمكـن القـول ان المسـتجوبين قـد اجمعـوا بنسـبة 99 % مـن عـلى غيـاب التنميـة بالمنطقـة، مقابـل الاجابـة بنعـم مـن طـرف مسـتجوبين اثنـين فقـط. وهـذا الاجمـاع يؤكـد واقـع التنميـة المـتردي بمدينـة المتلـوي وبمنطقـة الحـوض المنجمـي بشـكل عـام.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	2	1,0	1,0	1,0
	لا	198	99,0	99,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- كيف يتمظهر غياب التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	في البطالة	91	45,5	45,5	45,5
	في الفقر	77	38,5	38,5	84,0
	في التهميش	31	15,5	15,5	99,5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال الجدول، يتبين ان المستجوبين قد حصروا تمظهرات غياب التنمية في المتلوي في ثلاث عناصر. واعتبروا ان البطالة اهم هذه العناصر بنسبة تقدر بحوالي 45.5 %، اما الفقر فبنسبة 38.5 % والتهميش بنسبة 15.5 % فقط. ويمكن القول ان ارتفاع نسبة الفقر والبطالة يمثلان أكثر اشكال التهميش الاقتصادي والاجتماعي.

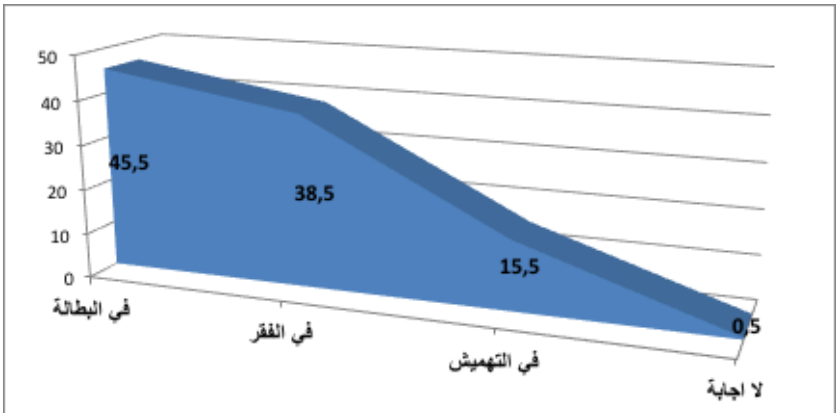

- ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة؟

يمكن اعتبار هذا السؤال أحد اهم واعقد الاسئلة في الاستبيان، نظرا لحساسيته وارتباطه بدور شركة فسفاط قفصة في المنطقة. لذلك ستكون الاجابة عليه محددة في تحليل واقع التنمية ومستقبلها في الجهة.

اعتبر 79.5 % من العينة المستجوبة بمنطقة المتلوي ان شركة فسفاط قفصة هي المشغل الوحيد بالمنطقة. اي انها تمثل مصدر التنمية الوحيد. كما اعتبر 20.5 % فقط ان شركة فسفاط قفصة لا تعني لهم شيئا. ويمكن ان نفهم هذه النسبة المرتفعة من خلال الثقل الاداري والاستخراجي لشركة فسفاط قفصة بالمنطقة. اذ تعتبر المتلوي عاصمة الانتاج الفسفاطي في البلاد

ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	المشغل الوحيد	159	79,5	79,5	79,5
	لا تعني شيئا	41	20,5	20,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- هل الدولة موجودة؟

حضـور شركـة فسـفاط قفصـة ودورهـا، يحيلنـا حتمـا للتسـاؤل عـن مـدى حضـور الدولـة بمنطقـة المتلـوي. وبعـد معالجـة نتيجـة الاسـتبيان حـول هـذا السـؤال، يمكـن القـول ان 82% مـن الاجابـات اقـرت بغيـاب الدولـة. وهـو مـا يعـني ان غالبيـة سـكان مدينـة المتلـوي مقتنعـون بعـدم وجـود الدولـة لغيـاب التنميـة والبـنى التحتيـة وتـردي إطـار عيـش النـاس.

هل الدولة موجودة بالمنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	3	1,5	1,5	1,5
	لا	164	82,0	82,0	83,5
	وجود عقيم	33	16,5	16,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

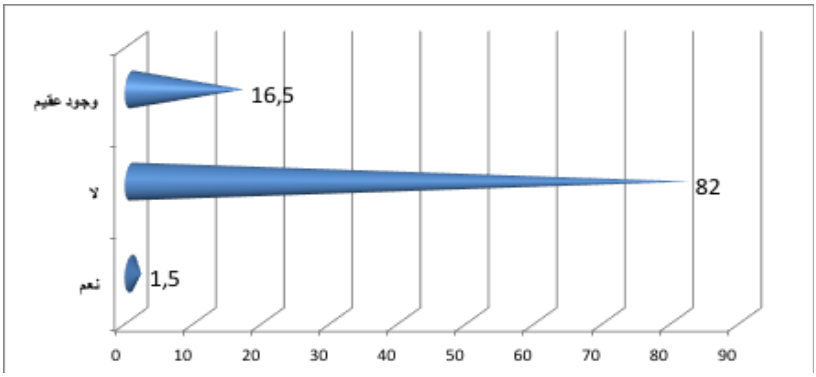

- من المسؤول عن التخلف التنموي؟

التخلف التنموي مسؤولية من؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	السلطة	50	25,0	25,0	25,0
	شركة فسفاط قفصة	10	5,0	5,0	30,0
	النخب المحلية	135	67,5	67,5	97,5
	النقابة	5	2,5	2,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اعتبر المستجوبون بالمتلوي ان النخب المحلية تتحمل وزر التخلف التنموي بالمنطقة وذلك بنسبة تقدر بحوالي 67.5 %. في حين ان السلطة لم يحملوها مسؤولية التخلف التنموي الا بنسبة لا تتجاوز25 %، وهو ما يعد مخالفا لما ذهب اليه المستجوبون بالرديف وام العرائس الذين حملوا وزر التخلف التنموي للسلطة. كما وجب التذكير في هذا المجال، ان الاستبيان في المناطق المنجمية الثلاث اتفقوا على عدم مسؤولية شركة فسفاط قفصة على التخلف التنموي.

- كيفية اختيار المرشح في الانتخابات:

أدرجنا هذا السؤال لمعرفة القاعدة التي ينتخب على اساسها السكان مرشحيهم سواء في مجلس نواب الشعب او المجالس البلدية. اذ ان قاعدة الاختيار تحمل اصحابها نتائج اختيارهم في المجالات التنموية. معالجة الاجابات حول هذا السؤال تم تلخيصها بالجدول التالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الرابطة الدموية	61	30,5	30,5	30,5
	وعود	30	15,0	15,0	45,5
	متحزب(ة)	12	6,0	6,0	51,5
	قناعة بالبرنامج	14	7,0	7,0	58,5
	غير معني بالسؤال	83	41,5	41,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

يتبين من الجدول ان 41.5% من العينة لم تشارك في الانتخابات، والغالب للظن انها من فئة الشباب (20-30 سنة). كما ان الاختيار على قاعدة الرابطة الدموية يمثل 30.5 %، وهو ما يعني ان العلاقات السياسية والاجتماعية بمنطقة المتلوي بقيت تقليدية ومرتكزة على القبيلة والعرش. وهو ما يفسر ضعف نسبة المتحزبين التي لم تتجاوز 6 % فقط.

- تنمية بدون فسفاط؟

يمثل هذا السؤال محور اهداف الدراسة. اذ انه وفي المرحلة الثانية منها، وبالاعتماد على المعاينات الميدانية والدراسات المعمقة التي انجزت حول المدن المنجمية. تم التأكيد على وجود امكانات كبيرة للتنمية خارج الفسفاط. لكن نريد معرفة آراء السكان حول هذا الموضوع، وهل هم فعلا مقتنعون بان امكانات التنمية بدون فسفاط متوفرة بالجهة ام لا؟

بعد معالجة نتائج الاستبيان حول هذا السؤال تبين ان 88% من العينة المستجوبة بالمتلوي يؤكدون امكانية التنمية بدون فسفاط. في حين 12 % فقط لا يرون تنمية خارج الفسفاط. وبالتالي يمكننا القول ان غالبية سكان الحوض المنجمي لهم قناعة بان مدنهم تتوفر على امكانات تنموية غير الفسفاط

قـادرة عـلى تغيـير وجـه المنطقـة عـلى المـدى المتوسـط والبعيـد لـو توفـرت الارادة السياسـية.

هل يمكن الحديث عن تنمية بدون الفسفاط؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	176	88,0	88,0	88,0
	لا	24	12,0	12,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ما هي امكانات التنمية؟

بعد معالجة نتائج الاجابات على هذا السؤال، يمكن تلخيصها بالجدول التالي:

ما هي هذه الإمكانات؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	مواد إنشائية	79	39,5	39,5	39,5
	فلاحة	113	56,5	56,5	96,0
	سياحة	4	2,0	2,0	98,0
	منطقة حرة حدودية	2	1,0	1,0	99,0
	لا إجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

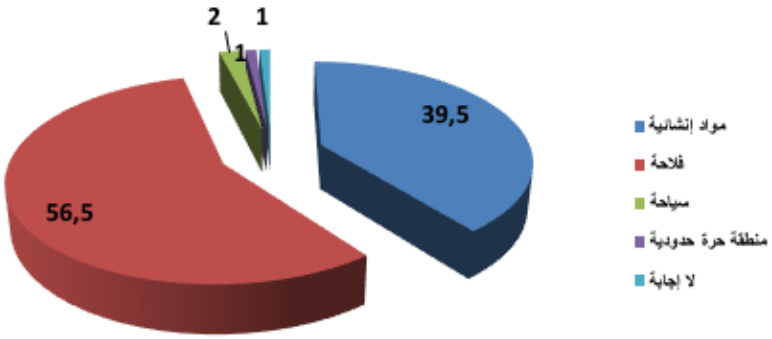

من خلال الجدول السابق والرسم البياني، تعتبر المواد الانشائية والفلاحة الإمكانات المتوفرة بالجهة لإنجاز تنمية حقيقية متحررة من سلطة الفسفاط. الا ان العملية ليست مرتبطة بوجود الإمكانات التنموية بل بالسياسات والخطط العملية لتفعيلها. اذ ان نسبة الذين يراهنون على الفلاحة تقدر بحوالي 56.5 %، في حين اعتبر 39.5 % من المستجوبين ان المواد الانشائية مصدرا وامكانية حقيقية للتنمية.

كما تم تعداد المواد الانشائية في اجابات عن السؤال الموالي من الاستبيان، ويمكن حصرها وفق الاجابات في الرمال والكلس والطين. ولعل اهم مادة انشائية كان عليها اجماع هي الكلس ثم تأتي الرمال فالطين من حيث الاهمية لدى المستجوبين.

اما الفلاحة، فان اغلب الاجابات اكدت على ارتباطها بالماء، الذي يعتبره السكان مصدرا مهدورا من طرف شركة فسفاط قفصة. رغم ان مدينة المتلوي ليست لها موائد مائية، اذ ان مياه الشرب تأتيها من مناطق اخرى مثل البركة بأم العرائس والقويفلة من ولاية توزر.

كما اكدت نسبة كبيرة من العينة المستجوبة (83.5 %) على فشل المشاريع الفلاحية بالجهة، وذلك ارتباطا بنقص الماء من ناحية، وضعف دعم الدولة للأنشطة الفلاحية بالمنطقة من ناحية اخرى.

كما تم الاجماع على وجود امكانات سياحية بالمنطقة متمثلة خاصة في الجبال والدواميس القديمة والمغاور.

- من يمول التنمية؟

مثلما ذكرنا سابقا، ليس المهم وجود امكانات طبيعية للتنمية. بل المهم من سيمول التنمية ودور الدولة في ذلك؟

من خلال معالجة الاجابات حول هذا السؤال، يتبين ان الاجابات حصرت تمويل التنمية بين الدولة وشركة فسفاط قفصة مع اعطاء النسبة الاكبر للشركة. وهي نتيجة مخالفة كليا لما ذهب اليه العينة المستجوبة بالرديف الذين اعطوا النسبة الاكبر للقطاع الخاص. يلخص الجدول التالي نسب هذه الاجابات بالنسبة للمتلوي:

من يمول التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الدولة	83	41,5	41,5	41,5
	شركة فسفاط قفصة	113	56,5	56,5	98,0
	الخواص	1	,5	,5	98,5
	الشراكة	3	1,5	1,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال الجدول، يتبين ان نسبة من حملوا الدولة مسؤولية تمويل التنمية تقدر بحوالي 41.5 %، في حين ان نسبة تحمل شركة فسفاط قفصة للتنمية قدرت بحوالي 56.5 %. مما يعكس صورة نمطية على ان شركة فسفاط قفصة هي الدولة فعليا بالمنطقة. اما بالنسبة للخواص فهم ومن خلال نسبتهم الضعيفة التي لم تتجاوز 0.5 %، خارج الادوار التنموية في المستقبل بالمنطقة. وهذه النسب تتطابق مع النسب التي تم استنتاجها من استبيان ام العرائس.

- دور السكان في تحقيق التنمية؟

من خلال هذا السؤال، أردنا التعرف على راي السكان حول دورهم او ما يجب ان يفعلوه لتحقيق التنمية بمنطقتهم. وبعد معالجة الاجابات، تبين ان 45 % من العينة يعتبرون الحوار مدخلا للسكان لتحقيق التنمية. فيما يقر 36 % منهم بالاحتجاج و19 % فقط يعتبرون ان ايقاف نشاط الفسفاط وسيلة ناجعة لدفع السلطة لتحقيق التنمية. وهي نسب تعكس مدى فهم العينة المستجوبة لمتطلبات التنمية وتحقيقها،وخاصة الحوار الذي يمثل بوابة الديمقراطية التشاركية ان توفرت الارادة السياسية لذلك

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الاحتجاج	72	36,0	36,0	36,0
	الحوار	90	45,0	45,0	81,0
	إيقاف نشاط الفسفاط	38	19,0	19,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- دور الاطراف المحلية والمجتمع المدني في التنمية؟

حاولنا من خلال الاسئلة 9 و11 و12 من عنصر تمويل وانجاز التنمية معرفة آراء المستجوبين حول الاطراف التي يمكن ان يكون لها دور في التنمية وخاصة السلطة المحلية والاتحاد العام التونسي للشغل وجمعيات المجتمع المدني.

بعد معالجة الاجابات حول هذه الاسئلة، يمكن تلخيصها في الجداول التالي:

هل للسلطة المحلية دور في التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	16	8,0	8,0	8,0
	لا	184	92,0	92,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للاتحاد العام التونسي للشغل دور في التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	26	13,0	13,0	13,0
	لا	174	87,0	87,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للمجتمع المدني دور في انجاز التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	128	64,0	64,0	64,0
	لا	72	36,0	36,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال هذه الجداول، يمكننا القول ان اغلب العينة لا يرون للسلطة المحلية اي دور في تحقيق التنمية (نسبة 92 %)، كما ان 87 % من المستجوبين لا يرون اي دور للاتحاد العام التونسي للشغل في مستقبل التنمية بالجهة. وهو موقف يمكن ان يترجم حالة الغضب الشعبي تجاه النقابات وضد الدور السلبي الذي لعبته ولازالت في مجال التنمية والتشغيل بالمنطقة.

لكن تم اجماع بحوالي 64 % من المستجوبين على اهمية دور المجتمع المدني وجمعياته في تحقيق التنمية. وهي ثقة تترجم اهمية هذا المجتمع المدني والثقة التي بدا يكتسبها لدى فئات واسعة من السكان.

7-4-معالجة وتحليل الاستبيان بمدينة المظيلة

قبل تحليل ومعالجة نتائج الاستبيان المتعلق بمدينة المظيلة، سنقوم بتشخيص مختصر للعينة المستجوبة (200 استجواب)، والتعرف على مدى مطابقتها للعينة العامة للاستبيان على الاقل فيما يتعلق بتوزيعها وفق الجنس والمستوى الدراسي والمهنة باعتبارها مؤشرات محددة وخصوصية.

- **تشخيص العينة:**

تتميز العينة المستجوبة بالمظيلة حسب الجنس بارتفاع واضح لنسبة الذكور مقابل الاناث. فكانت نسبة الذكور 62 %، مقابل 38 % للإناث فقط، مما يجعلنا نستنتج ان النسيج الاجتماعي بالمظيلة محافظ وذكوري بامتياز مما جعل مشاركة الاناث تكون بهذه النسبة الضعيفة بالمقارنة مع نسبتها الحقيقية في التعداد السكاني للمدينة والتي تمثل 49.3%.

ويمكن تلخيص هذا التوزيع للعينة بالمظيلة وفق الجنس بالجدول التالي:

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	124	62,0	62,0	62,0
	أنثى	76	38,0	38,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما بالنسبة لتوزيع العينة حسب المستوى التعليمي، فان المستجوبين من التعليم الثانوي يمثلون النسبة الأكبر بحوالي 50 %، مقابل 31 % للتعليم العالي و13.5 % فقط للابتدائي. وهو ما يجعل العينة بالمظيلة متطابقة مع خصائص العينة العامة للاستبيان في هذا المجال.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لا شيء	10	5,0	5,0	5,0
	ابتدائي	27	13,5	13,5	18,5
	ثانوي	100	50,0	50,0	68,5
	تعليم عالي	62	31,0	31,0	99,5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

اما توزيع العينة حسب المهنة، فان معالجة الاستبيان قد بينت ان 53.5 % من المستجوبين معطلين، وهي نسبة قريبة من نسبة العينة العامة للاستبيان في عنصر المهنة. كما انها تؤكد ارتفاع نسبة البطالة في المدينة مثل باقي مدن الحوض المنجمي.

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	معطل	107	53,5	53,5	53,5
	عامل	31	15,5	15,5	69,0
	موظف	45	22,5	22,5	91,5
	إطار	7	3,5	3,5	95,0
	متقاعد	7	3,5	3,5	98,5
	لا إجابة	3	1,5	1,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- **معالجة وتحليل الاستبيان:**

امـام تعـدد الاسـئلة الـتي تـم طرحهـا بالاسـتبيان وتعـدد امكانـات الاجابـة عنهـا، والـتي تتجـاوز 22 ألـف امكانيـة جـواب بالنسـبة لعـدد الاسـتبيانات الـتي تـم انجازهـا ميدانيـا والمقـدرة ب 200. فانـه مـن المسـتحيل معالجـة وتحليـل كل الاسـئلة والاجوبـة الممكنـة. لذلـك سـنحاول ان نركـز عـلى اهـم الاسـئلة والاجابـات الموجهـة لأهـداف الاسـتبيان، والمتعلقـة بواقـع التنميـة بالجهـة ومعوقاتهـا والاطـراف المسـؤولة عـن فشـلها. اضافـة الى امكانـات التنميـة ومصـادر تمويلهـا والاطـراف المعنيـة بهـا.

- هل توجد تنمية؟

حـول الاجابـة عـلى هـذا السـؤال بالنسـبة لعينـة الاسـتجواب بالمظيلـة، يمكـن القـول ان المسـتجوبين قـد اجمعـوا بنسـبة 99 **% مـن عـلى غيـاب التنميـة بالمنطقـة**، مقابـل الاجابـة بنعـم مـن طـرف مسـتجوب وحيـد، في حـين احتفـظ واحـد فقـط بإجابتـه. وهـذا الاجمـاع يؤكـد واقـع التنميـة المـتردي بالمدينـة وبمنطقـة الحـوض المنجمـي بشـكل عـام.

هل هنالك تنمية بالجهة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	1	,5	,5	,5
	لا	198	99,0	99,0	99,5
	لا اجابة	1	,5	,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- كيف يتمظهر غياب التنمية؟

في حالة لا كيف تتمظهر؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	في البطالة	96	48,0	48,0	48,0
	في الفقر	60	30,0	30,0	78,0
	في التهميش	40	20,0	20,0	98,0
	لا اجابة	4	2,0	2,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

مـن خـلال الجـدول، يتبـين ان المسـتجوبين قـد حـصروا مظاهـر غيـاب التنميـة في مدينـة المظيلـة في ثـلاث عنـاصر. واعتـبروا ان البطالـة اهـم هـذه العنـاصر بنسـبة تقـدر بحـوالي 48 %، امـا الفقـر فبنسـبة 30% والتهميـش بنسـبة 20 % فقـط. ويمكـن القـول ان ارتفـاع نسـبة الفقـر والبطالـة يمثـلان أكـثر اشـكال التهميـش الاقتصـادي والاجتماعـي.

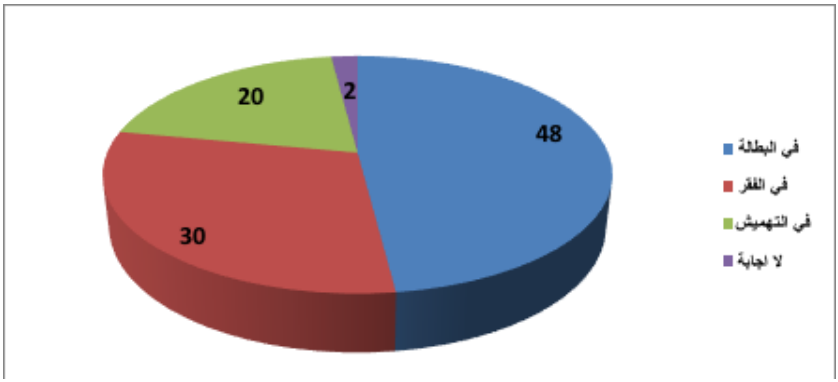

- ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة؟

يمكن اعتبار هذا السؤال أحد اهم واعقد الاسئلة في الاستبيان، نظرا لحساسيته وارتباطه بدور شركة فسفاط قفصة في المنطقة. لذلك ستكون الاجابة عليه محددة في تحليل واقع التنمية ومستقبلها في الجهة.

من خلال الجدول المصاحب، ا**عتبر 90.5 % من العينة المستجوبة بمنطقة المظيلة، ان شركة فسفاط قفصة هي المشغل الوحيد بالمنطقة.** اي انها تمثل مصدر التنمية الوحيد. وهو ما يفسر ضعف نسبة المستجوبين الذين اجابوا بكون شركة فسفاط قفصة لا تعني لهم شيئا (8 % فقط). كما تعني هذه النسبة المرتفعة لقوة حضور الشركة رغم وجود المجمع الكيميائي التونسي والذي يمكن القول ان سكان المظيلة يعتبرون المجمع تابع لشركة فسفاط قفصة.

ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	المشغل الوحيد	181	90,5	90,5	90,5
	لا تعني شيئا	16	8,0	8,0	98,5
	لا اجابة	3	1,5	1,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- هل الدولة موجودة؟

حضور شركة فسفاط قفصة ودورها، يحيلنا حتما للتساؤل عن مدى حضور الدولة بمنطقة المظيلة من عدمها خاصة بعد النسبة الكبيرة لدورها في التشغيل. وبعد معالجة نتيجة الاستبيان حول هذا السؤال، يمكن القول ان 55.5 % من الاجابات اقرت بوجود عقيم للدولة بالمنطقة، و44 % يعتبرون الدولة غائبة. وهو ما يعني ان غالبية سكان مدينة المظيلة مقتنعون بعدم وجود الدولة وبعقم وجودها لغياب التنمية والبنى التحتية وتردي إطار عيش الناس.

هل الدولة موجودة بالمنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	1	,5	,5	,5
	لا	88	44,0	44,0	44,5
	وجود عقيم	111	55,5	55,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

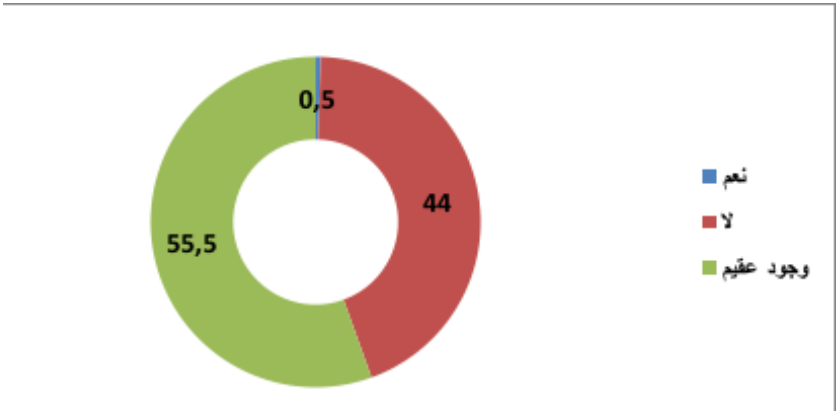

- من المسؤول عن التخلف التنموي؟

التخلف التنموي مسؤولية من؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	السلطة	51	25,5	25,5	25,5
	شركة فسفاط قفصة	22	11,0	11,0	36,5
	النخب الحالية	46	23,0	23,0	59,5
	النقابة	81	40,5	40,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال الجدول يتبين ان المستجوبين قد أقروا ان النقابات تتحمل مسؤولية التخلف التنموي وذلك بنسبة 40.5 % وهي اعلى نسبة تحمل النقابات التخلف التنموي بمدن الحوض المنجمي. وهو ما يعني ان النقابات تلعب دورا سلبيا في المنطقة. كما كانت نسبة النخب المحلية والسلطة متقاربة فيما يتعلق بمسؤولية التخلف التنموي، والتي كانت 23 % بالنسبة للأولى و25 % للسلطة. التنموي بالمنطقة. **كما وجب التذكير في هذا المجال، ان الاستبيان في المناطق المنجمية الاربعة اتفقوا على عدم مسؤولية شركة فسفاط قفصة على التخلف التنموي.**

- كيفية اختيار المرشح في الانتخابات:

أدرجنا هذا السؤال لمعرفة القاعدة التي ينتخب على اساسها السكان مرشحيهم سواء في مجلس نواب الشعب او المجالس البلدية. اذ ان قاعدة الاختيار تحمل اصحابها نتائج اختيارهم في المجالات التنموية. معالجة الاجابات حول هذا السؤال تم تلخيصها بالجدول التالي:

في حالة نعم، كيف اختارت؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الرابطة الدموية	47	23,5	23,5	23,5
	وعود	14	7,0	7,0	30,5
	متحزب(ة)	12	6,0	6,0	36,5
	قناعة بالبرنامج	16	8,0	8,0	44,5
	غير معني بالسؤال	111	55,5	55,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

يتبين من الجدول **ان 55.5% من العينة لم تشارك في الانتخابات، والغالب للظن انها من فئة الشباب (30-20 سنة)**. كما ان الاختيار على قاعدة الرابطة الدموية يمثل 23.5 %، وهو ما يعني ان العلاقات السياسية والاجتماعية بمنطقة المظيلة لازالت تقليدية ومرتكزة على القبيلة والعرش. وهو ما يفسر ضعف نسبة المتحزبين التي لم تتجاوز 6 % فقط.

- تنمية بدون فسفاط؟

يمثل هذا السؤال محور اهداف الدراسة. اذ انه وفي المرحلة الثانية منها، وبالاعتماد على المعاينات الميدانية والدراسات المعمقة التي انجزت حول المدن المنجمية. تم التأكيد على وجود امكانات كبيرة للتنمية خارج الفسفاط. لكن نريد معرفة آراء السكان حول هذا الموضوع، وهل هم فعلا مقتنعون بان امكانات التنمية بدون فسفاط متوفرة بالجهة ام لا؟

بعد معالجة نتائج الاستبيان حول هذا السؤال تبين ان 88.5 % من العينة المستجوبة يؤكدون امكانية التنمية بدون فسفاط. في حين 11.5 % فقط لا يرون تنمية خارج الفسفاط. وبالتالي يمكننا القول ان غالبية سكان الحوض المنجمي لهم قناعة بان مدنهم تتوفر على امكانات تنموية غير الفسفاط قادرة على تغيير وجه المنطقة على المدى المتوسط والبعيد لو توفرت الارادة السياسية.

هل يمكن الحديث عن تنمية بدون الفسفاط؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	177	88,5	88,5	88,5
	لا	23	11,5	11,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

- ما هي امكانات التنمية؟

بعد معالجة نتائج الاجابات على هذا السؤال، يمكن تلخيصها بالجدول التالي:

ما هي هذه الإمكانات؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	مواد إنشائية	30	15,0	15,0	15,0
	فلاحة	134	67,0	67,0	82,0
	سياحة	7	3,5	3,5	85,5
	منطقة حرة حدودية	4	2,0	2,0	87,5
	غير معني بالسؤال	23	11,5	11,5	99,0
	لا إجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

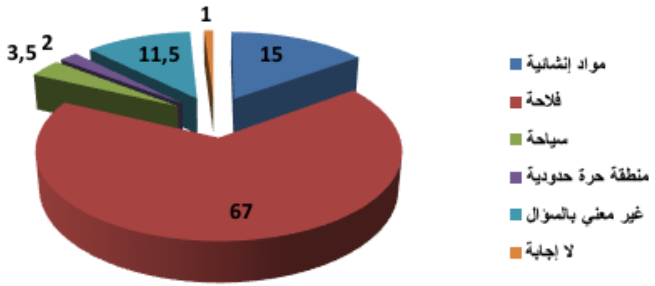

من خلال الجدول السابق والرسم البياني، تعتبر المواد الانشائية والفلاحة الرهان المتوفر بالجهة لإنجاز تنمية حقيقية متحررة من سلطة الفسفاط. الا ان العملية ليست مرتبطة بوجود الإمكانات التنموية بل بالسياسات والخطط العملية لتفعيلها. اذ ان نسبة الذين يراهنون على الفلاحة تقدر بحوالي 67 %، في حين اعتبر 15 % من المستجوبين ان المواد الانشائية مصدر وامكانية حقيقية للتنمية.

كما تم تعداد المواد الانشائية في اجابات عن السؤال الموالي من الاستبيان، ويمكن حصرها وفق الاجابات في الرمال والكلس والطين. ولعل اهم مادة انشائية كان عليها اجماع هي الرمال ثم تأتي الطين والكلس من حيث الاهمية لدى المستجوبين.

اما الفلاحة، فان اغلب الاجابات اكدت على ارتباطها بالماء، الذي يعتبره السكان مصدرا مهدورا من طرف شركة فسفاط قفصة. رغم ان مدينة المظيلة ليست لها موارد مائية، اذ ان مياه الشرب تأتيها من منطقة الارطس بالقطار.

كما اكدت نسبة كبيرة من العينة المستجوبة (78.5 %) على فشل المشاريع الفلاحية بالجهة، وذلك ارتباطا بضعف دعم الدولة للأنشطة الفلاحية بالمنطقة.
كما تم اجماع على وجود امكانات سياحية بالمنطقة متمثلة خاصة في الجبال والدواميس القديمة.

- من يمول التنمية؟

مثلما ذكرنا سابقا، ليس المهم وجود امكانات طبيعية للتنمية. بل المهم من سيمول التنمية ودور الدولة في ذلك؟

من خلال معالجة الاجابات حول هذا السؤال، يتبين ان الاجابات حصرت تمويل التنمية بين الدولة وشركة فسفاط قفصة مع اعطاء النسبة الاكبر للدولة. وهي نتيجة مخالفة كليا لما ذهبت اليه العينة المستجوبة بالرديف الذين اعطوا النسبة الاكبر للقطاع الخاص.
يلخص الجدول التالي نسب هذه الاجابات بالنسبة لمنطقة المظيلة:

من يمول التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الدولة	142	71,0	71,0	71,0
	شركة فسفاط قفصة	48	24,0	24,0	95,0
	الخواص	2	1,0	1,0	96,0
	الشراكة	1	,5	,5	96,5
	لا إجابة	7	3,5	3,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال الجدول، يتبين ان نسبة من حملوا الدولة مسؤولية تمويل التنمية تقدر بحوالي 71 %، في حين ان نسبة تحمل شركة فسفاط قفصة للتنمية قدرت بحوالي 24 %. مما يؤكد على ان سكان المظيلة متمسكون بضرورة ان تقوم الدولة بدورها الفعلي والطبيعي في تنمية الجهة وإستغلال مواردها في إطار نمط تنموي وطني جديد. كما وجب التأكيد على غياب كامل لدور القطاع الخاص في التنمية حسب المستجوبين بالمظيلة، اذ ان نسبتهم لا تتجاوز 1 % فقط. وهو دليل على غياب شبه كلي للاستثمارات الخاصة بمنطقة الحوض المنجمي بشكل عام.

- دور السكان في تحقيق التنمية؟

من خلال هذا السؤال، أردنا التعرف على راي السكان حول دورهم او ما يجب ان يفعلوه لتحقيق التنمية بمنطقتهم. وبعد معالجة الاجابات، تبين ان **42 % من العينة يعتبرون الحوار** مدخلا للسكان لتحقيق التنمية. فيما يقر 32 % منهم بالاحتجاج و**24 % يعتبرون ان ايقاف نشاط الفسفاط وسيلة ناجعة** لدفع السلطة لتحقيق التنمية. وهي نسب تعكس مدى فهم العينة المستجوبة لمتطلبات التنمية وتحقيقها، وخاصة الحوار الذي يمثل بوابة الديمقراطية التشاركية ان توفرت الارادة السياسية لذلك.

كيف ترى دور السكان في تحقيق تنمية بالمنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الاحتجاج	64	32,0	32,0	32,0
	الحوار	84	42,0	42,0	74,0
	إيقاف نشاط الفسفاط	49	24,5	24,5	98,5
	لا إجابة	3	1,5	1,5	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

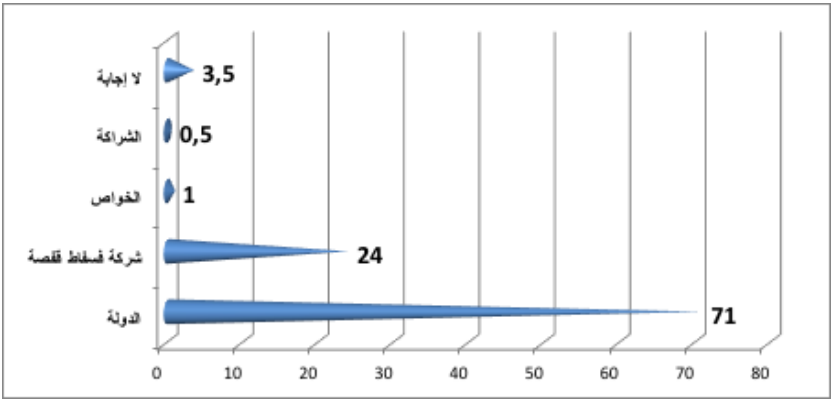

- دور الاطراف المحلية والمجتمع المدني في التنمية؟

حاولنا من خلال الاسئلة 9 و11 و12 من عنصر تمويل وانجاز التنمية معرفة آراء المستجوبين حول الاطراف التي يمكن ان يكون لها دور في التنمية وخاصة السلطة المحلية والاتحاد العام التونسي للشغل وجمعيات المجتمع المدني.

بعد معالجة الاجابات حول هذه الاسئلة، يمكن تلخيصها في الجداول التالي:

هل للسلطة المحلية دور في التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	39	19,5	19,5	19,5
	لا	159	79,5	79,5	99,0
	لا إجابة	2	1,0	1,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للاتحاد العام التونسي للشغل دور في التنمية في المنطقة؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	6	3,0	3,0	3,0
	لا	194	97,0	97,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

هل للمجتمع المدني دور في انجاز التنمية؟

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم	36	18,0	18,0	18,0
	لا	164	82,0	82,0	100,0
	Total	200	100,0	100,0	

من خلال هذه الجداول، يمكننا القول ان اغلب العينة لا يرون للسلطة المحلية اي دور في تحقيق التنمية (نسبة 79.5 %)، كما ان 97 % من المستجوبين لا يرون اي دور للاتحاد العام التونسي للشغل في مستقبل التنمية بالجهة. وهو موقف يمكن ان يترجم حالة الغضب الشعبي تجاه النقابات وضد الدور السلبي الذي لعبته ولازالت تقوم به في مجال التنمية والتشغيل بالمنطقة. وهو ما يؤكد تحميله التخلف التنموي بالمظيلة وفق ما تم ذكره سابقا.

لكن تم اجماع بحوالي 82 % من المستجوبين على ان المجتمع المدني وجمعياته ليس لهم اي علاقة بالتنمية في المنطقة. وهي نسبة تعكس غياب ميداني للمجتمع المدني وضعفه في مدينة المظيلة.

8- الاستنتاجات العامة حول الاستبيان الميداني

بعد معالجة كل المعطيات والاجابات الممكنة بالاستبيان سواء على مستوى تشخيص العينة العامة، او على مستوى الاستبيانات المتعلقة بكل مدينة منجمية. وبعد تحليل اهم نتائج الاستبيان واستطلاع راي المستجوبين (800 مستجوب) حول اهم الاسئلة الموجهة من خلال الاستبيان، والتي حاولنا جاهدين الارتباط بموضوع الدراسة واهدافها. يمكننا استخلاص الاستنتاجات التالية:

- اجماع كل المستجوبين وبنسبة تتجاوز 98 % على غياب التنمية بكل المدن المنجمية
- تتمظهر غياب التنمية بالمدن المنجمية في انتشار البطالة والفقر والتهميش بالمدن، مما جعلها مدن طاردة للسكان مثلما بينا ذلك في المرحلة الثانية من الدراسة
- شركة فسفاط قفصة بقيت لدى الضمير الجمعي لسكان مدن الحوض المنجمي المشغل الوحيد بالجهة، رغم ان فئة من الشباب المستجوب عبروا على ان الشركة لا تعني لهم شيئا وهو منطقي باعتبار ان هؤلاء الشباب عمرهم من عمر الفترة التي تراجعت شركة فسفاط قفصة عن القيام بأدوارها القديمة التي تمثلت في الدولة
- غياب شامل للدولة في هذه المدن وحتى ان وجدت فوجودها دوما يكون عقيم وغير فعال.
- تحميل مسؤولية التخلف التنموي بمدن الحوض المنجمي الى السلطة والنقابات والنخب المحلية ولو بنسب متفاوتة، مع اجماع جل المستجوبين على ان شركة فسفاط قفصة ليس لها اي مسؤولية في غياب التنمية بالمنطقة ككل.
- انتشار العزوف عن المشاركة في الانتخابات وخاصة لدى الفئة الشبابية. كما ان الذين ينتخبون بنسب كبيرة منهم على اساس الروابط الدموية. مما يجعل من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بمدن الحوض المنجمي محكومة بأسس المجتمع التقليدي ومتمركزة حول البعد القبلي والعروشي
- اجماع شبه كلي من طرف المستجوبين حول امكانيات التنمية بدون او بعد الفسفاط بمدن الحوض المنجمي، وان هذه المدن لها من الإمكانات الطبيعية والبشرية ما يمكنها من انجاز تنمية فاعلة ومنتجة للثروة خارج الفسفاط
- القطاع الفلاحي والمواد الانشائية من رمال وطين وكلس وجبس هي المقومات الموجودة للتنمية بالجهة
- دور شركة فسفاط قفصة يبقى هاما في تحقيق تنمية بالمدن المنجمية بدون فسفاط، من خلال مشاركتها في انجاز مشاريع تنموية في مجالات جديدة ومتجددة

- تحميل مسؤولية تمويل التنمية للدولة ثم لشركة فسفاط قفصة باعتبارها تابعة لها، مع عدم اعطاء الخواص اي مسؤولية او قدرة على التنمية في الجهة، نظرا لغيابهم سابقا وحاليا، وبالتالي فهم غير قادرين على المغامرة بإنجاز مشاريع في الجهة بمفردهم. مما يعني ان القطاع الخاص ينتظر الدولة كقاطرة للتنمية بمدن الحوض المنجمي

- اعتبار الحوار أحد اهم المداخل لتفعيل دور السكان في انجاح وانجاز مشاريع تنموية بمدن الحوض المنجمي. كما اعتبر جزء مهم من المستجوبين بان الاحتجاج يمثل وسيلة لدفع الدولة للإيفاء بتعهداتها التنموية. وهو ما يعني فقدان الثقة بين الأهالي والدولة واجهزتها

- الاجماع على الدور السلبي للاتحاد العام التونسي للشغل والنقابات التابعة له في تحقيق التنمية بمدن الحوض المنجمي، اضافة الى عدم القناعة بإعطاء اي دور تنموي للسلطة المحلية المتمثلة في المجالس البلدية المنتخبة سنة 2018. وهو ما يعني ان الصورة النمطية القديمة للبلدية لازالت حاضرة في الضمير الجمعي لسكان الحوض المنجمي.

- رغم حداثة العمل المدني والجمعياتي بالجهة، فان اغلب المستجوبين بالرديف وام العرائس والمتلوي، قد اجمعوا على اهمية ادوار الجمعيات في تحقيق التنمية بالمنطقة. الا بالمظيلة اين اعتبرت نسبة كبيرة من المستجوبين ان لا دور للمجتمع المدني في التنمية. وهذا الموقف يمكن فهمه من زاوية ضعف العمل والحضور المدني بمنطقة المظيلة.

المحور الثاني

اقتراح مشاريع تنموية بمدن الحوض المنجمي

اقتراح مشاريع تنموية بمدن الحوض المنجمي

1- مقدمة:

من خلال نتائج الاستبيان الميداني، وعبر اللقاءات والحوارات المتعددة التي تمت مع الاطراف النقابية والمحلية والسياسية والمدنية بمدن الحوض المنجمي. ومن خلال دراسات العمل الميداني الذي قمنا به، يمكننا القول ان التخلف التنموي بمدن الحوض المنجمي ليس قدرا على هذه المناطق، وليس لقلة الموارد الطبيعية او الإمكانات البشرية. بل ان التخلف التنموي الذي تعاني منه جهة الحوض المنجمي كان بقرار سياسي اولا، وبتحالف مكونات نقابية وسياسية وعروشية طيلة أكثر من 50 سنة مع هذا القرار السياسي المذل لهذه المناطق الغنية والثرية طبيعيا وبشريا.

كما ان الدراسة مكنتنا من التأكد من ثراء هذه المناطق بالموارد الطبيعية من مياه ومواد انشائية وامكانات فلاحية كبيرة، يمكن ان تحول المنطقة الى فضاء للرفاه الاجتماعي وخلق الثروة. لو استفاق من يسوسون هذه البلاد

واعتبر من الماضي كل الاطراف المحلية والجهوية الذين تمعّشوا طويلا من هذه الاوضاع، وحولوا العلاقات التنموية بالجهة الى علاقات زبونية مبنية على الروابط الدموية والاجندات النقابية والسياسية التي ليس لها اي علاقة بحاجيات السكان ومتطلباتهم في العيش بكرامة.

لذلك ومن اجل ان نحلم بمستقبل أفضل لسكان الحوض المنجمي وحتى لا تتحول مدنهم الى طاردة لهم جراء العطش والفقر والبطالة والتهميش، فإننا نقترح جملة من المشاريع التي تجد لها مرتكزاتها الفنية والتنموية والطبيعية. وهي مقترحات نريد لها ان تكون منطلقا لنقاش جدي ومثمر بين كل الفاعلين المحليين خاصة من اجل رسم تصور تنموي متكامل ومتناسق مع الإمكانات الطبيعية المتوفرة والطاقات البشرية الموجودة وحاجيات السكان المباشرة.

2- اقتراح جذاذات مشاريع تنموية:

حاولنا تقديم المشاريع في شكل جذاذات مبسطة، تعطي فكرة عامة عن هذه الافكار المشاريع لتكون منطلقا لتعميق البحث والنقاش حولها. كما قسمناها حسب القطاعات ليسهل التعامل معها واثرائها، كل حسب اختصاصه ووفق معرفته بالموضوع.

- مشاريع مرتبطة بالمواد الانشائية -

جذاذة مشروع عدد 01

المشروع	مصنع اسمنت رمادي
مكان الانجاز	الرديف (منطقة تبديت)
المواد الاولية	كلس+ طين + رمال
مصادرها	مقاطع استخراج الفسفاط
المواد النهائية	كلنكر واسمنت رمادي
طاقة الانتاج السنوية	600 ألف طن
كمية المواد الاولية	960 ألف طن سنويا
الكلفة التقديرية	350 مليون دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	450 من اطارات واعوان تسيير واعوان تنفيذ
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	1000 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك
الممولون	الدولة ممثلة في شركة فسفاط قفصة والبنوك الوطنية + لخواص
مدة الإنجاز	سنتان
التسويق	ولايات الجنوب الغربي والوسط+ الولايات الحدودية بالجزائر الشقيقة

جذاذة مشروع عدد 02

المشروع	مصنع آجر احمر
مكان الانجاز	الرديف (منطقة براشيم)
المواد الاولية	طين + رمال+ شاموت
مصادرها	طين منطقة براشيم
المواد النهائية	ياجور احمر (6 و8 و12 واوردي)
طاقة الانتاج السنوية	36 ألف طن
كمية المواد الاولية	54 ألف طن سنويا
الكلفة التقديرية	3 مليون دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	45 من اطارات واعوان تسيير واعوان تنفيذ
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك
الممولون	الدولة ممثلة في شركة فسفاط قفصة والبنوك الوطنية + لخواص
مدة الانجاز	سنة
التسويق	ولايات الجنوب الغربي والوسط

جذاذة مشروع عدد 03

المشروع	مصنع آجر احمر
مكان الانجاز	المتلوي (منطقة كاف الدور)
المواد الاولية	طين + رمال+ شاموت
مصادرها	طين منطقة كاف الدور
المواد النهائية	ياجور احمر (6 و8 و12 واوردي)
طاقة الانتاج السنوية	45 ألف طن
كمية المواد الاولية	60 ألف طن سنويا
الكلفة التقديرية	3.5 مليون دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	60 من اطارات واعوان تسيير واعوان تنفيذ
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	120 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك
الممولون	الدولة ممثلة في شركة فسفاط قفصة والبنوك الوطنية + لخواص
مدة الانجاز	سنة
التسويق	ولايات الجنوب الغربي والوسط

جذاذة مشروع عدد 04

المشروع	مصنع خزف
مكان الانجاز	المظيلة (منطقة البرج)
المواد الاولية	طين + رمال + دلومي
مصادرها	منطقة مزندة وصهيب
المواد النهائية	المربعات الخزفية للأرضية والجدران
طاقة الانتاج السنوية	100 ألف متر مربع
الكلفة التقديرية	3 مليون دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	40 من اطارات واعوان تسيير واعوان تنفيذ
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك
الممولون	الخواص
مدة الانجاز	سنة
التسويق	ولايات الجنوب الغربي والوسط

جذاذة مشروع عدد 05

المشروع	مصنع للجبس
مكان الانجاز	المتلوي (منطقة ام الخشب على الطريق الرابطة بين المتلوي وقفصة)
المواد الاولية	جبس
مصادرها	جبس مناطق ام الخشب وكاف الشفاير وكاف الدور
المواد النهائية	جبس معد للاستعمالات العمرانية والصناعية
طاقة الانتاج السنوية	100 ألف طن
كمية المواد الأولية	150 ألف طن
الكلفة التقديرية	100 مليون دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	150 من اطارات واعوان تسيير واعوان تنفيذ
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	500 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك ومصنعي المواد الجبسية
الممولون	الدولة ممثلة في شركة فسفاط قفصة والبنوك الوطنية + الخواص
مدة الإنجاز	سنة
التسويق	ولايات الجنوب الغربي والوسط والقطر الجزائري

جذاذة مشروع عدد 06

المشروع	مقطع لحجارة القص (بلوك)
مكان الانجاز	المظيلة (منطقة صهيب)
المواد الاولية	حجارة كلسية
مصادرها	جبال منطقة صهيب
المواد النهائية	بلوك كلسي للبناء
طاقة الانتاج السنوية	300 ألف وحدة
الكلفة التقديرية	750 ألف دينار
عدد مواطن الشغل المباشرة	20 موطن شغل
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100 موطن شغل في مجال النقل والخدمات واللوجستيك
الممولون	الخواص
مدة الانجاز	6 أشهر
التسويق	ولاية قفصة

- مشاريع مرتبطة بالفلاحة-

جذاذة مشروع عدد 07

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	السقدود ببالرديف
النشاط الفلاحي	غراسة النخيل والاشجار المثمرة
المساحة الجملية	300هك
الكلفة التقديرية	15 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	60 مقسم (5 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	300
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	500
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	ولاية قفصة

جذاذة مشروع عدد 08

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	سيدي بوبكر بام العرائس
النشاط الفلاحي	غراسة اشجار الفستق
المساحة الجملية	100هك
الكلفة التقديرية	7 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	20 مقسم (5 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	200
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	150
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	وطنيا ودوليا من خلال التصدير

جذاذة مشروع عدد 09

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	الدوارة بأمر العرائس
النشاط الفلاحي	غراسة اشجار الفستق والاشجار المثمرة
المساحة الجملية	200هك
الكلفة التقديرية	10 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	40 مقسم (5 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	200
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	350
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	وطنيا ودوليا

جذاذة مشروع عدد 10

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	كريشة النعام بالمتلوي
النشاط الفلاحي	غراسة النحيل والخضر
المساحة الجملية	300هك
الكلفة التقديرية	15 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	60 مقسم (5 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	300
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	500
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا ودوليا

جذاذة مشروع عدد 11

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	الدبين بالمتلوي
النشاط الفلاحي	غراسة النخيل والاشجار المثمرة
المساحة الجملية	100هك
الكلفة التقديرية	8 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	20 مقسم (5 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	200
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	150
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا ودوليا

جذاذة مشروع عدد 12

المشروع	منطقة سقوية
مكان الانجاز	السقي بالمظيلة
النشاط الفلاحي	غراسة الخضر والاشجار المثمرة
المساحة الجملية	150هك
الكلفة التقديرية	10 مليون دينار
عدد المقاسم الفلاحية	50 مقسم (3 هك)
عدد مواطن الشغل المباشرة	150
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	200
الممولون	الدولة من خلال تجهيز المنطقة بالماء ودعم الفلاحين ماديا طيلة مدة لا تقل عن سنة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا

- مشاريع مرتبطة بالصناعات التحويلية-

جذاذة مشروع عدد 13

المشروع	وحدة لتجفيف وتعليب التمور والخزن
مكان الانجاز	السقدود بالرديف
النشاط الصناعي	تحويل وتجفيف وتعليب التمور
الكلفة التقديرية	2 مليون دينار
طاقة التحويل السنوية	5000 طن
عدد مواطن الشغل المباشرة	120
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100
الممولون	تعاضديات مساهمة من الفلاحين
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا ودوليا

جذاذة مشروع عدد 14

المشروع	وحدة لتجفيف وتعليب التمور والخزن
مكان الانجاز	منطقة الدبين بالمتلوي بالرديف
النشاط الصناعي	تحويل وتجفيف وتعليب التمور
الكلفة التقديرية	2 مليون دينار
طاقة التحويل السنوية	5000 طن
عدد مواطن الشغل المباشرة	120
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100
الممولون	تعاضديات مساهمة من الفلاحين
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا ودوليا

جذاذة مشروع عدد 15

المشروع	وحدة لتثمين وتعليب مادة الفستق
مكان الانجاز	سيدي بوبكر بأم العرائس
النشاط الصناعي	تجميع وتثمين وتعليب الفستق
الكلفة التقديرية	2 مليون دينار
طاقة التحويل السنوية	2000 طن
عدد مواطن الشغل المباشرة	120
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100
الممولون	تعاضديات مساهمة من الفلاحين
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا ووطنيا ودوليا

-مشاريع مرتبطة بالمجال البيئي-

جذاذة مشروع عدد 16

المشروع	منبت للأشجار الغابية والمثمرة
مكان الانجاز	الرديف
النشاط	انتاج مشاتل للأشجار الغابية والاشجار المقمرة
الكلفة التقديرية	1 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	300 ألف مشتلة
عدد مواطن الشغل المباشرة	جزء من عمال شركة البيئة والبستنة بالرديف
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	50
الممولون	شركة فسفاط قفصة ومصالح وزارة الفلاحة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا

جذاذة مشروع عدد 17

المشروع	منبت للأشجار الغابية والمثمرة
مكان الانجاز	ام العرائس
النشاط	انتاج مشاتل للأشجار الغابية والاشجار المقمرة
الكلفة التقديرية	1 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	ألف 300 مشتلة
عدد مواطن الشغل المباشرة	جزء من عمال شركة البيئة والبستنة بأم العرائس
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	50
الممولون	شركة فسفاط قفصة ومصالح وزارة الفلاحة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا

جذاذة مشروع عدد18

المشروع	منبت للأشجار الغابية والمثمرة
مكان الانجاز	المتلوي
النشاط	انتاج مشاتل للأشجار الغابية والاشجار المقمرة
الكلفة التقديرية	1.5 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	500 ألف مشتلة
عدد مواطن الشغل المباشرة	جزء من عمال شركة البيئة والبستنة بالرديف
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100
الممولون	شركة فسفاط قفصة ومصالح وزارة الفلاحة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا

جذاذة مشروع عدد19

المشروع	منبت للأشجار الغابية والمثمرة
مكان الانجاز	المظيلة
النشاط	انتاج مشاتل للأشجار الغابية والاشجار المقمرة
الكلفة التقديرية	1 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	ألف 300 مشتلة
عدد مواطن الشغل المباشرة	جزء من عمال شركة البيئة والبستنة بالرديف
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	50
الممولون	شركة فسفاط قفصة ومصالح وزارة الفلاحة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	محليا

جذاذة مشروع عدد 20

المشروع	وحدة لرسكلة النفايات المطاطية
مكان الانجاز	ام العرائس
النشاط	انتاج حبيبات من المطاط لاستعمالها وقود
الكلفة التقديرية	2.5 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	3500 طن
المواد الاولية	الابسطة الناقلة والعجلات المطاطية المستعملة
مصادرها	شركة فسفاط قفصة وشركات النقل ومسدي خدمات اصلاح وتغيير العجلات المطاطية
عدد مواطن الشغل المباشرة	30
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	100
الممولون	شركة فسفاط قفصة الخواص في إطار شراكة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	لمصنعي الاسمنت بالبلاد

جذاذة مشروع عدد 21

المشروع	وحدة لرسكلة النفايات المطاطية
مكان الانجاز	المتلوي
النشاط	انتاج حبيبات من المطاط لاستعمالها وقود
الكلفة التقديرية	3.5 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	4500 طن
المواد الاولية	الابسطة الناقلة والعجلات المطاطية المستعملة
مصادرها	شركة فسفاط قفصة وشركات النقل ومسدي خدمات اصلاح وتغيير العجلات المطاطية
عدد مواطن الشغل المباشرة	45
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	120
الممولون	شركة فسفاط قفصة الخواص في إطار شراكة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	لمصنعي الاسمنت بالبلاد

جذاذة مشروع عدد 22

المشروع	وحدة لرسكلة النفايات الحديدية
مكان الانجاز	المتلوي
النشاط	انتاج مواد حديدية قابلة للاستعمال والتحويل
الكلفة التقديرية	10 مليون دينار
طاقة الانتاج السنوية	4500 طن
المواد الاولية	نفايات الحديد والخردة
مصادرها	شركة فسفاط قفصة وباقي الانشطة بالجهة وشركات النقل ومسدي خدمات المرتبطة بإنتاج نفايات حديدية
عدد مواطن الشغل المباشرة	80
عدد مواطن الشغل غير المباشرة	300
الممولون	شركة فسفاط قفصة الخواص في إطار شراكة
مدة الانجاز	سنة
التسويق	للسوق التونسية وامكانية التصدير للجوار

3- الخلاصة:

مـن خـلال هـذه الجـذاذات، يمكننـا ان نقيـم الاسـتثمارات الممكنـة لتحقيـق بدايـات تنميـة حقيقيـة بالمنطقـة كمـا يـلي:

- الاستثمارات المرتبطة بالمواد الانشائية: 710 مليون دينار
- الاستثمارات المرتبطة بالفلاحة: 55 مليون دينار
- الاستثمارات المرتبطة بالصناعات التحويلية: 6 مليون دينار
- الاستثمارات المرتبطة بالمجال البيئي: 20.5 مليون دينار

بالتـالي فـان الاسـتثمارات الجمليـة الممكنـة خـلال الخمـس سـنوات القادمـة، تقـدر بحـوالي 800 مليـون دينـار. مـع خلـق حـوالي 3000 موطـن شـغل مبـاشر وأكـثر مـن 4500 موطـن شـغل غـير مبـاشر **(دون احتسـاب العـدد الحـالي لعمـال شركات الغراسـة والبيئـة والذيـن سـيدمجون في انتـاج الـثروة الحقيقـي بـدل منحـة البطالـة الـتي يتقاضونهـا حاليـا وتسـاهم في امتصـاص مـوارد شركـة الفسـفاط).** وهـو مـا يمكـن ان يدخـل ديناميكيـة اقتصاديـة واجتماعيـة عـلى مـدن الحـوض المنجمي، ويحولهـا مـن مـدن طـاردة لسـكانها الى مـدن جالبـة للسـكان ولليـد العاملـة مـن خارجهـا. كمـا يجعلهـا تتحـرر تدريجيـا مـن النمـط التنمـوي المرتبـط بالفسـفاط فقـط.

الخاتمة

لقد حاولنا خلال اعداد هذه الدراسة تشخيص واقع مدن الحوض المنجمي والمسار التاريخي لنشأتها وارتباط هذه النشأة باكتشاف وإستغلال الفسفاط. كما تم التعرض الى شركة فسفاط قفصة ودورها في نشأة وتطور مدن الحوض المنجمي والدور التنموي التي كانت تقوم به حتى منصف الثمانينات.

فالشركات الاستعمارية التي استغلت الفسفاط ومدنه طيلة أكثر من 50 سنة، لم تبني هذه المدن وتجهزها وتوفر مستلزمات الحياة بداخلها الا لصالح اطاراتها وعمالها الاوروبيين. اما عمال الفسفاط من اهل البلاد فانهم استغلوا كالعبيد طيلة هذه المدة مقابل اجور اقل ما يقال فيها انها لا تكفي الا لسد الرمق، تمكن العمال من العودة مجددا للداموس لمزيد إستغلالهم.

اما بعد 1956، وفي إطار الشروع الفعلي في تونسة الشركات المستغلة للفسفاط وصولا الى توحيدها في إطار شركة عمومية وطنية « شركة فسفاط قفصة» فان الشركة الوطنية حاولت ان تعيد ما تم انجازه في عهد الاستعمار الى العمال والاطارات التونسية. كما لعبت شركة فسفاط قفصة دور الدولة والشركة في نفس الوقت. فقامت بالتشغيل شبه الكلي لكل طالبيه من سكان الحوض المنجمي. وتحملت اعباء الصحة والتعليم والنقل وخدمات الكهرباء والماء ودعم الرياضة والثقافة والترفيه. كما كانت تقوم بصيانة التجهيزات العامة والجماعية في هذه المدن. انها شركة استثنائية في مدن استثنائية يصارع عمالها الجبال لإنتاج الثروة التي يسافر مردودها خارج الجهة.

لكن ومنذ منتصف الثمانينات، تخلت شركة فسفاط قفصة عن ادوارها الكاملة والتي كانت تقوم بها تجاه مدن الحوض المنجمي وسكانها، تطبيقا لبرنامج الاصلاح الهيكلي الذي شمل جل المؤسسات العمومية الناشطة في المجال الانتاجي التنافسي. فاغلق باب الانتداب. وتم تسريح 5000 عامل وأطار في مشروع تطهير المؤسسة العمومية المرتبط ببرنامج وتوصيات صندوق النقد الدولي. فتخلت الشركة عن التشغيل والصحة والتعليم ودعم الثقافة والرياضة والترفيه وكل المجالات التي كانت تقوم بها لأكثر من 40 عاما. الى درجة ان اجيالا من سكان الحوض المنجمي يعتبرون ان شركة فسفاط قفصة هي الدولة بكل مقوماتها في مدن الحوض المنجمي. فكان هذا التخلي المفاجئ وغير المدروس لدور الشركة الدولة الاثر البالغ في خلق فراغ تنموي واجتماعي كبير. مما عمق جراح هذه المدن وسكانها. فانتشرت البطالة والفقر والتهميش والجريمة المنظمة. كما غابت الدولة واستثماراتها العمومية تماما بعد تراجع دور شركة فسفاط قفصة. فتحولت هذه المدن بداية التسعينات الى فضاءات كبرى للمتقاعدين والمهمشين والجريمة المنظمة وتجارة الحدود (الكنترة).

فتراكمت هذه الظروف الاجتماعية والتناقضات الطبقية، وتواصل غياب الدولة الى حد الانفجار الاجتماعي بمدن الحوض المنجمي يوم 5 جانفي 2008 كردة فعل مباشرة على تزوير مناظرة الانتداب، ولكنها في العمق افرازا طبيعيا للخيارات والسياسات التي تم اتباعها من طرف نظام بن علي تجاه الجهة ككل. فخلقت كتلة تاريخية صماء موحدة مطالبة بالشغل والحرية والكرامة الوطنية في اول انتفاضة شعبية بوجوه مكشوفة تجاه نظام عرف بالاستبداد والغطرسة والبطش.

بعد 14 جانفي، اعتقد أهالي الحوض المنجمي الذين اعتبروا أنفسهم أول من وضع مسمارا في نعش بن علي ونظامه، أن ينصفهم التاريخ، وأن يتمتعوا بجزء ولو ضئيل من الثروة التي ينتجونها. ولكن سرعان ما تبخرت الأحلام واصطدم الوعي الجماعي للأهالي بالواقع الذي مثلته كل الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد من حكومة الباجي 2011 مرورا بحكمتي الترويكا وصولا إلى حكومة المشيشي، ذلك أن أسلوب التهميش وسياسات الإقصاء وانعدام التنمية وتدني الخدمات العامة تواصل ويمكن بأكثر حدة وبشاعة كما، تواصلت السمسرة والاساليب الفاسدة في نتائج المناظرات التي اصبحت أكثر من شكلية، وبدأ الجميع يقتنع ان منظومة بن علي لم تتغير وان نظامه وطرق تعامله مع الحوض المنجمي بقيت وكأن شيئا لم يتغير. ووجد شباب الحوض المنجمي نفسه يعيد نفس اساليب نضاله من اجل الشغل والكرامة والمطالبة بالتنمية.

فحتى يتحول الفسفاط من نقمة حاليا، الى محدد للتنمية ودافعا لها بمنطقة الحوض المنجمي. وحتى تبقى شركة فسفاط قفصة ارثا وطنيا قادرا على الانتاج لصالح كل التونسيين من الشمال الى الجنوب، فانه بات من الضروري ان تتحرر المنطقة من سطوة الفسفاط وان تبحث لها عن امكانات وموارد تنموية موازية له، وبذلك تصبح التنمية بالحوض المنجمي متوازنة ومتطابقة مع كل امكاناتها بما فيها الفسفاط وليس الفسفاط لوحده.

وبعد استعراض البحوث والدراسات الجيولوجية والتنموية والاقتصادية التي انجزت بالمنطقة، اضافة الى اللقاءات التي شملت كل الاطراف المتدخلة في المجال التنموي بمدن الحوض المنجمي. ومن خلال الاستبيان الميداني الذي انجز في إطار هذه الدراسة، تبين ان الإمكانات الطبيعية متوفرة وان المنطقة تزخر بالطاقات البشرية. الا ان التخلف التنموي كان افرازا حتميا للقرارات السياسية الظالمة تجاه المنطقة من طرف السلطة طيلة عقود، في تحالف واعي وغير واعي مع النخب المحلية الانتهازية، والسلوكيات النقابية الزبونية، والبنية العروشية ومبدأ الروابط الدموية. مما حول التخلف التنموي بمناطق الحوض المنجمي الى معضلة هيكلية متعددة الاطراف والابعاد.

رغم كل ذلك، فان السكان أكدوا من خلال الاستبيان على ان التنمية بدون الفسفاط ممكنة، وان الجهة تمتلك مقومات طبيعية وبشرية هامة تجعلها قادرة على ان تكون قطبا تنموي متنوعا ومنفتحا على البلاد وعلى دول الجوار في إطار تصور تنموي جديد تكون الدولة ومؤسساتها العمومية والمالية قاطرة لهذه التنمية. ذلك ان القطاع الخاص في الحوض المنجمي ليس موجودا وليس له تقاليد الاستثمار، وانطلاقا من الطابع الجبان للرأسمال الخاص وبحثه على الربح الدائم دون المغامرة. فانه لا يمكن التعويل على تنمية بمدن الحوض المنجمي الا عن طريق الدولة او شركة فسفاط قفصة او في إطار شراكة تكون فيها الغلبة للقطاع العام.

حتى يكون الحلم ممكنا في تنمية فعلية وحقيقية بالحوض المنجمي، اقترحنا مجموعة من المشاريع في مجالات متعددة ومتنوعة، ولها ما يبررها طبيعيا وبشريا واقتصاديا وتنمويا واجتماعيا. ولعل تقييم كلفة الاستثمار بحوالي 800 مليون دينار دليل على ان الاقلاع التنموي لا يمكن ان يكون بأقل من هذا الاستثمار.

كما وجب التأكيد على ان الفسفاط في المرحلة القادمة لن يكون نقمة على المنطقة بل يجب ان يتحول الى نعمة ودافعا لتنمية بدونه. حتى تتحرر شركة فسفاط قفصة من صورتها النمطية الشركة – الدولة، وتعود الى وظيفتها كشركة عمومية تعمل من اجل ان توفر الثروة لميزانية الدولة. وعلى الدولة ان تقوم بدورها كاملا في الجهة كما تقوم به في جهات اخرى من البلاد.

فتنمية مع الفسفاط وبعده ممكنة، إذا كانت الارادة السياسية موجودة وإذا غير حكام تونس نظرتهم لشركة فسفاط قفصة من شركة بقرة حلوب الى شركة عمومية تعمل في قطاع تنافسي مطالبة بان تنجح وتراكم الثروة للشعب كله من الجنوب الى الشمال.

المصاحب

استبيان ميداني

الولاية:..... البلدية:..... اسم الحي: .....

معطيات عامة حول المستجوب

1- الجنس: أنثى ☐ ذكر ☐

2- العمر: ..... سنة

3- المستوى الدراسي: لا شيء ☐ ابتدائي ☐ ثانوي ☐ تعليم عالي ☐

4- المهنة: معطل ☐ عامل ☐ موظف ☐ إطار ☐ متقاعد ☐

5-الحالة المدنية: عزباء أو أعزب ☐ متزوج(ة) ☐ أرمل(ة) ☐ مطلق(ة) ☐

واقع التنمية بالجهة

1-هل هنالك تنمية بالجهة: نعم ☐ لا ☐

2- في حالة نعم كيف تتمظهر: في التشغيل ☐ في البنى التحتية ☐ في الخدمات الجيدة ☐

3- في حالة لا كيف تتمظهر: في البطالة ☐ في الفقر ☐ في التهميش ☐

4- ماذا تعني لك شركة فسفاط قفصة في المنطقة: المشغل الوحيد ☐ لا تعني شيء ☐

5- شركة فسفاط قفصة تمثل: الدولة ☐ ام انها هي الدولة ☐

6- كيف تقيم حضور شركة فسفاط قفصة حاليا: مفيد ☐ عادي ☐ سلبي ☐

7- هل تعتبر ان الشركة تخلت عن المنطقة: نعم ☐ لا ☐ تقوم بدورها كشركة ☐

8- هل الدولة موجودة بالمنطقة: لا ☐ نعم ☐ وجود عقيم ☐

9- هل انجزت الدولة مشاريع تنموية وتشغيلية خلال العشر سنوات الاخيرة: نعم ☐ لا ☐

10- هل يوجد رأسمال خاص بالمنطقة: نعم ☐ لا ☐

11- التخلف التنموي مسؤولية من؟: السلطة ☐ شركة فسفاط قفصة ☐ النخب المحلية ☐ النقابة ☐

12- المناظرات المحلية بعد سنة 2011 كانت خاضعة للشروط الموضوعية والشفافية: نعم ☐ لا ☐

13- في حلة لا، من المتسبب؟: نواب البرلمان ☐ النقابيون ☐ الاحزاب السياسية ☐ الدولة ☐

14- هل شاركت في الانتخابات البلدية والتشريعية الأخيرة: نعم ☐ لا ☐

15- في حالة نعم، كيف اخترت؟: الرابطة الدموية ☐ وعود ☐ متحزب ☐ قناعة بالبرنامج ☐

امكانات التنمية بالجهة

1- هل يمكن الحديث عن تنمية بدون الفسفاط : نعم ☐ لا ☐

2- في حالة نعم: كيف؟: إستغلال امكانات اخرى ☐ تدخل الدولة كمستثمر ☐ الرأسمال الخاص ☐

3- ما هي هذه الإمكانات: مواد انشائية ☐ فلاحة ☐ سياحة ☐ منطقة حرة حدودية ☐

4- ما هي المواد الانشائية الموجودة بالجهة: رمال ☐ طين ☐ كلس ☐ جبس ☐ معادن ☐

5- بماذا ترتبط الإمكانات الفلاحية بالمنطقة: بالأراضي ☐ بالماء ☐ باليد العاملة ☐

6- هل نجحت مشاريع فلاحية في المنطقة: نعم ☐ لا ☐

7- في حالة لا، ما هي الاسباب: نقص الماء ☐ ضعف الدعم من الدولة ☐ التسويق ☐

8- ما هي الإمكانات السياحية بالمنطقة: الجبال ☐ دواميس الإستغلال القديمة ☐ اخرى ☐

9- هل تعتبر المعابر الحدودية بالمنطقة امكانات للتنمية: نعم ☐ لا ☐

10- هل يمكن لشركة فسفاط قفصة ان تساهم في التنمية دون قسقاط: نعم ☐ لا ☐

تمويل وانجاز التنمية

من يمول التنمية في المنطقة: الدولة ☐ شركة فسفاط قفصة ☐ الخواص ☐ الشراكة ☐

كيف ترى دور الدولة في التنمية: الاستثمار المباشر ☐ الشراكة ☐

هل الاستثمار المباشر في: الصناعة ☐ الفلاحة ☐ السياحة ☐ البنى التحتية ☐

دور شركة فسفاط قفصة: في الاستثمار في قطاعات اخرى غير الفسفاط ☐ الشراكة ☐

هل يمكن للخواص القيام بالتنمية بالمنطقة: نعم ☐ لا ☐

هل المنطقة مهيئة لتنمية بدون الفسفاط: نعم ☐ لا ☐

كيف ترى دور السكان في تحقيق تنمية بالمنطقة: الاحتجاج ☐ الحوار ☐ ايقاف نشاط الفسفاط ☐

هل تنمية المنطقة مرتبط بنمط التنمية على المستوى الوطني: نعم ☐ لا ☐

هل للسلطة المحلية دور في التنمية: نعم ☐ لا ☐

كيف يتجسد هذا الدور: بالاستثمار المباشر ☐ **بالشراكة** ☐ **بالبنية التحتية** ☐

هل للاتحاد العام التونسي للشغل دور في التنمية في المنطقة: نعم ☐ **لا** ☐

هل للمجتمع المدني دور في انجاز التنمية: نعم ☐ **لا** ☐

المراجع

المراجع بالعربية:

- تقرير التأهيل البيئي لشركة فسفاط قفصة – شركة فسفاط قفصة 2009 .
- قفصة من خلال التعداد السكاني والسكنى لسنة 2014 – المعهد الوطني للإحصاء 2016.
- الاقتصاد التونسي بين فشل الساسة و احلام الفقراء- حسين الرحيلي 2016.
- الاحصاء المدرسي للسنة الدراسية 2016-2017 وزارة التربية .
- الماء والعدالة الاجتماعية بالحوض المنجمي- حسين الرحيلي 2018 .
- النشرية الاحصائية لجهة قفصة للسنة الدراسية 2018-2019 وزارة التربية .
- تقرير لجنة التنمية بمحلس نواب الشعب الخاص بولاية قفصة – اكتوبر 2020 .

المراجع بالغة الفرنسـية والإنجليزية:

- Memento roches et minéraux industriels- Gypse et Anhydrite- Ministère de l'industrie France-1993.
- Etude économique d'une cimenterie- Préfecture des YVELINES-1995.
- Fabrication des Céramiques- Commission européenne-2007.
- Atlas de Gafsa – DGAT 2011.
- L'Industrie minière et ses effets écologiques : Etat Socio-économique et Environnemental dans le bassin minier de Gafsa- M. brahim ; S.zouari et M.rossi 2014.
- Annuel Repport CPG 2015 .
- Technique Céramique- Ministere de l'éducation Nationale de l'enseignement sup. et des récherches – France 2015.
- La Campagnie des Phosphates de Gafsa (CPG) : Etat de lieux de la Gouvernance et Recommandations- IACE 2016.
- Mutation Socio- Spatiales et Environnementaux du Bassin Minier de Gafsa : Approche par les outils géomatiques- Thèse doctorat de Bilel Sahli – Université de Bretagne loire 2017.
- Les chainons montagneux de Metlaoui et ses Piémonts Méridionaux (de Zeref à AL blijou) : Etude géomorphologique- Thèse doctorat de Slim Aliouet – FSHST 2017.
- Modélisation de décantation des eaux boueuses des laveries de Métlaoui- Thèse doctorat de Mouna Toumi – FST 2018.
- Rapport du « THINK THANK » sur le Phosphate en Tunisie- cercle Kheireddine 2018 .
- Téchnique de préparation pour l'industrie céramique – EIRICH 2018.

حسين الرحيلي:

ولد بالرديف من ولاية قفصة، تحصل على شهادة البكالوريا - رياضيات علوم - من المعهد الثانوي بالمتلوي، ثم درس بكلية العلوم بتونس أين تحصل على شهادة مهندس أول في الجيولوجيا اختصاص تثمين المواد الإنشائية.

عمل بداية التسعينات مع شركة فرنسية في مجال الجيوتقنية لاختيار مواقع السدود، ثم عمل بالوكالة الوطنية لحماية المحيط منذ 1993، أين تقلد فيها العديد من المهام و خاصة إدارة مقاومة التلوث وإدارة المراقبة وخاصة تخصصه في تقييم الجدوى البيئية و الفنية للمشاريع التنموية الكبرى بالبلاد.

ناشط نقابي بالاتحاد العام التونسي للشغل منذ التسعينات و تقلد العديد من المهام صلب الجامعة العامة للتجهيز والإسكان و البيئة.

يدرس حاليا بكلية العلوم بتونس. كما سبق له أن درس بالمدرسة الوطنية للمهندسين بقابس وبالمعهد العالي لعلوم و تكنولوجيا البيئة ببرج السدرية.

مكون في مجالات الحوكمة المحلية و القضايا التنموية والاقتصاد الاجتماعي التضامني، والموارد الطبيعية وخاصة الماء.

نشر العديد من المقالات والدراسات المتخصصة في العديد من الجرائد والمجلات الوطنية على غرار «الفكرية «و «آخر خبر الاقتصادية» وجريدة المغرب.

نشر منذ 2015 العديد من الكتب أهمها: التنمية في تونس - الاقتصاد التونسي بين فشل الساسة وأحلام الفقراء - الماء والعدالة الاجتماعية بالحوض المنجمي - الاقتصاد الاجتماعي التضامني : آلية مقاومة - العولمة ما بعد الكورونا

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
مكتب شمال إفريقيا
North Africa Office

ISBN 978-9938-72-133-1